كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء

إقرأ وافهم
إيمان كنيستنا

رحلة إلى قلب الإلحاد

جـ ١- الالحاد .. بذار و رجال



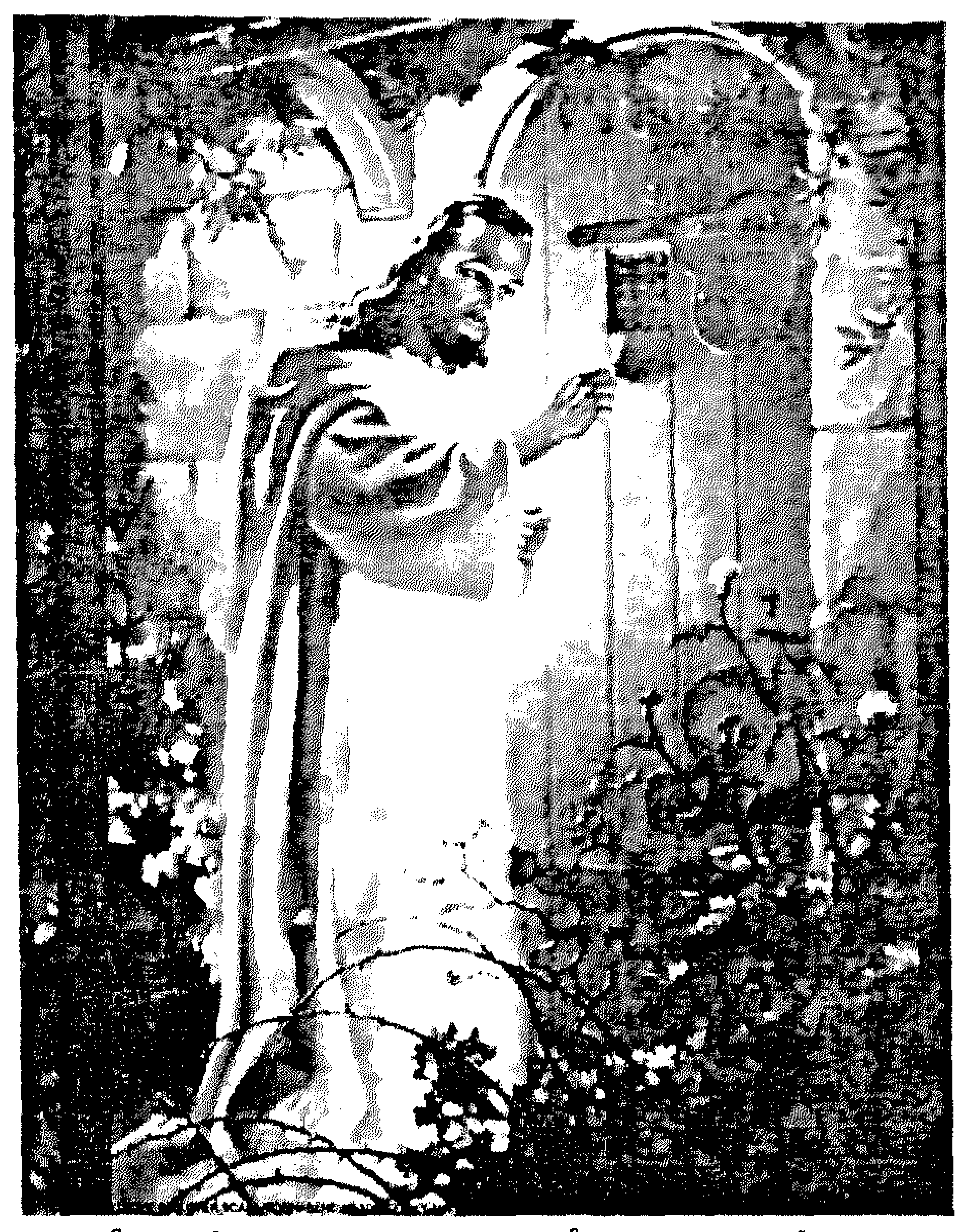
كنيسة القديسين
مار مرقس والبابا بطرس
خاتم الشهداء- اسكندرية
ت : ٥٥٠٨٣٩٥ /٠٣
٥٤٨٧٧٢٨ /٠٣

إقرأ وافهم
إيمان كنيستنا

١٤- رحلة إلى قلب الإلحاد

جـ١ الإلحاد .. بذار ورجال

المؤلف : حلمى القمص يعقوب



" هأنذا واقفٌ على البابِ وأقرَعُ•
إن سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب ،
أدخل وأتعشَّى معه وهو معي "

(رؤيا ٣ : ٢٠)

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠١١/١٠٣٣٥



صاحب الغبطة والقداسة
البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية
الـ ١١٧

تقديـــــم

الأمر الذي دفعني للكتابة في موضوع الإلحاد ، أن شجرة الإلحاد مازالت حيَّة ، تطرح ثمارها السامة في الغرب وفي الشرق أيضاً ، فكل فتى أو شاب يقرأ كتابين أو ثلاثة عـن الإلحـــاد ، أو يدخل إلى المواقع الإلحادية على شبكة الإنترنـــت ، يتـــشكَّك فـــي إيمانه ، ويقول لك : أثبت لي أن ربنا موجود ، ولماذا لا يكون الله هو وليد فكر الإنسان بهدف أن يهرب من الواقع المر الذي يعيش فيه ، والسماء والحياة الأخرى ما هي إلاَّ خدعة يخدع بها رجـــال الدين والحكماء البسطاء ليصرفونهم عن واقعهم المؤلم ويعطونهم الرجاء الكاذب في حياة لا وجود لها ، ومادام ليس هناك إله ، ولا حياة أخرى ، ولا ثواب ولا عقاب ، فما الفائدة من هذه الحيـــاة ؟ .. ولماذا أتحمل فيها عناء الدراسة والتمـــسك بالفـــضيلة ؟ .. لماذا أتعب من أجل حياة تؤول إلى العدم ؟! .. مـــا فائـــدة هـــذه الحياة ، والأيام تسرع بنا إلى الفناء الذي ينتظرنا بشغف عند باب القبر ؟! .. لماذا لا نشجع على الإنتحار وموت الرحمـــة ؟! .. ويطرح عليك أفكار شوبنهور التـــشاؤمية ، وأفكـــــــار نيتـــشه الصادمة ..

ويأتي آخر ليقول : لو كـان الله موجوداً ، فمـن الـذي أوجده ؟ ولماذا لا يعلن عن ذاته بصورة محسوسة ؟ ولماذا يترك الإنسان للمتاعب والآلام والحروب والأمراض والموت ؟ هل هـو غير قادر أم غير محب ؟! ..

ويأتي ثالث ليقول : حتى لو كان الله موجوداً ، وهو قـد حدَّد مصيري مسبقاً إذا كان الملكوت أو جهنم النار ، فلماذا أتعـب نفسي في جهاد روحي من صوم وصلاة وتمسك بوصايا الإنجيـل .. إلخ .

من أجل هـذا ، كان هـذا الكتاب " رحلـة إلـى قلـب الإلحاد " كمحاولة متواضعة ، شمعة صغيرة ، لعلها تفضح ظلمـة الإلحاد ، إله القتل والهلاك ، وتنير الطريق للمعرَّضـين للـشكوك والإلحادية ، ولعلها تكون فرصة نجاة لشبابنا الذين يتلظون بنيران الإلحاد ، لعلهم يعيدون ترتيب أفكارهم ، ويهربـون مـن سـجن الإلحـاد القاسي ، سجـن الكآبة وظل المـوت ، سـجن الـضيق والضجر وصغر النفس ، سجن التيه والضياع ، ويلقون بأنفـسهم في الأحضان الأبوية التي تنتظر عودتهم بشغف زائد ، فيعـودون إلى بساطة الإيمان ، ويستردون بهجتهم التي ضـاعت وفـرحتهم التي سُلبت منهم ، ويلتفتون إلى الوزنات التي أودعها الله إياهم ،

فيتاجرون ويربحون ، واثقين أنه ينتظرنا باشتياق كبير على أبواب الملكوت فاتحاً أحضانه لنا لنكون معه في كل حين في سعادة أبدية لا تنتهي .

ياربي يسوع المسيح .. ياليت كتابي هذا يكون بلسماً شافياً لمن لدغته الحيَّة القديمة ، ويكون وقاية لأولادنا لئلا ينزلقوا في هوة الإلحاد التي طالما أبتلعت عمالقة الفكر والذكاء ، وأبتلعت الملايين ولا تشبع .. ياليت دماء ملايين شهداء الشيوعية المُلحدة تشفع من أجل كل شاب ضل الطريق ، فالدماء الصارخة من الأرض لها قوتها وقدرتها ، وأنت ياإلهي على كل شئ قدير ، لأن لك المجد الدائم إلى الأبد آمين .

(صاحب موسوعة إقرأ وافهم)

والآن أتركك ياصديقي مع كتابك هذا " **رحلة إلى قلب الإلحاد** " ولكيما تسهل مطالعته رأيت تقسيمه إلى جزئين :

الجزء الأول : الإلحاد .. بذار ورجال

ويدور حول أسباب الإلحاد ، ورجال زرعوا الإلحاد : وذلك من خلال بابين :

الباب الأول : بذار الإلحاد :

ويتناول ستة فصول هي :

الفصل الأول : الصراع البروتستانتي الكاثوليكي ·

الفصل الثاني : نظرية التطوُّر والبقاء للأصلح ·

الفصل الثالث : الظلم والطغيان ·

الفصل الرابع : شهوة الكبرياء ·

الفصل الخامس : الكوارث والحروب والعقاب الأبدي ·

الفصل السادس : بين المسيحية والشيوعية ·

الباب الثاني : رجال زرعوا الإلحاد :

ويتناول عشر شخصيات كان لهم دورهم في إرساء مبادئ الإلحاد وهم :

١- كارل ماركس
٢- لينين
٣- ستالين
٤- هولباخ
٥- جورج هيجل
٦- شوبنهور
٧- فريدريك نيتشه
٨- ماوتسي تونج
٩- برتراندراسل
١٠- جان بول سارتر

الجزء الثاني : ثمار الإلحاد

ويدور حول الثمار المرة التي طرحتها شجرة الإلحاد ، أي المبادئ الفاسدة التي أرساها الإلحاد ، فنطرحها على بساط البحث ، ونناقشها ، ونرد عليها من خلال الباب الثالث والذي يشمل خمسة فصول :

الفصل الأول : إنكار وجود الله.

الفصل الثاني : الإعتقاد بأزلية المادة وتطوُّرها.

الفصل الثالث : تأليه الإنسان ورفض السلطة الإلهيَّة.

الفصل الرابع : الدين أفيون الشعوب.

الفصل الخامس : الكتاب المقدَّس وسفر الإلحاد.

ويبدأ كل باب بجزء من قصة ذئب شيوعي تصطاده الحملان ، وينتهي الباب الأول والثاني بنظرة تأمل . أما الباب الثاني فينتهي كل فصل فيه بلقطة للتاريخ بالإضافة إلى نظرة تأمل.

شجرة الإلحاد

أصدرت جامعة أكسفورد عام ١٩٨٢ " **الموسوعة المسيحية العالمية** " إعداد " **دافيد ب٠ باريث** " ، وهي حصيلة أبحاث قام بها ٣٧٠ باحثاً في ٢٢٣ دولة ، وقد أستغرقت الدراسة نحو ١٢ سنة (من ١٩٦٨ – ١٩٨٠م) وإن كانت هذه الدراسة ينقصها بعض الدقة بسبب صعوبة الحصول على معلومات على مستوى العالم ، إلاَّ أنها تُعتبر مؤشر هام للحقيقة ، وقد جاء فيها أن عدد الطوائف والملل والنحل في المسيحية ٢٠٨٠٠ ملة ، وأن نسبة المسيحيين في العالم سنة ٥٠٠ م كانت ٢٢ % ، وفي سنة ١٥٠٠م إنخفضت إلى ١٩ % ، وفي سنة ١٩٠٠ م وصلت إلى ٣٤ر٤ % وفي سنة ١٩٨٠ إنخفضت النسبة إلى ٣٢ر٨ %٠

وأن العلمانية (اللادينية) تتخذ أشكالاً مختلفة مثل المادية العلمية ، والإلحاد ، والشسيوعية الملحدة ، واللاادرية ، والفاشية ، والمذهب المادي ، والمذهب الإنساني الليبرالي ، وقد تزايدت نسبة العلمانية بصورة ضخمة ، فبعد أن كانت نسبتها سنة ١٩٠٠م لا تزيد عن ٢ % بلغت سنة ١٩٨٠م ٢٠ر٨ % ، وسجلت أعلى معدلاتها في السويد حيث وصلت إلى ٢٨ر٧ % ، بينما

جاءت في اليونان أقل نسبة حيث وصلت إلى ٣ر٠ % وفي النرويج ٧ر١ % ، أما في الدول الشيوعية فكانت أعلى نسبة في ألبانيا ٧٤ % والصين ٢ر٧١ % والاتحاد السوفيتي ٢ر٥١ % وأقل نسبة في هذه الدول الشيوعية في كمبوتشيا ٢ر٥ % وفي بولندا ٥ر٩%. أما في الدول الإسلامية فأعلى نسبة سجلتها الأردن ٢ % وأقل نسبة سجلتها تركيا وليبيا ١ر٠ % أما في أفغانستان وإيران وباكستان والمغرب فوصلت النسبة إلى صفر % ، وفي دول آسيا وأفريقيا سجلت اليابان أعلى نسبة ١٢ % وسجلت غينيا أقل نسبة ١ر٠ % ، وفي أمريكا اللاتينية سجلت أورجواي أعلى نسبة ١ر٣٥ % أما بارجواي فسجلت أقل نسبة ٥ر٠ % للعلمانية (اللادينية).

وحول سؤال " **هل تؤمن بالله ؟** " قام الباحثون في ١٢ دولة غربية بالإضافة إلى الولايات المتحدة واليابان بإستطلاع الرأي ، وذلك بين عامي ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، وقام قسم الإجتماع بجامعة توند نهايم بالنرويج بنشر نتائج هذا البحث ، فسجلت اليابان أعلى نسبة ، حيث بلغت نسبة المُلحدين ٢٣ % ونسبة اللاادريين ٣٨ % ، بينما بلغت نسبة المُلحدين في السويد ٣٥ % واللاادريين ١٤ % ، بينما سجلت الولايات المتحدة أقل نسبة فكانت نسبة المُلحدين ٢ % واللاادريين ٣ % .

ذئب شيوعي تصطاده الحملان (١) :

هـذه قصـة حقيقيـة لـذئب شـيوعي لـم يحتمل وداعـة الحملان ، فصـار حملاً مثلهم ٠٠ يقـول " **سيرجي كورداكوف** " : " لقد ربيت على تعاليم ماركس ولينين ، وكانا آلهتي ، وكنت أنحني ثلاث مرات أمام الجسد الميت للينين في موسكو وكنت أوجه له صلاة حارة كأنه إلـه ، فقد كان إلهي وسيدي " [1].

طفل في ملجأ : تعرض والد سيرجي للقتل ، وماتت أمه كمداً عليه ، وأخذ هو إلى الملجأ ، وملاجئ الشيوعية لا تعرف ذرة من الحب ، فالبغضاء تسود بين الأولاد وبعضهم ، وبين الأولاد والمعلمين ، وبين المعلمين والمدير ، وكانت السمة السائدة في الملاجئ هي الخوف الذي يستبد بالجميع ، فالأولاد بسبب العقوبات الشديدة يعيشون حياة غير طبيعية ، بل والمعلمون أيضاً يخافون من المديرين لأن عقوباتهم كانت صارمة ، فالجميع شيوعيين ، والشيوعية لا تعرف للرحمة باباً ، وترى العطف ضعفاً ، وتُمجّد القوة

---

[1] ترجمة نشأت مرجان – شاول طرسوس جديد – قصة ذئب شيوعي يتحوّل إلى المسيحية ص ١٢

والقسوة كما سنرى ذلك في فلسفة " **نيتشه** " الألماني ، ويحكي " **سيرجي** " عن موقف من مواقف عديدة كانت تحدث في الملجأ ، وكيف تعرّض للضرب المبرح من أجل عشقه للقراءة ، فيقول " لقد أدركنا في الملجأ شيئاً فشيئاً الوحشية والقسوة اللتين تعتملان في قلوب مسئولي الملجأ من نحونا. فقد كان يتم عقابنا لأتفه الأسباب. كانت إحدى قوانين الملجأ تلزم كل الأطفال بالنوم قسراً وقت الظهر ، ولم أكن ألتزم بهذا القانون ، فقد كان شغفي بالقراءة يجعلني أسحب اللمبة تحت الغطاء ، وأواصل قراءتي . ولكن حدث ذات يوم ما ليس في الحسبان إذ أقبل عليّ " العم نيشي " وهو نصف سكران وأخذني على حين غرة وأنا تحت الغطاء وإذ بي أجد يداً تسحبني من تحت الغطاء وترفعني عالياً ثم تتركني أهوي على الأرض ، ثم بدأ يضربني بكلتا يديه ورجليه بمنتهى القسوة ولم يترك جزءاً من جسمي يفلت من أذاه وهو يردد أنه سيعطيني درساً لن أنساه لأنني أقرأ وقت الظهر ، وهو يردد ويفعل هذا في نشوة سكره مقهقهاً . كم كنتُ أرتعد وأنا تحت يديه من ذلك الضرب الذي يسميه هو " فيتامين ب ". ثم خلع حزامه وواصل ضربي وهو يقول : أعدد نفسك جيداً لفيتامين ب ، ولم يتركني إلاَّ بعد أن كدت أموت من شدة الضرب وسط فزع الأطفال وذعرهم إذ رأوا

الدم ينزف بكثرة من أماكن عديد في جسمي • لم أخف في حياتي كما في هذه اللحظة " [1].

شاب يعبد الشيوعية : تدرج " **سيرجي** " في دراسته إلى أن وصل بجهده ، ورغم الظروف القاسية التي كان يعيشها إلى الأكاديمية البحرية ، وقد كرّس حياته بالكامل لروسيا الشيوعية بعد أن تربى على مبادئ الشيوعية وتشرّب بها ، بل أنه كان يقوم بتدريس المواد الشيوعية في الأكاديمية ، ويعقد المؤتمرات من أجل هذا الغرض ، وكان على إتصال دائم بالمسئولين من الحزب الشيوعي ، الذين لمسوا مدى حبه الذي يصل إلى حد العبادة لكل ما هو شيوعي ، وتفانيه من أجل رفع مبادئ الشيوعية ، لذلك تم إختياره من قِبل جهاز المخابرات الروسية K.G.B سنة ١٩٦٩م ليقوم بتنظيم فرقة تأديب للمؤمنين ، تعمل تحت أمرة البوليس السري ، لقاء ٢٥ روبلا مقابل كل عملية • أنه مبلغ ضخم جداً ، فإن كل مصروفه في الشهر من الكلية كان سبعة روبلات ، ومتى أنهى دراسته ودخل مجال العمل يصل راتبه إلى ٦٥ روبل ، فانبهر " **سيرجي** " بهذا العرض المغري ، وتفهم طبيعة عمله جيداً ، فاختار بعض الطلبة من نفس الكلية البحرية ، من أبطال الملاكمة والجودو والكراتيه ، وأيضاً كان العرض مُغريّاً جداً لهؤلاء الطلبة ، فكل منهم سيتقاضى مثل سرجي ٢٥ روبلاً

---

[1] قصة ذئب شيوعي يتحوّل إلى المسحية ص ٣٥

عن كل عملية قبض على المسيحيين ، فالموضوع في حقيقته ليس موضوع قبض لكنه قتال عنيف من جانب واحد ، موضوع طحن وتكسير عظام يصل إلى حد القتل ، بدون أية مسئولية جنائية تقع على القاتل ، فقد كانت الحرب شعواء ضد الدين وضد كل إنسان يشتم من رائحته أن لديه ميول للتدين ، ويحكي " سيرجي " أنه في إحدىعملياته السرية٠٠٠ (يتبع – الباب الثاني) ٠

وترجع جذور الإلحاد إلى الأزمنة القديمة ، فطالما شكَّك الشيطان في حقيقة وجود الله الخالق ضابط الكل ، ولعل جولات الشيطان مع أيوب البار كانت تهدف لزعزعة إيمانه بالله الخالق ، أو على الأقل بالله ضابط الكل مُحب البشر ، ولا نعجب عندما نسمع داود النبي منذ القديم يقول "*قال الجاهل في قلبه ليس إله ٠٠ الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم يطلب الله* " (مز ١٤ : ١)٠

ولكن كبادئ ذي بدء دعنا ياصديقي نتساءل :

س١ : ما هو الإلحاد ؟ وماهي أنواعه ؟ وما هو الفرق بين الإلحاد ، واللادين ، والادرية ؟

ج : **الإلحاد** Atheism : هو مصطلح عام يستعمل لوصف تيار فكري وفلسفي يتمركز حول فكرة إنكار وجود خالق أعظم ، أو أية قوة إلهية بمفهوم الديانات السائدة . وببساطة شديدة فإن الإلحاد يعني **إنكار وجود الله** لعدم توافر الأدلة على وجوده ، فمنطق الإلحاد هو " *إن ما لم تثبته التجربة العلمية يكون خاطئاً وتافهاً ومنقوصاً من أساسه ، ونحن لا نؤمن إلاَّ بالعلم وبالمنهج العلمي ، فما تراه العين وتسمعه الأذن وتلمسه اليد ، وما يمكن أن يُقاس بالمقياس والمكيال والمخبار وما إلى ذلك من أدوات هذا الحق . وأما ما عدا ذلك مما يخرج عن دائرة العلوم التجريبية ومنهجها فلا نصدقه* " [1]. هذا **مفهوم الإلحاد قديماً** . ثم أكتشف الإنسان أن الحواس البشرية تعجز عن إدراك أمور كثيرة وليس معنى هذا أن هذه الأمور غير موجودة ، فالعين البشرية تقف عاجزة أمام رؤية الكائنات الدقيقة مثل البكتريا أو الأميبا ، بينما تنجح في هذا بواسطة الميكروسكوب ، وأيضاً تقف عاجزة أمام إدراك ما يدور حولنا من أجرام سماوية بعيدة جداً . بينما تنجح في هذا بواسطة التلسكوب ، وبينما طائر الكناري يرى جميع الألوان فإن العين البشرية تعجز عن هذا ، وبينما للصقر قدرة على رؤية أرنب بين الحشائش ، وهو

---

(١) أ. رافت شوقي ـ الإلحاد بعض مدارسه .. والرد عليها جـ ٢ ص ٧٣ ، ٧٤

يُحلق على إرتفاع نحو ثلاث كيلومترات ، لأنه يُكبّر الصورة ثمان مرات ، فإن الإنسان يعجز عن هذا ، والأذن البشرية تعجز عن إلتقاط الأصوات التي تلتقطها أذن بعض الحيوانات مثل الكلاب والغزلان ، التي تلتقط أصوات الزلزال قبل حدوثه بنحو عشرين دقيقة. بل أن الحواس البشرية قد تخدعنا ، فالإنسان التائه في الصحراء ملتمساً النجاة يرى السراب ، والسراب ليس حقيقة ، والملعقة في كوب الماء نجدها مكسورة وكذلك المجداف في المياه ، وهما ليس كذلك.

أنواع الإلحاد : بسبب ضعف الحجة التي أعتمد عليها الإلحاد قديماً ، وهي عدم إدراك الله بالحواس البشرية ، وبعد أن بات العلم الحديث يثبت وجود الله بقوة ، وقد تجلَّت القدرة الإلهيَّة في الخلية الحيَّة التي لا تُرى بالعين المجردة ، وكذلك بعد التعمق في الفلسفة ، حتى أن " **فرانسيس بيكون** " (١٥٦١ - ١٦٢٦م) قال "*أن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد ، ولكن التعمق فيها ينتهي بالعقول إلى الإيمان* " [١] ، ولهذا ظهر " **الإلحاد المعاصر** " الذي يتجاهل تماماً وجود الله ، ويؤلّه

[١] رمسيس عوض - الإلحاد في الغرب ص ٥٨

الإنسان ، فإن كان الله موجوداً فليبق في سمائه وليترك الإنسان إلهاً لهذا الكون ، فقال الشاعر الفرنسي " **بريفير** " : "*أبانا الذي في السموات ، إبقَ فيها* " [1] فالإعتقاد بوجود الله يلغي كرامة وسلطان الإنسان على الأرض ، فلسان حال الإلحاد المعاصر هو "*إذا كان الإنسان إلهاً ، فلا يحق لله أن يوجد* "، ويقول " **إيتان بورن** " عن الإلحاد المعاصر "*أنه مبدأ أولي ، أو بالأحرى تصميم أولي ، فيجب أن لا يكون الله لكي يوجد الإنسان* " [2] وقال " **فويرباخ** " : "*أن نقطة التحوّل الكبرى في التاريخ ستكون في اللحظة التي سيعي فيها الإنسان أن الإله الوحيد هو الإنسان نفسه* " [3] أي الإنسان هو إله الإنسان وقال " **كارل ماركس** " : "*كل كائن لن يعتبر نفسه مستقلاً إلاّ إذا كان مكتفياً بذاته، ولن يكون مكتفياً بذاته إلاّ إذا كان هو مصدر وجوده، إن الإنسان الذي يعيش من فضل غيره يشعر بنفسه كائناً تابعاً* " [4] وإدَّعى " **ماركس** " أن الإنسان الذي يشعر أن الله هو الذي خلقه ، وهو الذي يحفظ حياته ، فهو إنسان تابع وليس مستقلاً ، ولذلك دعا لنبذ الدين قائلاً "*أن نقد الدين يُخرج الإنسان*

---

[1] القمص تادرس يعقوب ــ تفسير سفر التكوين ص ٥٣

[2] رافت شوقي ــ الإلحاد ·· نشأته وتطوُّره جـ ١ ص ١١٤

[3] القمص تادرس يعقوب ــ سفر التكوين ص ٥٣

[4] رافت شوقي ــ الإلحاد ·· نشأته وتطوُّره جـ ١ ص ١١٥

من أوهامه ، ويحمله على أن يفكر ويعمل وينظم واقعه كرجل تخلّص من الوهم وبلغ إلى الرشد ، حتى يدور حول ذاته ، حول شمسه الحقيقية ، وما الدين إلاَّ الشمس الوهمية " [1] كما إدَّعى " **ماركس** " أن الإيمان بالله يعني هدم قيمة الإنسان وقدره ، فقال "*أن الإيمان بالله يقضي بالإعتراف بعدم قيمة الإنسان. إذاً كان لابد من الإستغناء عن الله لإنقاذ الإنسان* " [2] ولخص " **ماركس** " فلسفته الإلحادية في قوله "*أن الإلحاد هو إنكار الله ، وبهذا الإنكار يؤكد وجود الإنسان* " [3].

ويقول " **نيافة الأنبا غريغوريوس** " : "*الإلحاد المعاصر ليس إلحاداً عقلانياً ، ولا فلسفياً ، ولا منطقياً ، ولا علمياً .. إنما هو إلحاد تصميم .. تصميم بالرفض لفكرة الله .. وذلك بسبب خبرة حزينة عن بعض الأفراد أو عند بعض الشعوب ، خبرة مؤلمة وقاسية .. عن الدين والمتدينين أو عن الملوك والحكام الذين يتخذون الدين غلافاً يغلفون به تصرفاتهم ويستندون فيها كذباً وبهتاناً إلى الله* " [4].

---

(١) رأفت شوقي – الإلحاد .. نشأته وتطوُّره جـ ١ ص ١١٦
(٢) المرجع السابع ص ١١٦
(٣) المرجع السابق ص ١١٦
(٤) الإلحاد المعاصر وكيف نجابهه ص ١٧

والإلحاد قد يكون ظاهرا متى أعلنه الإنسان الذي يؤمن به للغير ، وقد يكون مُبطَناً متى أبطنه الإنسان وأخفاه عن الغير ٠

اللادين : جاء تعريف " **اللادين** " في القواميس على أنه :

أ - إنعدام الإيمان بالأديان ، إما لعدم توفر المعلومات ، وإما أن يكون بصورة متعمدة ٠

ب- عدم إحترام فكرة إتخاذ الدين كفكرة مركزية لتنظيم حياة الإنسان ٠

جـ- إختيار طريقة وأسلوب في الحياة لا تتماشى مع الدين ٠

وببساطة شديدة أن الإنسان اللاديني ينكر الأديان جميعها ، ويرى أنها لا تصل بالإنسان لله ، ويسير حسب هواه لا يتقيد بمبادئ الدين ٠

اللاادرية : بين الإيمان والإلحاد تقف " **اللاادرية** " ، ولسان حال الإنسان اللا أدري : لا أدري ٠٠ هل الله موجود ؟ ٠٠ هل الله غير موجود ؟ ٠٠ لا أدري ولا أعرف ، هل هناك عالم آخر ؟ ٠٠ هل هناك أرواح ؟ ٠٠ هل هناك ثواب وعقاب ؟ ٠٠ لا أدري ، فكل معرفة هي معرفة نسبية وليست أكيدة ، ولا يمكن الجزم بأمر ما ، فما أراه أنا صائباً يراه غيري خاطئاً ، والعكس قد يحدث ، بل أن

حكم الإنسان في أمر ما قد يختلف من وقت لآخر ، ومن ظـروف لأخرى ، ولذلك فالأفـضل أن أقـول أننـي لا أدري ، والإنـسان اللادري مثل إنسان أعمى تائه لا يدرك طريقه ، وكريشة في مهب الرياح تحملها كيفما تشاء ، والفكر اللادري لا يشبع الإنسان ، بـل يجرده من شخصيته ويتركه في متاهة ، ولن يعفيه مـن مواجهـة المصير المحتوم عندما يقف الإنسان ليعطي حساباً أمام منبر الديان العادل .

وقد زاد الإلحاد واستشرى منـذ القـرن الـسابع عـشر فصاعداً ، ولاسيما في دول أوربا ، وبالأكثر في روسيا ودول الكتلة الشرقية ، **فهناك عوامل زكّت نيـران الإلحـاد وسـاعدت علـى إنتشاره ، نذكر منها الآتي :**

الفصل الأول : الصراع البروتستانتي الكاثوليكي .

الفصل الثاني : نظرية التطوُّر والبقاء للأصلح .

الفصل الثالث : الظلم والطغيان .

الفصل الرابع : شهوة الكبرياء .

الفصل الخامس : الكوارث والحروب والعقاب الأبدي .

الفصل السادس : الخلط بين المسيحية والشيوعية .

س٢ : كيف أفضى الصراع البروتستانتي الكاثوليكي ، ولاسيما حرب الثلاثين عاماً ، إلى كراهية الله ؟

ج : دعنا ياصديقي نتطرق إلى الجذور ، ونعرض باختصار شديد قصة الأب الأغسطينوس الأغسطيني الذي وُلِد بألمانيا في ١٠ نوفبمر ١٤٨٣م ، وعاش طفولة قاسية معذَّبة في أسرة فقيرة تضم الوالدين وسبعة أبناء ، تعاني من قلة الدخل ، وقد لاقى هذا الأبن معاملة سيئة في البيت والمدرسة ، فتارة ضربته أمه بالسوط حتى أنفجر الدم من جسده بسبب حبة جوز ، وتارة ضربه والده ضرباً مُبرحاً ، حتى أنه لم يأنس إليه إلاَّ بعد عدة أيام ، وفي يوم واحد ضُرِب في المدرسة خمسة عشرة مرة ، وعندما شبَّ تعرض لعدة حوادث جعلته يقف مواجهة أمام الموت ، فتعرَّض أحد أصدقائه للمرض والموت ، وأُغتيل صديقه " ألكسيس " في ظروف غامضة ، وفي سنة ١٥٠٣م أثناء عودته من الجامعة سقط في حفرة وتعرَّض للنزيف الحاد ، وفي ٢ يوليو ١٥٠٥م أثناء عبوره الغابة

في ستوترنهايم ، هبت عاصفة شديدة ، صاحبتها البروق والرعود بصورة مرعبة ، وسقطت بجواره صاعقة كادت تصعقه ، واقتلعت العاصفة الهوجاء شجرة ضخمة وطرحتها أمامه ، فسقط على الأرض فزعاً ، وفي هذه اللحظة المأسوية نذر نفسه للرهبنة متشفعاً بالقديسة حنة أم العذراء مريم قائلاً "*ياقديسة حنة .. إذا أنقذتيني سأكون راهباً بقية حياتي* " وفعلاً بعد أن أنهى دراسته ، دخل إلى دير القديس أوغسطين تاركاً منصبه كأستاذ في الجامعة ، ولكن هذا النذر كان قسراً ، وهو ما عبَّر عنه فيما بعد الأب أغسطينوس عندما كتب لوالده يقول "*أتذكَّر .. أني قلت لك أن دعوة مخيفة من السماء قد وُجهت إليَّ ، فلم أصر راهباً رغبة مني أو مسرة في الرهبنة بل دُفعت بطريقة لا تُقاوم للنطق بهذا النذر* " [١] فدعوة الرهبنة المُفرحة للقلب كانت بالنسبة لهذا الراهب دعوة مخيفة أنقضت عليه من السماء ، ولهذا لم ينجح في حياة الرهبنة ، فمعاملة والديه ومدرسيه القاسية طبعت صورة سيئة للغاية عن الله في ذهنه ، فلم يرَ في الله الأب المُحب الباذل طويل الأناة ، إنما رآه الإله القاسي المنتقم الجبار الذي يسر بهلاك الإنسان ، وقد أعدَّ له النار الأبدية ، فصار هذا الراهب مرتعباً من العقاب الإلهي ، فاقد

---

(١) القس حنا جرجس الخضري – مارتن لوثر ص ٣٥

الرجاء ، ناقماً على الله وثائراً ضده ، ولهـذا عنـدما رآه مرشـده الروحـي " **يوحنا ستوبيز** " عابساً خائفاً قال له : "*لـيس الله هـو الغاضب عليك أو الثائر ضدك ، بل أنت الغاضب والثائر ضد الله* " .. وهكذا كانت حياة الراهب أغسطينوس ، فقال : " *عندما قمـت بخدمة أول قداس لي شعرت أني على حافة الموت* " وكان يـصف حالته بأنه يعيش مُحطَّم حزين ، عندما يصلي تحيط به الـشياطين ، ولا يجرؤ على إنتهارها ، وانتهى به المطاف إلى كراهيـة الله ، فقال : "*لم أستطع أن أحب هذا البار بل كرهته* ".

وترك الراهب أغسطينوس الأغسطيني ديره وعـاد إلـى حياته العلمانية ، ولم يكن هذا الراهب سوى " **مارتن لوثر** " الـذي يدعونه قائد الإصلاح ، **وهنا قد يتساءل أحد الأحباء البروتستانت : ما هذا التعصب الأرثوذكسي وما هذا الشطط ؟ ما علاقة المُـصلح بالإلحاد ؟! .. وهذا ما سنراه حالاً الآن.**

ومن الجانب الآخر قد ساد **الفساد في الوسط الكـاثوليكي** فتفشت الرشوة والسيمونية وصكوك الغفران ، وإنتـشر الإنحـلال الخُلقي حتى بيـن المستويات الدينية الكاثوليكية .. إلخ وكل هذا قد أثار **لوثر** ، فعلَّق ٩٥ إحتجاجاً على باب كاتدرائية ويتمبرج في ٣١

أكتوبر ١٥١٧م ، وقد أعتبر الأخوة البروتستانت هذا اليوم هو بداية تاريخ الإصلاح٠

وفي ١٠ ديسمبر ١٥٢٩م خرج **لوثر** على رأس حشد من الأصدقاء وأساتذة جامعة ويتمبرج ، حيث **أحرق كتب القانون الكنسي** ، ثم ذرى رمادها في مياه النهر ، أمام حشود الشعب الألماني التي أخذت تهتف بأن " ألمانيا ليس ذيلاً للبابوية "٠ وبهذا أشعل **لوثر** نيران الحقد في قلوب الشعب الألماني ، ولاسيما الفلاحين والعمال الذين أشتعلوا غضباً ضد الإكليروس والأمراء ، وقد شجعهم **لوثر** على هذا فكانت **ثورة الفلاحين** ، وأصدر لوثر تحذيره للأمراء قائلاً أن غضب الفلاحين يعلن لكم غضب الله ، فاندفع الفلاحين في ثورة رهيبة نحو قصور الأمراء يقتلون ويسلبون ويحرقون ويهدمون ويدمرون ، وفي ٢٦ أبريل ١٥٢٤م أصدر **لوثر** بيانه للفلاحين "*تقدموا ٠٠ تقدموا إلى الأمام ٠٠ ولتظل سيوفكم ساخنة بالدماء بدون شفقة* " ولكن الأمور لم تسر حسب هوى الفلاحين ، حيث أسرع الأمراء باستئجار بعض المحاربين الإيطاليين ، وإنقلبت الدفة على الفلاحين ، والأمر المدهش أن **مارتن لوثر** غيَّر إتجاهه ١٨٠ درجة ، إذ صرخ صرخته التي سجلها له التاريخ ، قائلاً للأمراء والمحاربين "*قاتلوا* هؤلاء

الفلاحين ككلاب مسعورة "[1] وكانت نتيجة الضحايا من الطـرفين ١٠٠ ألف قتيل •

وفي سنة ١٥٢٦م **أحاط بأسوار روما** عشرون ألف مقاتـل ألماني وأسباني ، وفتحوا ثغرة في السور ، ويقف اللسان عاجزاً عن وصف ما فعله هؤلاء الجنود بالقصور التي سلبوها وقتلوا من فيهـا وأشعلوا النيران بها ، والكنائس التي حوّلوهـا إلـى إسـطبلات للخيول ، وما تعرّض له الأكليروس من عـذابات رهيبـة وقتـل وتشريد ، وما تعرّضت له الراهبات اللاتـي إنتزعهنّ الجنود مـن أحضان الأديرة ، وأرغموهنّ علـى الزواج ، وظل الجنود يهتفون "*لوثر بابا روما* "ويقول " **دكتور عزت زكي** " : "*يقـول مـؤرخ معاصر (للأحداث) عن قصة شـاهد عيـان : وتـدفق الألمـان والأسبان ينهبون ويقتلون دون مراعاة لأي إعتبار ، حتى الأطفـال والنساء ، ولم تشفع لهم إسترحاماتهم ودموعهم وعبثاً حاول القـواد إيقاف الجند – الثملين بخمرة النصر – والويل كل الويل لمن كـان يقع في أيديهم من الكرادلة الذين لم ينجحوا في الهرب ، فقـد كـان نصيبهم السحل في شوارع روما حتى الموت • وشُوهدت جماعـة تمسك بأحد الأساقفة ، كلّلت رأسه بأغصان الشجر وعرضـته فـي*

---

[1] القس حنا جرجس الخضري – مارتن لوثر ص ١٣٥

السوق للبيع كالسوائم ، قبل الإجهاز عليه.

أما الكنائس فقد تحوّلت إلى إصطبلات للخيل ، وتكدّست الخيول داخل كنيسة القديس بطرس وخارجها ، والويل للراهبات والعذارى ، فلقد كان الجند ينتزعونهن إنتزاعاً من الأديرة ومن أحضان أمهاتن " [1] وكان نتيجة أقتحام روما قتل ثلاثة وخمسين ألف نفس وهكذا وُلدت البروتستانتية في حلبة الصراع مع الكنيسة الكاثوليكية (راجع كتابنا : ياإخوتنا البروتستانت .. هلموا نتحاور جـ١ ص ٨ – ٥٢).

وبعد **نحو قرن من الزمان** من الصراع غرقت أوربا في صراع عنيف وحروب طاحنة عُرفت **بحرب الثلاثين عاماً** من ١٦١٨ – ١٦٤٨م **بين البروتستانت والكاثوليك** ، ونجم عنها خسائر بشرية فادحة ، فمثلاً قُتل في أيرلندا نحو مائة ألف رجل ، وقُتل ثلث رجال ألمانيا ، وانتهت هذه الحروب بسلام " **وستفاليا** " Westphalia الذي أقرَّ الحرية الدينية للجميع ، لكيما يعيش اللوثريون مع الكالفنيين مع الكاثوليك في سلام ، ولكن **من نتائج هذا الصراع البروتستانتي الكاثوليكي الطويل المرير القاسي أن كَرِه الناس الدين والعقيدة والكتاب المقدَّس ، بل كرهوا الله**

---

[1] تاريخ المسيحية – المسيحية في عصر الإصلاح (٣) ص ٧٨ ، ٧٩

ذاته .

ورأى البعض أن كراهية " **مارتن لوثر** " لليهود ربما قد إنتقلت إلى " **هتلر** " ففعل بهم ما فعل من المحارق ، مما كان له تأثيره في إمتداد موجة الإلحاد ، فيقول " **ريتشارد دوكنز** " : "*أن الكُره المسيحي لليهود ليس فقط تقليداً كاثوليكيا ، بل مارتن لوثر كان معادياً للسامية (الشعب اليهودي) ، وكتب يقول { يجب طرد جميع اليهود من ألمانيا } وكتب كتاباً كاملاً عن اليهود وأكاذيبهم ، والذي ربما كان له تأثير على هتلر . لوثر وصف اليهود بـ " ذرية الأفاعي " ونفس العبارة أُستخدمت من قبل هتلر في خطابه المشهور عام ١٩٢٢م الذي كرَّر فيه مراراً بأن مسيحي :*

شعوري كمسيحي يوجهني نحو إلهي ومخلصي كمحارب .. وبحب لا متناه كمسيحي وكرجل أقرأ من خلال العبارات التي تقول لنا كيف أنتصب الإله في قدرته أخيراً وأخذ السوط بيده لطرد ذرية الأفاعي من المعبد . كانت حربه مثالاً مثالياً للعالم ضد السم اليهودي ، واليوم بعد ألفي عام ، وبأعمق العواطف ، أعرف بثقة لم أعرفها قبلاً بأنه من أجل ذلك قد بذل دمائه على الصليب .. "[1].

---

[1] وهم الإله ص ١٢٧

س٣ : كيف كانت حيـــاة داروين ؟ وكيف أنكر ثبات الأنواع ، ونظرية الخلق الإلهي ؟

ج : **وُلِد شارلز روبرت داروين** في ١٢ فبراير ١٨٠٩م مــن أب طبيب وأم من أسرة غنية ، وعندما دخل المدرسة كان يهتم بالصيد وإقتناص الفئران ومطاردة الكلاب ، وجمع الأصـــداف والأحيـــاء البحرية والحشرات والطيور ، وكان شغوفاً بالتجارب الكيميائية مما أثر في دراسته ، فاتهمه مدرســـوه بأن متبلد الذهن ، وعندما ألحقه والده **بكلية الطب** بأسكتلندا ورأى غرف العمليات وجثـــث المـــوتى كَرِه الكلية وتركها بعد عامين ، فأرسله والده إلى **كلية اللاهوت** في كامبريدج في أكتوبر ١٨٢٧م فحصل على المؤهل بعد ثلاث سنوات إكراماً لوالده ، وقال عن هذه السنوات أنها كانت ضياعاً للوقـــت ، وعشق **داروين** دراسة **التاريـــخ الطبيعـــــي** ، وإلتـــصـــق بعـــالِم النبات " **جون هنسلو** " الذي ذكّاه ليصحب سفينة الأبحـــاث البحرية " **بيجل** " التي أقلعت في ٢٧ ديسمبر ١٨٣١م إلى جنـــوب المحـــيط الأطلنطي والمحيط الهادي لمدة خمس سنوات ، وإشـــتغل دارويـــن

بجمع عظـــام الحيوانات وأحضرها إلى إنجلترا ، وقد إنتهت هـــذه الرحلة في ٢ أكتوبر ١٨٣٦م.

وقـــــد أمضى **داروين** السنوات الطويلـــة فـــي بحـــث النباتات والحيوانات وعظامها ، وإنتهى إلـــى نظريـــة " **الإنتخـــاب الطبيعــــــــي** " Natural Selection أو " **البقـــاء للأصـــلح** " Survival of the fittest فالكائنات التي إســـتطاعت أن تتكيـــف تلقائياً مع البيئة هي التي إستمرت وعاشت وتكاثرت. أما الكائنـــات التي فشلت في التوافق مع البيئة فقد ماتت وإنقرضت ، وعلى مدار ملايين السنين تطوَّرت الأنواع الأدنى ، **وأن الإنـــسان هـــو ثمـــرة تطوُّر الأنواع الأدنى.**

وقد تأثر **داروين** بالقس الإنجيلي **توماس مالثوس** الذي قال أن السكان يتزايدون بمتوالية هندســـية (٢ – ٤ – ٨ – ١٦ – ٣٢ .. إلخ) أما الغذاء فأنه يتزايد بمتوالية عددية (٢ – ٤ – ٦ – ٨ – ١٠ .. إلخ) مما يقود للصراع من أجل البقاء ، ولـــذلك نـــادى القس مالثوس **بقانون الفقراء اللاإنساني** ، حيث قـــال "*لا يـــستحق البقاء إلاَّ من هم أقدر علـى الإنتاج. أما أولئك الذين وهبتهم الطبيعة حظاً أدنـى لهم أجدر بالهلاك والإختفاء* " وأعتبر أن مـــوت الفقـــراء

من الجوع يعتبر قضاء وتدبير إلهي ، وبهذا برَّر القس مالثوس الثراء الفاحش ولم يتراءف على الفقراء ، وعندما قامت الثورة الفرنسية ونادت بالإخاء والمساواة والحرية هاجمها مالثوس معتبراً أن هذه أمور خيالية ، ونتيجة أفكار مالثوس أوصت بعض الطبقات الحاكمة في أوربا بإهمال الفقراء وتركهم فريسة للجوع والمرض حتى يتخلص منهم المجتمع • بل أجبرت إنجلترا الأطفال في سن الثامنة والتاسعة على العمل لمدة ست ساعات يومياً في مناجم الفحم في ظروف صحية سيئة مما تسبب في هلاك الآلاف منهم •

وطبق " **داروين** " فكر " **مالثوس** " وهو " **الصراع من أجل البقاء** " على المجتمع الحيواني ، وتوصل إلى فكرة **الإنتقاء الطبيعي** ، فالطبيعة تختار الأصلح والأقوى للبقاء على حساب الضعفاء ، وقال داروين رغم أن التكاثر يتم بمعدل كبير فإن الصراع من أجل البقاء هو الذي يضمن لجزء فقط من هذا النسل البقاء بينما يهلك الجزء الآخر ، وبذلك ظهرت نظرية **النشوء والإرتقاء** • وأطلق " **هيربرت سبنسر** " صديق داروين على نظرية الإنتقاء الطبيعية " **البقاء للأصلح** " وقَبِل داروين هذا الإصطلاح ، وإعترض على القائلين بأن الله خلق الطيور الجميلة والأسماك البديعة ، وأرجع هذا **للإنتقاء الجنسي** ، فالذكور القوية الجميلة من

الطيور والحيوانات هي التي تستأثر بالإناث وتنجب جيلاً قوياً ، أما الذكور الضعيفة فمصيرها للإنقراض .

ورغم أن داروين ألَّف أكثر من عشرة كتب ، ولكن كتابه " **أصل الأنواع** " The Original Species الذي أصدره سنة ١٨٥٩م قد أثار ضجة كبيرة ، وقد طبع منه ١٢٥٠ نسخة ، وفي اليوم الأول لصدور الكتاب نفذت جميع نسخه ، رغم أن النسخة كانت تقع في ٤٩٠ صفحة ، وهذا يوضح مدى تجاوب المجتمع حينذاك مع فكر داروين .

وقد أنكر داروين في كتابه هذا **ثبات الأنواع** ، أي أن الله خلق كل نوع منفصلاً عن الآخر كقول سفر التكوين "***وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض. وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه وشجراً يعمل ثمراً بذره فيه كجنسه.. فخلق الله التنانين العظام كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه*** " (تك ١ : ١١ ، ١٢ ، ٢١).

بل أن داروين قال أن لله لم يخلق النباتات ولا الأسماك ولا الطيور ولا الحيوانات ولا الإنسان ، ولا أي كائن حي ، بل كل ما

فعله هو أنه أبدع **جرثومة واحدة** ، وهذه الجرثومة أخذت تتفرع وتتنوع عبر ملايين السنين ، وبذلك نسب داروين خلقة الكائنات الحية للطبيعة قائلاً " ***الطبيعة تخلق كل شئ ولا حد لقدرتها على الخلق*** " [1] لقد أنكرت نظرية التطور حقيقة " الله خالق كل شئ " وحقيقة أن الله خلق جميع الأنواع كما نراها اليوم.

وأقامت آراء داروين العالم ولم تقعده ، ففي مؤتمر تقدم العلوم البريطاني بأكسفورد دارت مناقشة حادة بين " **هاكسلي** " مؤيد داروين ، والذي يعتقد أن الإنسان سليل القردة وبين " **صموئيل ولبرفورس** " أسقف أكسفورد فسأل ولبرفورس هاكسلي قائلاً : *هل يسمح السيد هاكسلي أن يخبرنا : هل كان القرد جده لأمه أو لأبيه ؟* فاحتد هاكسلي عليه ، وختم إحتداده بقوله " *على أية حال فإني أفضل أيها السيد أن يكون القرد جداً من أجدادي عن أن يكون جدي أسقفاً مثلك* " [2] (ومن المعروف أن الأسقف الكاثوليكي لا يتزوج ، ولكن هاكسلي هنا يتهم الأسقف لبروفورس إتهام غير مباشر بالإنحلال الخلقي) ولوّح " **متزوري** " ربان السفينة " **بيجل** " بالإنجيل وسط القاعة لاعناً اليوم الأسود الذي وافق فيه أن يحمل

---

(1) القس عبد المسيح بسيط – الكتاب المقدّس يتحدى نُقّاده ص ١٤ ، ١٥

(2) د. أنور عبد العليم – قصة التطوُّر ص ٥٧

داروين على ظهر سفينته.

وقد إعتزل **داروين** في أواخر حياته البحث ، وتفرغ لكتابة مذكراته ، وقالوا عنه أنه ظل متمسكاً بعقيدته المسيحية ، شغوفاً بقراءة الكتاب المقدَّس ، حتى أن " **الليدي هوب** " إحدى شريفات إنجلترا عندما إلتقت به وجدته يقرأ الرسالة إلى العبرانيين ، وتقول **الليدي هوب** "*فلما دخلت عليه وجدته جالساً على فراشه .. وكان يشخص ببصره إلى الغابات وحقول الحنطة ، فسرَّ عندما دخلت عليه وأشار بيده الواحدة إلى النافذة التي كان ينظر منها إلى ذلك المنظر البديع ، بينما كان يمسك بيده الأخرى الكتاب المقدَّس الذي كان يطالع فيه على الدوام مدة ملازمته الفراش ، فلما جلست بجانب فراشه إبتدرته بالسؤال ماذا تقرأ ياأستاذ ؟ فأجابني : العبرانيين وهو السفر الملوكي ، ألا ترينه ملوكياً وعظيماً بحق ؟ ثم وضع إصبعه على بعض الأعداد وأخذ يقرأ ويشرح ، فأشرت إلى بعض أفكار الناس عن الإصحاحات الأولى من سفر التكوين ، فظهر عليه الملل والضجر وحرك أصابعه بسرعة وإنفعال ، وقال بصوت الحزين الأسف [لما كنت صغيراً لم يكن لي فكر خاص ، فنبذت عني كل المباحثات والأسئلة والظنون وكنت أتعجب كل الوقت من كل شئ ، ولزيادة دهشتي أنطلقت أفكاري هذه كالنار بين الناس وسرعان ما*

كونوا منها ديناً غير ديني } ثم صمت ونطق بجمل مختصرة عن قداسة الله وعظمة الكتاب المقدّس وهو ينظر إلى الكتاب الذي بيده ويشير إليه " [1]. ثم قال داروين لليدي هوب وهو يشير إلى الحديقة : *إنني أملك بيتاً صيفياً ، فأرغب إليك من كل قلبي أن تذهبي إليه ، وتعقدي إجتماعاً دينياً لأني أعرف أنك تعقدين إجتماعات دينية في القرى لقراءة الكتاب المقدّس ، فآمل أنك غداً بعد الظهر تعقدين إجتماعاً للعمال الذين يشتغلون هناك* ، وعندما سألته : *هل أخاطبهم* عن .. قاطعها قائلاً : *يسوع المسيح وعن خلاصه. أليس هذا أفضل موضوع ، وطلب منها أن ترتل معهم على الموسيقى ، وقال : إذا إبتدأت بالإجتماع الساعة الثالثة بعد الظهر ، فإن هذه النافذة ستكون مفتوحة ، وتأكدي إني أشترك معكم في التراتيل* (راجع الإخاء والسلم بين الدين والعلم ص ٦٠ ، ٦١).

ومات داروين يوم ١٩ أبريل ١٨٨٢م ، وفي ٢٤ أبريل شُيعت جنازته في موكب ضخم من المؤدين والمعارضين ، وحمل جثمانه عشرة من كبار العلماء منهم إثنان من العائلة الملكية ، ودُفن في مقبرة الخالدين بكنيسة وستمنسر بجوار **إسحق نيوتن** ، وبينما

---

[1] الأسقف إيسيذورس – الإخاء والسلم بين الدين والعلم ص ٥٨ - ٦٠

إمتدحه الكثيرون ، زمّه الآخرون ، وقال عند الدكتور **موريس بوكاي** ، الذي طالما هاجم الكتاب المقدَّس "*كان داروين دائماً وثناً من أوثان الترسانة الإلحادية ، كان دائم الإستعداد لدعم أية أفكار تدعم ما يذهبون إليه* " [١].

وذهب الداورنيون إلى أكثر ما ذهب إليه هو ، وأصبحوا ملكيّين أكثر من الملك ، فيقارن **الدكتور كمال شرقاوي غزالي** بين داروين وأتباعه قائلاً "*ولم يفقد داروين نفسه في سبيل نظرية التطوّر ، ويتنحى عن عقيدته الأصلية المسيحية ، كما فعل كثيرون مما أُعجبوا وفتنوا بنظريته .. كان البعض من المفتونين بسحر النظرية يساهمون في تفسير بعض الأمور المتعلقة بها ، فعملوا على إدماج الفروض العلمية في هيئة دين ، **ومن هنا نمت شجرة الكُفر والإلحاد** ، **وإستهوى ذلك الكثيرين ليستظلوا بظلها** أمثال أبسن ، وويلز ، وبرجسون ، وبرناردشو* " [٢].

س٤ : كيف أثرت نظرية داروين على الإيمان بالله ، والكتاب المقدَّس ، وحياة الإنسان ككل ؟

---

[١] ما أصل الإنسان ؟ ص ٤٥

[٢] التطوُّر بين الضلال وممارسة حق النقد ص ٢٩ ، ٣٠

ج : كان لنظرية داروين تأثيرها السلبي الشديد ، فجنحت بالإنسان نحو الإلحاد ، وطعنت في الوحي الإلهي ، وأرست شرعية الصراع والبقاء للأصلح ، وساعدت على نشر الفلسفة المادية :

١- **إنكار الله الخالق** : يرى " **جوليان هكسلي** " أن نظرية التطوُّر جعلت الإنسان يشعر أنه ذوي قربة للكائنات الأخرى من نباتات وحيوانات ، لأنه عاش هذه الأطوار قبل أن يصل إلى مرحلة الإنسانية ، فيقول "*أن الإنسان يعرف الآن أنه ليست ظاهرة معزولة منفصمة عن بقية الطبيعة بسبب إنفراده الذي لا مثيل له .. ولكن على الرغم من كل تميزه عن سائر الكائنات إلاَّ أن وشائج (روابط) من الإستمرار الوراثي تربطه بكل سكان كوكبه الآخري الأحياء ، والحيوانات والنباتات ، والكائنات الحية المصغرة Micro - organisms هي أبناء عمه جميعاً ، وتمُت إليه بصلة قربى أكثر بعداً وهي جميعاً أجزاء لمجرى واحد متفرع ومتطور من البروتوبلازم* " [١].

ويقول " **دكتور كمال شرقاوي غزالي** " : " *عندما ظهرت نظرية داروين كانت بمثابة قنبلة فكرية هزت العالم أجمع ، وقلبت*

[١] د. رمسيس عوض – ملحدون محدثون ومعاصرون ص ١٢٠

المفاهيم رأساً على عقب .. كان الغرض الخفي (من هذه النظرية) هو هدم العقائد المقدّسة والقضاء عليها ، وبالفعل سادت موجة عجيبة من الإلحاد " كما يقول أيضاً "*لقد عرف ماركس ولينين ما في إفتراضات داروين من إتجاه نحو المادية والإلحاد ، ولم يكن ثمة حد لإعجابهما بداروين وأفكاره ، فشيّدوا متحفاً في قلب موسكو للداروينية وتمجيد داروين ، ولكي تكون الخطة مُحكمة لإنطلاق الماركسية على أساس نظرية داروين .. من هنا كانت أفكار داروين عوناً ومدداً لترسيخ المادية والإلحاد في المواجهة التي كانت دائرة بين العلم والدين* " [١].

لقد أنكر الدارونيون خلق الله للإنسان الأول (آدم وحواء) وبالتالي أنكروا سقوط الإنسان في الخطية الجدية ، وفساد الطبيعة البشرية ، وبالتالي فليس ثمة حاجة للمسيح المخلص الفادي ، فمن أي شئ يُخلّص مادام لم يكن هناك خطية ولا سقوط ولا فساد للطبيعة البشرية ؟! وأرجع الدارونيون تدني الأخلاق البشرية إلى أصل الإنسان الحيواني ، فالإنسان في نظرهم قد ورث عن جده الحيوان الغرائز البهيمية التي تؤثر على سلوكه ، كما أرجع

---

[١] التطوُّر بين الضلال وممارسة حق النقد ص ٧٤

التطوُّريون مبادئ الأخلاق والأدب إلى تطوُّر الإنسان من الناحية الأدبية .

ويرى " **جوليان هكسلي** " أن الإنسان هو الذي صنع الله من خياله ، وأضفى عليه صورة الأب والقداسة فيقول : " *والإنسان التطوري لم يعد يستطع الفرار من وحدته بالإحتماء نحو مأوى يقيه أحضان إله من صنع الإنسان نفسه ، خلقه في صورة أب مضفياً عليه ألوان القداسة* " (١).

ولنا عودة لهذا الموضوع في الكتاب الثاني (ثمار الإلحاد).

٢- **إنكار الوحي الإلهي** : خالفت نظرية التطوُّر الكتاب المقدَّس في قضيتين مهمتين :

١) قالت نظرية التطوُّر بأن الإنسان وليد النشوء والإرتقاء ، وبذلك خالفت قول الكتاب بأن الله جبل الإنسان على صورته ومثاله من تراب الأرض ، ونفخ في أنفه نسمة حياة "***فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم*** " (تك ١ : ٢٧) ..

---

(١) د. رمسيس عوض – ملحدون محدثون ومعاصرون ص ١٢٠

" وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة . فصار آدم نفساً حيَّة " (تك ٢ : ٧) .

٢) قالت نظرية التطوُّر أن الأنواع غير ثابتة ، بل تتطوَّر وتتغير ، وبذلك خالفت قول الكتاب بأن الله خلق الأنواع ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، فكل عشب وبقل وشجر " ***يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بذره فيه*** " (تك ١ : ١١) .. " ***كل ذوات الأنفس الحيَّة الدبَّابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه*** " (تك ١ : ٢١) .

وبذلك أنكرت نظرية التطوُّر وحي وعصمة الكتاب المقدَّس الذي يؤكد على خلق السموات والأرض ، وقد أصدر " **جوليان هكسلي** " كتابه " إطار المذهب الإنساني " سنة ١٩٦١م ، وشارك في تأليف هذا الكتاب خمسة وعشرون عالماً ، وقال **هكسلي** في مقدمة هذا الكتاب " *أن الأرض لم تُخلق بل تطوَّرت . وهذا هو الحال مع سائر الحيوانات والنباتات التي تسكنها بما فيها نفوسنا البشرية وما فيها من عقل وروح ومُخ وجسد . وهذا هو الحال مع*

الدين كذلك " [١].

وقال الأسقف " **صموئيل ولبرفورس** " (١٨٠٥ – ١٨٧٣م) أن " *مبدأ داروين للإنتحاب الطبيعي لا يتفق مُطلقاً مع (كلمة الله) فلقد أعطت نظرية التطوُّر لأعداء المسيحية في ذلك الحين وقوداً لهجومهم على الكنيسة* " [٢]..

وقال " **نوبل لورييت جاك مونود** " Monod في كتابه " الصدفة والحاجة " أنه لا يوجد إله وأن العهد (الميثاق) القديم قد إنهار ، فقد عرف الإنسان أخيراً أنه وحيداً في هذا الكون الشاسع المُوحش ، وأنه لم يوجد فيه إلاَّ عن طريقة الصدفة (Jo Monod, Chance and Necessity p. 167).

ويقول " **الدكتور كمال شرقاوي غزالي** " : " *وهنا بدا للناس أن النظرية تتعارض مع النصوص الدينية ، وبالذات نصوص العهد القديم ، التي تقرر بوضوح كامل أن الأنواع ثابتة وأنها غير قابلة للتغيير . ولما كانت للناس في ذلك الوقت كراهية متأصلة للتعاليم الدينية والكنسية ، فقد بدأ الإقتناع بصحة النظرية يغلب على*

---

[١] د. رمسيس عوض - ملحدون محدثون ومعاصرون ص ١٢٠

[٢] الدكتور القسم جون لوريمر – ترجمة عزرا مرجان – تاريخ الكنيسة جـ ٥ ص ٥٦

الإقتناع بالتعاليم الدينية ، وصارت النظرية والدين في طرفي نقيض ، وأدى إقناع الناس بالنظرية إلى أن قالوا بثبوت خطأ التوراة ورفض النص الكامل للإنجيل ، ودار صراع بين العلم والدين " [1]. **ولنا عودة لهذا الموضوع في الكتاب الثاني (ثمار الإلحاد) .**

٣- **شرعية الصراع** : لقد أدخلت نظرية التطوُّر الإنسان في صراع قاسٍ من أجل البقاء ، بدلاً من التعاون بين البشر ، مع أن الأصل هو التعاون بين البشر ، وما أجمل قول " **ألبرت أينشتاين** " عن خلق الإنسان ، حيث يقول " *غريب وضعنا على الأرض وكل منا يأتي في زيارة قصيرة ، لا يعرف لماذا ؟ ولكن في بعض الأحيان يبدو بأن هناك سبباً مقدَّساً ، من وجهة نظر الحياة اليومية . على كل حال ، هناك أشياء نعرفها بأن الإنسان هنا من أجل الإنسان الآخر ، وقبل كل شئ لأجل هؤلاء الذين نعتمد على سعادتهم وابتساماتهم لإسعادنا* " [2].

وزرعت هذه النظرية فلسفة العنف والإعتداء ، فالقوى يجتهد كيما يصعد على أشلاء الضعفاء ، وتمخضت النظرية عن

---

(١) التطوُّر بين الضلال وحق النقد ص ٣٨ ، ٣٩

(٢) أورده ريتشارد دوكنز – وهم الإله ص ٩٩

فلسفة " **نيتشه** " التي كان له الباع الأكبر في الفاشـية والنازيـة ، وسيادة الجنس الأري على جميع الأجناس ، فأثارت هـذه النزعـة الحروب ونشرت الدمار ، وجاء في كتاب علـم الأحيـاء للـصف الثالث الثانوي ١٩٩٠ / ١٩٩١م ص ٢٣٧ "*ومما هو جدير بالذكر في هذا المجال الآثار التي أدت إليها نظرية داروين وبخاصة فـي مجال الفلسفة والسياسة والعلاقات البشرية. فقد ترتبت على نظرية الإنتحاب الطبيعي ما يمكن أن يُسمى " فلسفة الإعتداء " أو فلـسفة " العنف والإغتصاب " وتجاوباً وإطمئناناً إلى هذه الفلسفة التي سـاعد الفيلسوف الألماني نيتشه Nietzche (١٨٤٤ – ١٩٠٠م) علـى رواجها فدخل العالم في غمار حروب عامة منها حـرب الـسبعين عاماً والحربين العالميتين الأولى والثانية ، فقد أثـارت النزاعـات العدائية والحروب وأطلقت الشعارات بسيادة جنس على آخر* " [١].

ويقول " **أيريل كيرنز** " : "*لقد أُستخدمت نظريـة التطـوُّر Evolution لتبرير فكرة سيادة جنس على غيره مـن الأجنـاس ، وذلك لأن هذه الفكرة تتلائم مـع مفهـوم داروين عـن [البقـاء للأصلح] بل وأيضاً أُستخدمت لتبرير عدم الإعتراف بوجود أساس*

---

[١] تاليف د. امين عرفان دويدار وآخرون

مُطلق للأخلاق .. بل تم أيضـــا إستخـــدام نظرية التطوّر لتمجيـــد الحرب باعتبارها ممارسة شرعية لمبدأ البقاء للأصلح " [١].

وقد نجم عن " **الداروينية** " الشيوعية المُلحدة ، وما أكثـــر ضحاياها !! فيقول " **هـــارون يحيـــى** " : *" وإذا أعتبرنـــا المفهـــوم الشيوعي للنزاع الجدلي الذي قتل نحو* ١٢٠ مليون *شخص طـــوال القرن العشرين (إله القتل) يمكننا حينئذ أن نفهم بشكل أفضل حجم الكارثة التي ألحقتها الداروينية بكوكبنا "* [٢].

وقد تأثر **أدولف هتلر** بفكرة الصراع من أجل البقـــاء بـــين الأجناس ، واستوحى منها أفكاره في كتابه " كفاحي " وقـــال عـــن الصراع بين الأجناس *"سوف يـــصل التـــاريخ إلـــى أوجـــه فـــي أمبراطورية ألفية جديدة تتسم بعظمة لا مثيل لهـــا ، وتـــستند إلـــى تسلسل جديد للأجناس تقرره الطبيعة ذاتها "* [٣] كما قال أيـــضاً أن *" الجنس الأعلى يُخضِع لنفسه الجنس الأدنى .. وهو حق نراه فـــي الطبيعة ويمكن اعتباره الحق الأوحد القابل للإدراك "* [٤].

---

(١) ترجمة عاطف سامي برنابا – المسيحية عبر العصور ص ٤٩٠

(٢) خديعة التطوُّر ص ١٣

(٣) هارون يحيى – خديعة التطوُّر ص ١١

(٤) المرجع السابق ص ١١

ويقول " **الدكتور كمال شرقاوي** " : "*وانتقلت فكرة التطوُّر لتصبح منهجاً للبعض ، وجاء هتلر يوما فأعلن عن فكرته النازية في إستيلاد سلالات بشرية قوية ، وإعدام السلالات الضعيفة ، وأتخذت الفاشية الإفتراض المتعلق بالإنتقال الطبيعي والبقاء للأصلح مبرراً للقضاء على بعض الأجناس البشرية ، وأتخذها تجار الحروب مبرراً لهم لأن الحروب تقضي على العناصر الضعيفة وتستبقي العناصر القوية* " [1].



[1] التطوُّر بين الضلال وممارسة حق النقد ص ٣٧

س٥ : ما هي سمات البيئة التي أفرزت لنا الإلحاد ؟ وهل يحق لنا أن نُعامل الملحدين بقسوة ؟

ج : لم يخرج الإلحاد من بيئة مسيحية متدينة تديناً حقيقياً ، إنما نبت من بيئة تدعو نفسها بأنها مسيحية ، وهي ليست كذلك ، لأنها متغربة عن مبادئ الإنجيل السامية ، والبيئة التي أفرزت لنا الإلحاد تتسم من ناحية بتفشي الظلم والطغيان للرؤساء والحكام ، وتتسم من ناحية أخرى بضعف الكنيسة وسلبيتها ، فالحكام يطغون ويظلمون ، ورجال الدين يداهنون ويبرّرون ، والنتيجة الثورة ، فإن لم تكن متاحة بالخارج فبداخل النفس ، الثورة ليس ضد الحكام الجائرين فقط ، بل وضد رجال الدين المداهنين ، بل ضد الدين ذاته وضد الله ذاته ، وهكذا يسقط الأفراد تباعاً في الإلحاد بهدف التمرد على الظلم والطغيان ، بهدف التخلص من الكبت النفسي الذي تعرضوا له ، بهدف السعي نحو الحرية المفقودة.

لقد عاملت كل من الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية الملحدين بقسوة ، مما دفع بهم للعناد والتمسك بآرائهم الإلحادية ،

ففي سنة ١٦٧٠م قال الكاردينال " **ليو بولدد** " للملحدين بأن زمن التسامح قد ولى وفات ، وكم من جرائم أقترفتها محاكم التفتيش ضد الإنسانية ، وهي تعتقد أنها تفعل الصواب دائماً ، فلو عذَّبت إنساناً مبتدعاً أو ملحداً حتى الموت ، فهو يستحق هذا ، ولو عذَّبت إنساناً وكان بريئاً إلى الموت ، فهو يفدي الإيمان الصحيح ، وسيصل إلى الملكوت السمائي ، ولنذكر ثلاثة أمثلة فقط من فرنسا وإنجلترا وإيطاليا :

١- **جيوفري فاليه** Valee : وهو أحد النبلاء في أورليانز بفرنسا وكان حسن الصورة جداً ، مهووساً بطهارة جسده ورونقه ، حتى أنه كان يلبس كل يوم قميصاً جديداً ناصع البياض ، وقبل إعدامه بعامين صرحت عائلته أنه مُختل عقلياً بسبب بعض الخلافات المالية ، لكن تماسك أفكاره في النبذة التي ألفها " ذروة الصفاء الوحي عند المسيحيين " لا يتفق مع هذا الإدعاء ، فقط كانت تنتابه بعض النوبات ، وعندما سجن بسبب هذه النبذة حاول الإنتحار ، وكان " **فاليه** " في هذه النبذة قد أنكر وجود الله ، وهاجم الكاثوليكية والبروتستانتية والإلحاد ، وفضل المذهب الليبرتاني الداعي للتحرُّر الديني (هذا المذهب ينكر الوحي الإلهي ولا ينكر وجود الله) وقد هاجم فاليه الأديان لأنها تبث الهلع والفزع في النفس البشرية ، ولم

يقتنع بأن السيد المسيح هو النموذج الإنساني الكامل ، ورغم أن فاليه كانت معرفته بالكتاب المقدّس سطحية ، فأنه تم تنفيذ حكم الإعدام فيه سنة ١٥٧٤م ، وأُحرق جسده مع تلك النبذة ، ولم تنجو سوى نسخة واحدة منها مع السجل الذي حوى التحقيقات معه ، ويقول عنه " د. **رمسيس عوض** " : " *والغريب فان فاليه الفرنسي الذي أعدم بتهمة الإلحاد لم يكن ملحداً حقيقياً فهو رغم إنكاره للدين يعتقد أنه لا يمكن لأي إنسان عاقل أن يشك في وجود الله* " [١].

٢- **أيكنهد** : وهو طالب أسكتلندي أعدمته إنجلترا في نهاية القرن السابع عشر بسبب إلحاده ، والأمر العجيب أن أيكنهد وهو على حبل المشنقة ألقى خطاباً أعلن فيه عداءه الشديد للدين المسيحي ، وهذا يوضح لنا كم كان هذا الشخص معبأ بأفكار فاسدة لم يجرؤ من قبل أن يفصح عنها ، لأن القوانين في تلك العصور كانت تبيح إعدام الملحدين ، فكان الملحد يحتفظ بأفكاره لنفسه ويحاول أن يذيعها سراً ، وطالما أن مثل هذه الأفكار الإلحادية لم تخرج للنور ، لذلك فلن تجد من يناقشها ويحللها ويرد عليها ، ولن يجد الملحد من يحبه ويستوعبه ويرفع عن كاهله معاناته وقلقه.

---

[١] ملحدون محدثون ومعاصرون ص ١٧

٣- **جيوردانو برونو** (١٥٤٨ - ١٦٠٠م) : وهو إيطالي ، وفي الخامسة عشر من عمره ألتحق بأحد الأديرة ، وعندما شك في بعض الحقائق الإيمانية وعُرف عنه ذلك فرَّ هارباً من الدير ، وتجوَّل في دول أوربا ، ثم تلقى دعوة من شاب إيطالي أرستقراطي يُدعى " **مورسينيجو** " ليتولى تدريسه ، ثم أكتشف **مورسينيجو** مدى ضلال أستاذه فشكاه لمحكمة التفتيش في البندقية لأنه يعتبر يسوع المسيح دجالاً وساحراً لجأ إلى الحيل لخداع الناس ، وأنه ينكر عقيدة الثالوث ، وأن الروح تنتقل من جسد إلى جسد ، وأن السحر أمر جيد لا غبار عليه ، ويسخر من المقدَّسات المسيحية ، ويعتقد أننا لسنا الوحيدين في هذا الكون اللانهائي ، بل أن هناك عدد لانهائي من العوالم الأخرى ، والله لا يكف عن خلق المزيد منها ، ويعتقد بتناسخ الأرواح ، وأن الروح القدس الذي كان يرف على وجه المياه هو روح العالم ، وقام " **مورسينيجو** " بحبس أستاذه " **جيوردانو** " في إحدى غرف القصر إلى أن تم تسليمه للسلطات الكنسية في البندقية سنة ١٥٩٢م ، وجثا " **جيوردانو** " على ركبتيه ، مقدماً إعترافه وإعتذاره قائلاً " *إني أطلب بكل إتضاع من الله ومن قداستكم مغفرة الأخطاء التي أرتكبتها ٠٠ إنني أتوسل إليكم أن توقعوا أقصى عقوبة عليَّ حتى لا أدنس رداء الكهنوت*

الذي أرتديه ، وإن شاء الله وشاءت قداستكم إظهار الرحمة نحوي والسماح لي بأن أعيش فإني أقطع على نفسي عهداً بإصلاح حياتي إصلاحاً كبيراً " [١] وعفت محكمة التفتيش عنه ، إلاَّ أنه رجع لأفكاره بعد ثمان سنوات ، فأمهلوه ثمانين يوماً ، ولكنه ضيَّع الفرصة وأخذ يتلاعب برئيس الكرادلة ، فنزعوا عنه رداء الكهنوت وسلموه للسلطة المدنية مع توصية بتجنب سفك دمه ، ومنحته السلطات المدنية فرصة نهائية أسبوعين ، ولكنه ظل متشبثاً بآرائه وأفكاره ، وأخيراً أُقتيد إلى المحرقة .

وإن كان كل هذا قد حدث في العصور الوسطى المظلمة ، فإن البعض مازال يكن البغضة للملحدين في العصر الحديث . سأل " **روبرت شرمان** " الرئيس الأسبق " **بوش الأب** " عما إذا كان الملحدون يُعتبرون وطنيّين أو حتى مواطنين ، فأجابه **الرئيس بوش** : "*لا . لا أعلم كيف نعتبر الملحدين وطنيين أو حتى مواطنين . نحن أمة واحدة تحت راية الله* " [٢] والحقيقة أن تعبير الرئيس الأمريكي "*نحن أمة واحدة تحت راية الله* " ينطبق على جماعة المؤمنين في الكنيسة . أما في الدولة فالجميع سواسية

---

[١] رأفت شوقي ــ الإلحاد .. نشأته وتطوُّره جـ ١ ص ٥٧ ، ٥٨
[٢] ريتشارد دوكنز ــ وهم الإله ص ٢٥

مؤمنين وغير مؤمنين ويقول أحد الملحدين أنه لا يوجد أمل لأي ملحد أن يرشح نفسه في إنتخابات مجلس النواب أو مجلس الشيوخ ، ولا يوجد أمل على الإطلاق أن يرشح أحد نفسه لرئاسة أمريكا ، وربما هذا القول حق وصحيح إذ كيف يقود إنسان ملحد مجتمع مؤمن وبينهما هذه الهوة السحيقة ؟!.

وعلى كلٍ فإن **الإنجيل لا يقر أبداً القسوة في معاملة المُلحدين** ، ويجب أن ندين الرسائل الإلكترونية القاسية الموجهة ضد الملحدين مثل "*أفضل ما هنالك هو أنك ستتعذب للأبد بتلك الذنوب التي تتجاهلها تماماً. إنتقام الله لن يريك رحمة*" [1] .. "*ياعباد الشيطان التافهون .. أرجوكم موتوا وأذهبوا للجحيم. أمل أن يصيبكم وباء مؤلم مثل سرطان القولون وتموتوا ببطء وألم ، حتى تلاقوا إلهكم الشيطان .. إذا كنتم لا تحبون هذا البلد والأسس التي بُنيت عليها ، أخرجوا منها وأذهبوا للجحيم*" [2] والحقيقة أن الإلحاد ظلمة ، ولكن أيضاً البغضة والسخرية والشتيمة ظلمة ، ولا يمكن أن الظلمة تطرد الظلمة ، إنما شمعة الإيمان العامل بالمحبة هي التي تنير ظلمة الإلحاد.

---

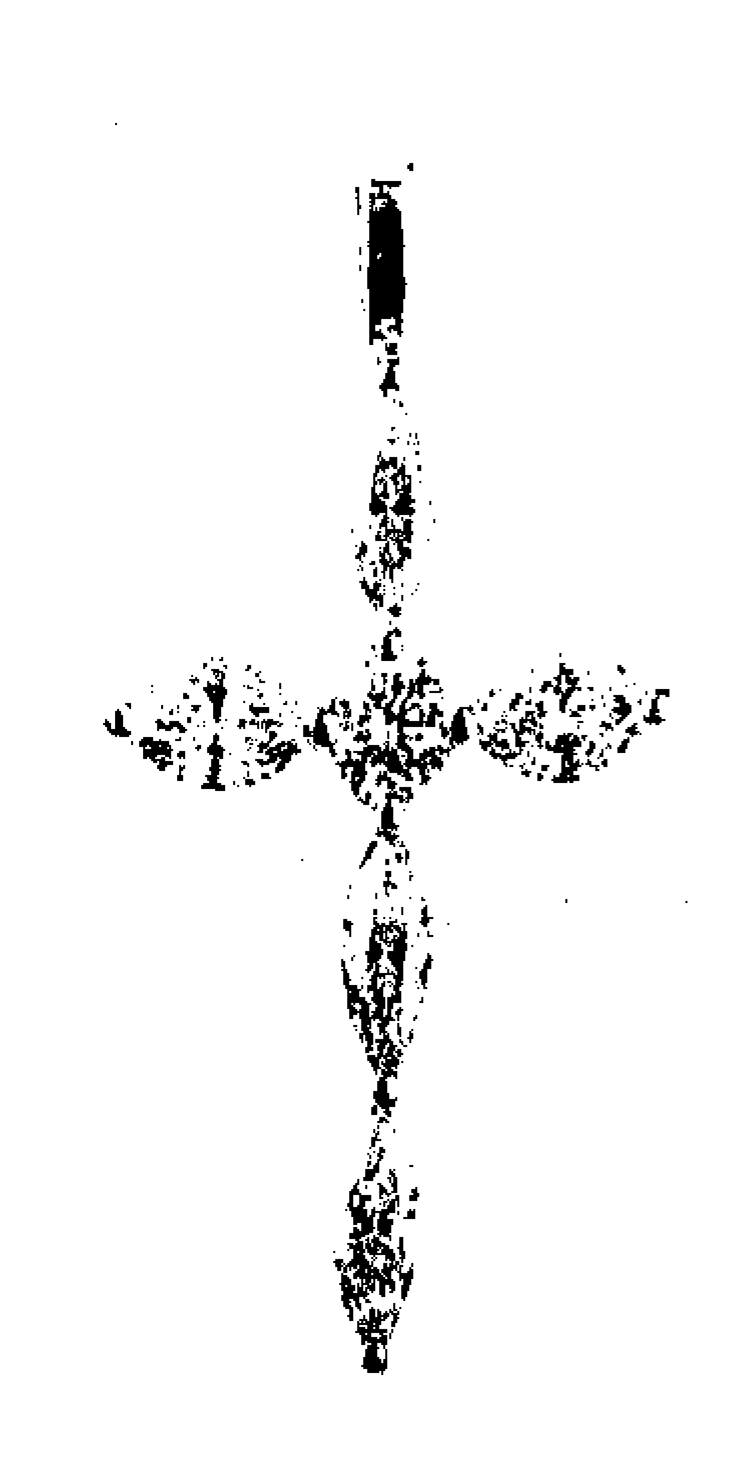
(1) ريتشارد دوكنز – وهم الإله ص ١٠٠

(2) المرجع السابق ص ١٠٠

لقد أفرز لنا ذلك الظلم وذاك الطغيان شخصيات غير سوية أتعبوا البشرية بأفكارهـــم وأفعالهم ، من أمثال كـــارل مـــاركس ، ولينين ، وستالين ، وهولبـــاخ ، وجورج هيجـــل ، وشـــوبنهور ، ونيتشه ، وماوتسي تونج ، وبرتراندراسل ، وجان بـــول ســـارتر ، وغيرهم مما سيكون محل دراستنـــا في الباب الثـــاني ، وإن كـــان الإلحاد هو وليد الظلم والطغيان ، فأنه بعد مـــيلاده أنـــدمج بأبويـــه وأرتبط بهما ، وأُعجب بهما أيما إعجاب ، حتى صـــارت صـــوُرُ العذاب الأحمر سمة من سمات الإلحاد .

إن الإنسان المُلحد يحتاج بشدة إلـــى مـــن يـــستمع إليـــه ، ويصغى إلى صراخ يأسه ، ويأخذ بعين الإعتبار لآرائه وإنتقاداته ، ولا يستخف بأفكاره ، بل يحللها ويوضحها له ، ويركز الأضـــواء على الصورة الحقيقية لإلهنا المحب الوديع المتواضع الذي تنـــازل إلى أن غسل أرجلنا ، ويحترم حريتنا الشخصية إلى أنه مازال يلبث على باب قلوبنا يقرع ، ولن يدخل إلاَّ إذا سمحنا نحـــن ودعونـــاه ، فهو يحترم حريتنا الشخصية إلى أقصى درجة .. الإنسان المُلحـــد يحتاج بشدة إلى الحوار الهادئ لكيما تتضح الحقائق أمامه صـــحيحة وليست مقلوبة (أمحو الذنب بالتعليم) .. الإنسان المُلحد يحتـــاج بشدة إلى من يمد له يد المعونة في حب صادق لكيما ينتـــشله مـــن

الغرق الـــذي يصر عليه ، يحتاج بشدة إلى من ينفذ إلـــى أعماقـــه ليكتشف أسباب إلحاده ، فغالباً ما يُسقط المُلحـــد مـــشكلاته النفـــسية والمادية على علاقاته مع الله ٠٠ الإنسان المُلحد يحتاج حباً صـــادقاً من القلب وصلاة نقية من القلب ، فإن الأيدي المرفوعـــة والركـــب المنحنية ينقذانه من الهلاك الأبدي٠



س٦ : لماذا يلجأ الإنساني الشهواني المتكبر للإلحاد ؟

ج : قيل أن " **وراء كل إلحاد شهوة** " وهذا القول صحيح إلى حد بعيد ، فعندما يسقط الإنسان في الشهوة والشر وهو يعرف أن للشر عقوبة زمنية وأبدية ، فإن كان متواضعاً فأنه يقدم توبة وإعترافاً ملتمساً من الله أن يصفح عنه ويتغاضى عن خطاياه. أما إن كان متكبراً عنيداً ، ولا يريد أن يتخلى عن الخطية والفساد ، ويود أن يهرب من الدينونة والعقاب ، فكيف يحل هذه المعضلة ؟ وكيف يريح ضميره ؟ .. أنه يلجأ إلى إنكار وجود الله ، وبالتالي فهو حر يفعل كل ما يشاء خيراً كان أم شراً. **والكبرياء يلقي بالإنسان في الجهل والعمى الروحي** ، فعندما فتح السيد المسيح عيني المولود أعمى ، وعوضاً أن يمجد الفريسيون الله تزمَّروا بشدة لأن السيد المسيح صنع طيناً وطلى عيني المولود أعمى في يوم سبت ، ولم يتواضعوا ليقبلوا عمل الله "***فقال يسوع لدينونة أتيتُ أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذي يبصرون*** " (يو ٩ : ٣٩) وهذا ما أوضحه بولس الرسول في موضع آخر "***إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضئ لهم إنارة إنجيل***

مجد المسيح " (٢ كو ٤ : ٣) فالكبرياء هي جهل بحقيقة الله المتواضع المُحب "***قال الجاهل في قلبه ليس إله*** " (مز ١٤ : ١) والكبرياء تؤدي لكسر الإنسان "***قبل الكسر يتكبر قلب الإنسان*** " (أم ١٨ : ١٢) ولا يوجد أكثر وأصعب من كسر الإلحاد وإنكار وجود الخالق ، ففي الوقت الذي يظن فيه الملحد أنه أنتصر وكسب وربح وأبتعد عن العقيدة والديانة ، فإنه في الحقيقة يخسر كل شئ. **والكبرياء رجس** ، فعندما واجه السيد المسيح الفريسيين الذين يتكبرون ويستعلون على الناس "***فقال لهم أنتم الذين تبرّرون أنفسكم قدام الناس. ولكن الله يعرف قلوبكم. إن المستعلى عند الناس هو رجس قدام الله*** " (لو ١٦ : ١٥) .

لقد كان الشيطان ملاكاً وسقط بسبب الكبرياء عندما قال "***أرفع كرسي فوق كواكب الله وأجلس على جبل الإجتماع في أقاصي الشمال. أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلي*** " (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤) والشيطان المتكبر لا يكف عن نفخ الكبرياء في أتباعه ، فقال " **كارل ماركس** " في قصائده المشهورة ضد الله "*أنني أريد فقط أن أنتقم بكل جوارحي من ذلك الواحد الذي يسكن السماء ، متسلطاً على البشر .. لقد خطف مني كل شئ .. كل العوالم تبخرت بين يديَّ ، ولم يبقَ لي سوى الإنتقام المُر*

.. *سوف أعلو بعرشي فوق الرؤوس* " [1].

وقد يقود الإنجاز العلمي الإنسان المتكبر إلى الإلحاد ، ويقول " **رأفت شوقي** " : " *أن النجاح الخارق الذي حققه العلم والتقنية ملأ البعض بشحنة من الكبرياء جعلتهم يأنفون من أي إرتباط بكائن أسمى ، وحملتهم على الإعتقاد بأن الإنسان هو سيد الكون بقوته الذاتية وقادر على كل شئ .. إن هناك نزعة شعبية أُعجبت بالعلم وإنجازاته وبما حققه الإنسان ، وأخذت هذه النزعة تُغيّر ما كان يُنسب مباشرة إلى الله على أنه ينسب ويفسر علمياً ، وبالتالي الإستغناء عن الله والإيمان به* " [2] والحقيقة أن الإنجاز العلمي هو وليد العقل البشري ، والله هو صاحب الفضل الذي أنعم على الإنسان بعقل مُفكر مبتكر ، وهو الذي يشرق على الإنسان بنور علمه الإلهي (**أعطيتني علم معرفتك**) والأمر العجيب هو بدلاً أن ينسب الإنسان هذا الإنجاز إلى توفيق الله ومعونته ، فأنه ينسبه لنفسه ، فيُضرَب بداء الكبرياء ، ويرتفع بعقله ، حتى يجعله سيداً وإلهاً ، ويعبده عوضاً عن الله ، وتتضخم ثقة الإنسان المتكبر بعقله بينما تتضاءل ثقته بإلهه ، ونحن لا نهاجم العلم ولا نقلل من

---

[1] أورده القس أنجليوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٨٢

[2] الإلحاد .. نشأته وتطوُره جـ ١ ص ٢٩ ، ٣٣

أهميته ، إنما نعترض على من يُؤلّه العقل الذي أنجب لنا هذا العلم العظيم ، فمن الأمور الإيجابية للعلم أنه يسعى دائماً نحو الحقيقة المجردة ، والحقيقة دائماً تقرّبنا إلى الله ، وكم تلامس العلماء العظماء مثل " **إسحق نيوتن** " و " **أينشتين** " مع عظمة الله التي أبدعت الكون بهذه الروعة " ***السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه*** " (مز ١٩ : ١) والذين يدرسون أعضاء الإنسان ووظائف تلك الأعضاء كثيراً ما يقفون لحظات عن التشريح ليسبحوا الله على عظمته وحكمته التي تفوق العقول ، وأيضاً العلم جعل الإنسان يتخلى عن الخزعبلات التي آمن بها قديماً ، فقد نسب كل ما عجز عن تفسيره إلى إله معين ، فجعل للبرق إلها وللرعد إلهاً وللمطر إلهاً وللنار إلهاً وللكواكب آلهة ٠٠ إلخ ، والعلم هو الذي صنع ثورة الإتصالات التي ربطت بين البشر في كل مكان ، حتى صار العالم كله مثل قرية صغيرة فما يحدث في ركن منها يُسمع في بقية الأركان ، وأيضاً الحقائق العلمية الصحيحة نجدها متوافقة مع ما جاء في الكتاب المقدَّس ٠٠ كل هذه الأمور الإيجابية للعلم يهدرها الإنسان عندما يؤله نفسه ويقول ليس إله ، ويهدرها عندما يسعى للسيطرة على الغير ويصنع حروباً مع أخيه الإنسان (راجع أ٠رأفت شوقي- الإلحاد نشأته وتصوُّره ج١ص٣٢،٣١) ٠

س٧ : لو كان الله موجوداً وقادراً وصالحاً ، فلماذا يترك الإنسان يعاني من الكوارث والحروب والمرض والموت ؟ هل لأنه غير صالح أم لأنه غير قادر؟ وكيف يرسل الإنسان إلى العذاب الأبدي ؟

ج : إن الجهل الروحي بحكمة الله وصلاحه وقدرته وحسن تدبيره ، يقود الإنسان إلى الهلاك ، ولذلك قال الكتاب "***قد هلك شعبي من عدم المعرفة***" (هو ٤ : ٦) فعدم المعرفة هي الجهل ، ومن السهل أن ينزلق الإنسان الجاهل إلى هوة الإلحاد ، ولاسيما عندما يتعرض لتجربة قاسية ، إن لم يكن يقظاً ، فمن السهل أن يفقد الثقة في العناية الإلهية ، وعندما وقف " **إيفانجلتسا دي فتيسورا** " يُحاكم أمام محاكم التفتيش إعترف بأن إنتشار مرض الطاعون الذي قضى على أمه وأخوته وأخواته جميعاً ، وأضاع ممتلكاته ، آل به إلى فقدان الثقة في عناية الله ، فلو كان الله موجوداً فعلاً وكلي الصلاح فلماذا يترك الإنسان لكل هذه الكوارث ؟! ونحن لا ننكر أن الإنسان قد يعاني من شر الكوارث والحروب والأمراض وهو برئ ، وليس له يد في جلب هذه المعاناة ، ولكن يجب أن يدرك أن

الله موجود وهو ضابط كل شئ ، ولا يسمح بـألم قـط لأولاده إلاّ بحكمة إلهية ، فقد تكون هذه المعاناة تأديب وتهذيب لهم ، وبلا شك أن أعظم مدرسة هي مدرسة الألم والصليب ·

ويقول " **أوسكار وايلد** " في كتابه " من الأعماق " : "*إن كان العالم قد تأسَّس على أساس المعاناة ، فقد أسَّسته أيدي المحبة ، لأنه لا سبيل آخر تصل به النفس إلى مستوى الكمال* " [١] ·· لقد صار الألم في المسيحية هبة غالية لا يمنحها الله إلاّ لمن يثق في محبته "***لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تُؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله*** " (في ١ : ٢٩) ·

وقد تكون هذه المعاناة قد جاءت بحسد إبليس ، وستظل قصة أيوب شاهدة على هذا ، ونثق أن كل الأمور داخل دائرة الضبط الإلهي ، وعندما رأى التلاميذ الأعمى منذ ولادته سألوا السيد المسيح "***يامعلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى وُلد أعمى· أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه*** " (يو ٩ : ٢ ، ٣) وكذلك الأطفال الذين يُولدون معوقين (ذوي الإحتياجات الخاصة) يعطون الفرصة للآخرين لإظهار المحبة تجاههم ،

---

[١] ريتشارد وورمبراند – ترجمة د· عزت زكي – جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي ص ١٨

ويكونون بركة لأسرهم ، فالأسرة المسيحية تعتز بأبنها المعوق أكثر من إبنها السليم.

والذين يتساءلون عن مدى قدرة الله ومدى صلاحه ، كل هدفهم هو إلقاء اللوم كل اللوم على الله ، وتبرئة ساحة الإنسان تماماً ، وكأن الإنسان جماد ، أو كائن يفتقد حرية الإختيار ، وكأن الإنسان لا يجب أن يتحمل مسئولية تصرفاته ، والحقيقة غير ذلك ، لأن الله جبل الإنسان على صورته ومثاله في الخلود والمعقولية والإبتكار ، ووهبه حرية الإختيار وحرية التعبير وحرية التصرف ، وكثير من الشرور والكوارث سببها الإنسان وليس الله الصالح ، فلماذا يتمسك البعض بأن المسئول عن هذه الشرور هو الله وليس الإنسان صانع هذه الشرور ؟! هل الله الذي يحذرنا من مغبة مخالفة وصاياه المقدَّسة يصبح مداناً متى خالف الإنسان هذه الوصايا ؟! .. وهل الإنسان الذي يخالف الوصايا فيكره ويبغض ويغضب ويدخل في خصومات وحروب ويقتل ، ويزني بالفكر أو بالفعل .. إلخ يصبح هذا الإنسان باراً ؟! .. ما هذه الموازين المقلوبة ؟!! هل الله الذي حذر الإنسان من إبليس الذي يجول كأسد زائر يريد أن يبتلعه ، متى سقط الإنسان في قبضته يصير الله مُداناً ؟! .. وهل الإنسان الذي يتغافل التحذير الإلهي وينساق وراء إبليس ويحسبه

كصديقه الصدوق ، ويشرب الأثم كالماء ، مثل هذا الإنسان يحسب باراً ؟!! .. هل يُعقل هذا ؟! وهل إرتكاب هذه الجريمة جاء بإرادة الله أم بسماح منه ؟! .. إرادة الله خيّرة دائماً وأبداً ، ولكنه لا يمنع الشرير من إرتكاب الشر ، بل يسمح له بهذا ، لأنه سبق ووهبه حرية الإختيار .

حقاً أن الله كلي الصلاح وكلي القدرة ، وقد حدَّد وقتاً للدينونة ، فيه تُخمد الشرور إلى الأبد وتبدأ الحياة الملائكية السعيدة بلا حسد من إبليس ولا محاربات من العالم والجسد ، أما الذين يطالبون الله أن يقضي على الشر الآن ، فأنهم لا يدركون ماذا يقولون .. تصورَّ ياصديقي أن الله قرَّر في هذه اللحظة القضاء على الشر وعلى جميع الأشرار ، تُرى من ينجو من هذه الدينونة ؟! .. إن الله يطيل أناته علينا ، فلعل الذي يخطى الآن يتوب بعد الآن ، ولعل شرير اليوم يمسى قديس الغد ، فهذا ما يلتمسه الله منا " ***إني لا أسرُّ بموت الشرير ، بل بأن يرجع عن طريقه ويحيا . أرجعوا أرجعوا عن طرقكم الرديئة فلماذا تموتون يابيت إسرائيل*** " (حز ٣٣ : ١١) .. وهو لا يشاء أن يهلك أُناس . بل أن يقبل الجميع إلى التوبة . حقاً أن الإنسان الذي ينظر للأمور بمعرفة روحية يستريح ، ومهما تزايدت الكوارث فإن هذا لا يمنع عنه

الفرح بالرب ، مثلما قال حبقوق النبي "***فمع أنه لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاماً ينقطع الغنم عن الحظيرة ولا بقر في المزود. فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي*** " (حب ٣ : ١٧ ، ١٨).

أما عن **العذاب الأبدي** فالله لم يعده قط للإنسان ، إنما أعده للشيطان وكل جنوده "***أذهبوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته*** " (مت ٢٥ : ٤١) والذي تمسك بالشر فإن شره يقوده لهذا العذاب الأبدي ، وما أجمل قول **أحد الآباء** : *إن الله لن يدين الإنسان على خطيته ، إنما سيدينه على عدم توبته* ، ويقول " **بول ليتل** " : " *عندما يسأل شخص : كيف يرسل الله الصالح الناس إلى الجحيم ؟ هنا يجب أن نشير بأن الله لا يرسل أحداً إلى الجحيم ، نحن نُلقي بأنفسنا . الله صنع كل ما هو ضروري لنا لكي ننال الغفران والفداء والتبرير ، ولكي نكون جاهزين للحياة معه في السماء. وكل ما تبقى هو فقط أن نستقبل هذه العطية. أما لو رفضنا نعمته فلن يكون لدى الله خيار آخر ، إلاَّ أن يتمم إختيارنا ، فبالنسبة للشخص الذي لا يريد أن يكون مع الله ، فإن حتى السماء نفسها لن تكون سوى الجحيم بعينه* " [١].

---

[١] ترجمة وجدي وهبه – لماذا أؤمن – إجابات منطقية عن الإيمان ص ١٧٠

الفصل السادس : الخلط بين المسيحية والشيوعية

س٨ : هل إرتبطت الشيوعية بالمسيحية أم بالإلحاد ؟

ج : في البداية أخذت الشيوعية بعض سمات المسيحية مثل :

أ – الشعار السوفيتي الشيوعي إن كان أحد لا يعمل فلا يأكل أيضاً مقتبس مما ورد في رسالة معلمنا بولس الرسول الثانية لأهل تسالونيكي " ***إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً*** " (٢ تس ٣ : ١٠) مع الفارق ، لأن النص يوضح " ***إن كان لا يريد*** " أي أنه يملك إمكانية العمل ، ولكنه لا يريد أن يعمل ، فلا يأكل. أما الشيوعية فقد رفضت كل من لا يعمل مهما كانت حالته الصحية لا تسمح بالعمل ، وهذا هو فكر " **القس توماس مالثوس** " الذي أوصى بعدم مساعدة الفقراء والضعفاء على الحياة ، بل يجب أن ينتهوا من الوجود ، وهذه النتيجة التي وصل إليها " **هتلر** " إذ نفذ برنامج " **القتل الرحيم** " فقتل أطفال ألمانيا المعوّقين ، وكان ينوي أن يقتل البالغين منهم أيضاً.

ويقول " **ريتشار وورمبلاند** " : " *عقد الشيوعيون مؤتمراً ضم جميع الفئات المسيحية في بناية برلمان بلادنا ، وحضره أربعة*

آلاف كاهن ، واعظ وقسيس ، مثَّلوا جميع المذاهب . وقــد إختــار هؤلاء الأربعة آلاف من رجال الدين " جوزيف ســتالين " رئيــساً فخرياً للمؤتمر ، في حين ترأس بذات الوقت حركة دولية جهنميــة للفتك بجميع المسيحيين بالجملة . فنهض الأساقفة والوعاظ ، الواحد تلو الآخر ، في بناية البرلمان وصرَّحوا أن الــشيوعية والمــسيحية هما واحد في الأساس ، وأنهما يستطيعان التعايش السلمي معاً . وقد أثنـــى واعظ بعد الآخر على الشيوعية ، وأكدوا للحكومة الجديــدة ولاء الكنيسة لها .

حضرنا هذا المؤتمر أنا وزوجتي . وما أن سمعت زوجتي مــا قيل حتى ألتفتت إليَّ وقالت لي : { ياريتشار ، قف علــى رجليــك وأغسل هذا العار عن وجه المسيح . فهم يبصقون في وجهه } فقلت لزوجتي : لو فعلت ذلك لخسرتِ زوجك . ولكنها أستطردت قائلة : { أنني لا أرغب أن يكون لي زوج جبان } .

وعندما أنتصبت على رجليَّ وخاطبت المــؤتمر ، مثنيــاً ، لا على سفاحي المؤمنين ، بل على الله ومسيحه ، مشدّداً أن ولاءنا هو بالدرجة الأولى لله . . دفعت فيما بعد ثمن ما قلته " [1] .

---

[1] العذاب الأحمر ص ١٤ ، ١٥

ب- أخذت الإشتراكية الشيوعية من المسيحية حياة الشركة في الكنيسة الأولى ، والملكية العامة ، فجاء في سفر الأعمال "***وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن أحد يقول أن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شئ مشتركاً . . لم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات . ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يُوزَّع على كل واحد كما يكون له إحتياج***" (أع ٤ : ٣٢ - ٣٥) فهكذا كانت تسعى الإشتراكية الشيوعية للحياة الفضلى المثالية التي يتساوى فيها الجميع ، ولكن شتان بين المسيحية التي قامت على أساس الحب والبذل والتضحية ، فكل من أراد أن يضحي بممتلكاته ضحى بها بطيب خاطر بدون إجبار من أحد ، أما الإشتراكية الروسية فقد قامت على الإجبار والقمع والتعذيب والإضطهاد .

في البداية قامت الثورة الشيوعية على أكتاف جماعة من العمال المسيحيين بقيادة الكاهن "**جابون**" ، وفيما بعد تعدى الشيوعيون على هذه الحركة ، بل قبضوا على القس جابون وأعدموه شنقاً ، ويقول "**ريتشار وورميلاند**" : "*أن المسيحية دين ثورة أكثر من الشيوعية ، ولكن ثورة تختلف في مفهومها وطريقها*

.. فالثورات الشيوعيــة تبدأ بسفك الدماء .. أي دمـــاء ، حتـــى الأطفال والنساء والمذنبين والأبرياء على السواء. ثم يصبح شــرب الدم غريزة جامحة مثل قطيع الذئاب الذي يزداد شراسة كلما تفجَّــر الدم من ضحاياه .. وينتهي البرنامج الشيوعي بجلــوس دكتـــاتور على قمة الهرم أو النظام الهرمي أكثر عنفاً وقسوة ودموية من الذي تخلصت منه الثورة .. لقد كتب لينين مـــرة [إن الإرهـــاب لازم للغاية] ولكن القيصر نيقولا الثاني الذي أطاحت به الثورة الروسية ما كان يضع الإرهاب ضمن برنامجه .. تُرى كـــم مـــن الأرواح أزهقها لينين ؟ .. وكم إغتال السفاح ستالين ؟ يُقال أن ستالين هـــو الذي دس السم لقتل لينين الذي علمه فن القتل ، ثم قتل كل أقـــارب لينين وأصدقاءه. وماذا عن معسكرات العمل والسخرة في روسيا ؟ وكم من الأرواح تزهق هناك أو في سيبيريا ؟! وكم من الملايـــين سالت دماؤهم في الصين الحمراء ؟! .. إن الثـــورات الـــشيوعية رهيبة دموية هدامة سلبية .. ولكن ثوار المسيحية هم علـــى نمـــط آخر .. إننا نستخدم سيفاً مغايّراً هو سيف الروح ، ونقتـــل لـــيس الخاطئ بل خطيته .. ليس العدو بل عدوانه .. وإني أتحـــدى أي إنسان في الدول الشيوعية أن يذكر لي إسم سجين واحد في أمريكـــا أو في أية دولة مسيحية من دول الغرب سُجن لأنه مُلحد .. لكـــن

في الدول الشيوعية تجد مئات الألوف بين الملايين تعج بهم السجون ويقاسون العـذاب والمذلة والموت أيضا وذلـك لأنهـم يتمـسكون بدينهم " (١).

ويقول " **الأب أنتوني م. كونيارس** " : " فعدد المـسيحين الذين أُضطهِدوا وأستشهدوا في القرن العشرين فقط ، يزيـد عـن مجموع كل الذين أُستشهدوا فـي التسعة عشـر قرناً السابقة .. (في الإتحاد السوفيتي) نُفي وأُبيد حوالي ٦٠ مليون شخص كما لو كانوا حشرات ، وكان بالطبع نسبة ٧٥ بالمائة من هؤلاء مسيحيين أرثوذكـس .. واحـد مـن الذيـن بقوا على قيـد الحيـاة فـي سجون الأشـغال المرعبـة ويُـسمى ألكـساندر أوجورودنيكـوف Alexander Ogarodnikov كتب يقول { عندما أضطلع البلاشفة بالسلطة ، فقد قاموا بمحاربة الكنيسة .. وفي عام ١٩٢٣م كانـت هناك محاولة جادة ، محكمة ثورية لتقديم الله للمحاكمة ، الله نفـسه كان يُحـاكم ! كـان لوناشارسـكي Lunacharsky وتروتـسكي Trotsky هما المفوضان لقيادة هذه العملية ، وفي أثناء هذه العملية حكما على الله بالموت .. كان لابد من سحق الله والكنيسة ، ونجد في العديد من خطابات لينين Lenin التشديد علـى الـتخلص مـن

(١) ترجمة عزت زكي – جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي ص ١٠٣ ، ١٠٤

الكهنة. كانت الحرب ضد الكنيسة والدين مُخطَّطاً لها جيداً ، وكان حامية وعنيفة للغاية .. (كان) عام ١٩٣٢م موجّهاً نحو خطة إقتصادية لمدة خمس سنوات ، ونفس المدة لإقامة مجتمع مُلحد. كانت الخطّة موجَّهة على أن جميع الكنائس تكون قد أُغلقت عام ١٩٣٥م وعام ١٩٣٦م تكون كلمة " الله أو إله " قد أختفت تماماً من اللغة وقواميسها .. لا يمكنني أن أصف لك أنواع الرعب والأرهاب والعذابات التي نُفذت ، حتى أن كثيراً من الأساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين دُفنوا أحياء ، أو قتلوا بطرق أخرى متعددة } .. أُعدم كثير من قادة الكنائس ، وسُجن منهم عدد آخر لا يُحصى. وفي عهد ستالين تحوّل الأمر إلى ما هو أردأ ، فقد ذُبح مائتا ألف كاهن روسي ، ورهبان ، وراهبات كما سُجن خمس مئة ألف آخرين أو تم نفيهم إلى سيبريا ، حيث مات حوالي ٩٠ بالمئة منهم في معسكرات الأشغال الشاقة. سجلات البوليس السوفيتية السريّة المحفوظة تُبيّن أن أغلب الكهنة أُطلق عليهم النار أو صلبوا ، ولو أنه كانت هناك طرق أخرى أستخدمها الشيوعيون للإبادة الجماعية ، منها تعليق الكهنة وصلبهم على أبواب الكنائس ، أو تركهم ليموتوا بعد أن ينزعوا عنهم ملابسهم ويطرحونهم في بحيرات ثلج في الشتاء حتى يتجمدوا. وبالإضافة إلى قادة الكنائس

الذي قُتلوا ، سُجن عشرة ملايين من عامة المؤمنين ، أو عُذبوا ، أو قتلوا . كذلك فإن بلاد أخرى من الكتلة السوفيتية أضطهدوا المسيحيين بنفس الطريقة " [1].

س٩ : هل يمكن إلقاء الضوء على " مذهب الهادمين " بإنجلترا كمثال لإرتكاب الشر والتجديف ؟

ج : في القرن السابع عشر ظهرت بعض المذاهب الهدامة في إنجلترا مثل مذهب الصوصيان ، ومذهب الهادمين ، ومذهب الكويكرز ، ومذهب الهادمين Ranters قام على معارضة النظام الملكي وقواعد الدين والأخلاق ، والحرية غير المشروطة ، حتى قالوا أن الإنسان يستطيع أن يرتكب الموبقات من سرقة وكذب وغش وزنا (باستثناء القتل) لأن الأستغراق في ملذات الجسد لا يلوث الروح ، وكان لهذا المذهب إتجاهاته الشيوعية فدعا للملكية العامة ، وقاوم الملكية الفردية ، ونادى أصحاب مذهب الهدامين بأن الله سيخلص الجميع باستثناء الأغنياء ، وقال " **أبيزر كوب** " أحد قادة الجماعة في كتاب " رعد طائر من اللهب " بأن الله في

---

[1] تعريب ى . م – الصليب والإستشهاد في القرن العشرين ص ٥ – ٨

طريقه للأرض ليسوي عاليها بواطيها ، وأن الهادم الأعظم سوف يتسلل إليهم ملوحاً بسيفه قائلاً " *سلّموا حوافظ نقودكم. سلموا أيها السادة. سلموها وإلاَّ قطعت رقابكم* " [1].

وفاق " **أبيزر كوب** " جميع أقرانه في إرتكاب الشر ، ويقول عنه " **دكتور موريس عوض** " أنه كان "*يلقي مواعظه وقد تجرّد من كل ثيابه ويتفوّه بتجاديفه وبذاءاته أثناء النهار ، فإذا حل الليل أنصرف إلى معاقرة الشراب ومضاجعة البنات اللاتي جئن للإستماع إلى مواعظه وهن عرايا كما ولدتهن أمهاتهن* " [2].

وتعرض كوب للسجن في سجن كوفنتري ، وبينما كان سجيناً نشر كتابه " رعد طائر من اللهب " فأصدر مجلس العموم البريطاني أمراً بحرق جميع نسخ هذا الكتاب ، وعند التحقيق معه إدَّعى الجنون ، ولكن هذه الحيلة لم تنطلي على لجنة التحقيق ، وعندما ضاق ذرعاً بالسجن نشر كتابه " الرجوع إلى الحق " وألتمس من البرلمان العفو عنه ، وفعلاً أُعفي عنه.

وحلمت جماعة الهادمين بمجتمع مثالي ومدينة فاضلة يختفي منها الفقر والشقاء ، ونادت بأن الله موجود في كل الخليقة ،

---

(1) د. رمسيس عوض – الإلحاد في الغرب ص ٩٦

(2) المرجع السابق ص ٩٥

كما أنه حال في الإنسان ، ولذلك ينبغي أن يصل الإنسان لله الحال فيه (في الإنسان) وقال أحدهم "*أنه يرى الله في كل زهرة وفي الإنسان والحيوان والسمك والدواجن وفي كل نبت أخضر* " [١]. وهذا هو مذهب " **وحدة الوجود** " الذي ينادي أتباعه بأن الله هو كل شئ ، وكل شئ هو الله.

وقال " **أدوارد هايد** " : "*أنه طالما أن الله موجود في كل شئ فمعنى ذلك أن الخطية والشر يتمثلان فيه* " [٢] بينما نفت بقية الجماعة إرتباط الشر بالله ، وقالوا أن الله لا يوجد في الحروب ، ولا في الظلم ، ولا في الكنائس ، وهذا يوضح كراهيتهم للكنائس فساووها بالحروب والظلم.

وأعتبر الهادمون أن **الكتاب المقدَّس** عبارة عن قصص وحكايات رمزية ، ورفضوا الوصايا العشر مدَّعين أنها من وضع البشر ، وقال بعضهم أن الشيطان ليس بالشئ المقيت أو الشرير لأنه من صنع الله الكامل ، وأنتشر مذهب الهادمين في أرجاء البلاد ، ولاسيما بين الفقراء والعمال والعاطلين والمتشردين ، وكان " **أبيرز كوب** " يفتخر بأنه أخاً للصوص والشحاذين والعاهرات.

---

(١) د. رمسيس عوض – الإلحاد في الغرب ص ٩٩

(٢) المرجع السابق ص ٩٩

وكان للهادمين كتبهم مثل " إنجيل الهادمين " و " عقيدة الهادمين " ، وفي كتاب " النور والظلام واحد " قال مؤلفه " **كلاركسون** " سنة ١٦٥٠م ، أن " *الشيطان هو الله والجحيم هو النعيم والخطيئة هي القداسة واللعنة هي الخلاص* " [١]. وحاول مجلس العموم البريطاني التصدي للهادمين ، فأعد مشروع قانون للحكم على الهادمين بالإعدام ، ثم اكتفى بسجن الهادم لمدة ستة أشهر ، وفي سبتمبر ١٦٥١م أصدر مجلس العموم قانون التسامح الديني مع الكل باستثناء الصوصيان والهادمين. وكان للهادمين تجاديفهم ، فقال الهادم " **ريتشارد كنج** " أن زوجته الحامل ستلد له الروح القدس ، وقالت " **ماري أدمز** " أنها سوف تلد يسوع المسيح ، وأدعى الهادم " **توماس تاني** " بأن الله تكلم إليه. وأفهمه أنه يهودى ، وعليه جمع شمل اليهود والعودة بهم إلى أورشليم لإعادة بناء الهيكل ، وقام توماس بختن نفسه ، وكان يجوب الشوارع مبشراً بأعلى صوته على أنه الحبر الأعظم لليهود ، فزجت به السلطات في السجن ، وبعد خروجه أحرق الكتاب المقدَّس علناً ، وهاجم البرلمان ملوحاً بسيفه الذي علاه الصدأ ، مدعيًّا أنه سليل شارلمان وأنه الوارث لعرش فرنسا فأعادوه إلى سجنه ، وأدعى الهادم

---

[١] د. رمسيس عوض ـ الإلحاد في الغرب ص ١٠٢

" **جون روبيتز** " أن روح آدم تقمصته ، وأنه سيخرج من إنجلتـرا على رأس ١٤٤ ألفاً للتوجه إلى جبل الزيتون ، فزجت به السلطات في السجن مع زوجته ، وإحدى عشر تابعاً له ، والهادم " **ريتشارد فولكنر** " شرب نخب الشيطان تحية له وقال " *أن المسيح مخلصنا ابن زنا* " (راجع الإلحاد في الغرب ص ١٠٦ – ١١١) ومذهب الهادمين يلقي الضوء على الحالة التي آلت إليها شعوب الغرب في القرن السابع عشر ، والطريقة التي أتبعتها الكنيسة والدولة في التعامل معهم ، والتي أتسمت بالعنف ، والعقوبات التي تتراوح بين السجن والإعدام ، مما أدى إلى كراهية البعض للدين •

نظرة تأمل :

العنكبوت : وقد وهبه الخالق أن ينسج شبكته بمهارة فائقة لإصطياد الفريسة ، وكلما حاولت الفريسة تحرير نفسها إزدادت إلتصاقاً بخيوط الشبكة ، ويبلغ قطر خيط العنكبوت واحد من الألف من المليمتر ، حتى أن ٣٢٠ جم من هذا الخيط تكفي لإحاطة العالم كله ، وهو أقوى من مثيله المصنوع من الصلب ، فمن أعطى العنكبوت هذه الإمكانية لو إنه تطوَّر من حيوان سابق لا يمتلك بتاتاً هذه الإمكانية ؟•

نقّار الخشب : يستطيع أن ينقر في جذع الشجرة بسرعة كبيرة ، وعمله هذا يشبه إنساناً يضرب مسماراً في الجدار برأسه ، فكيف لا يصاب هذا الطائر بنزيف في المخ ؟ لقد وضع الله في جمجمته نظام عجيب يُخفّف شدة الطرقات ويمتصها ، ويوجد نحو ٢٠٠ نوع من هذا الطائر ، وجاء في **مجلة العلم** عنه " *طائر نقار الخشب من الطيور ذات الطابع المميَّز بين سائر الطيور ، فهو شرهِ جداً للطعام ، فالنوع الأسود منه والذي يعيش في أمريكا الشمالية يمكن أن يأكل ٩٠٠ يرقة من يرقات حشرة الخنافس ، أو ألف نملة في وجبه واحدة ، وهناك نقار أوربي أخضر يمكن أن يلتهم ما يصل إلى ٢٠٠٠ نملة في يوم واحد ، ولكي يصل النقار إلى طعامه فإنه ينقر الخشب أكثر من ١٥ مرة في الثانية ، وكل نقرة تستغرق ١ / ١٠٠٠ من الثانية أو أقل من ذلك ، وتعتبر سرعة النقر ضعف سرعة الرصاصة ، وأكثر من ذلك فإن رأس نقار الخشب تتحرك بسرعة ٢١٠٠ كيلومتر في الساعة ، أي أنها أكثر من ضعف سرعة القذيفة " الطلقة " .. ولعل المتتبع لكل هذه الحركات الفجائية السريعة لرأس النقار يُدهش من عدم تعرض هذه الرأس للكسر ، ولكن الباحثين أثبتوا أن جمجمة هذا الطائر مقواه ومسلّحة بإطار عظمي شديد .. كما إن المنقار والمخ مبطنان*

ولهما وسائد وقائية تمتص كل هذه الصدمات ٠٠ وكم في جعبة الحياة من أسرار وغرائب وعجائب وسبحان الله !! " [١].

الأسماك الكهربائية : تستطيع هذه الأسماك أن تدافع عن نفسها ، بإصدار تيار كهربائي عالٍ يُقدَّر بخمسمائة فولت ، وأيضاً تحدد إتجاهاتها في الأعماق عن طريق إصدار إشارات كهربائية تصطدم بالأجسام الصلبة ثم ترتد ، والأمر العجيب أنه عند إستهلاك هذه الشحنة تستطيع هذه الأسماك أن تستعيدها كما يعاد شحن البطارية (راجع هارون يحيى – خديعة التطوُّر ص ١٩٢) وجاء في **مجلة العلم** عن هذه الأسماك المكهربة "*تعيش في مياه نهري الأمازون وأورينكو بأمريكا الجنوبية نوع من السمك " الحنكليس المكهرَّب " وهما المكانان الوحيدان في العالم اللذان يعيش فيهما هذا النوع الرهيب ، ويستطيع هذا الحنكليس الثعباني أن يُولّد تلقائياً تياراً كهربائياً يعادل قوته ٦٠٠ فولت بلمسة واحدة ٠ أما الصدمة المشتركة التي تصدر عن حنكليسين مُكهربين فهي كافية لقتل إنسان "* [٢].

الطفل : نظرة إلى الطفل الوليد تخبرنا بقصة الخلق

---

[١] مجلة العلم عدد ٣٠٨ – مايو ٢٠٠٢م ص ٥٢

[٢] مجلة العلم عدد ٣٦٠ – سبتمبر ٢٠٠٦م ص ١٤

العجيب ، ويقول الدكتور " **لويس ايفانز** " .. " *في جسم الإنسان ٢٥٠ عظمة تتحرك بدقة بواسطة مئات العضلات ، وفي عينيه وحدها ٤٠٠ مليون مخروط صغير ، و٣٠٠ مليون من الألياف ، و ٥٠٠ ألف عصب صغير ، وكلها تتحرك بدقة وبدون ألم ، وهناك ملايين الأفران الصغيرة في الجسم (الخلايا) تحرق الغذاء لتوليد الطاقة ، وعدد كبير من المؤكسدات الصغيرة ، كما نجد أن الكرات البيضاء التي تضحي بنفسها في حربها ضد الأمراض ، والرئتين اللتين تعملان على تنقية الدم ، والقلب الأمين طول العمر ، فهو يدفع ٢٨٠ ألف طن من الدم سنوياً ، ليصل إلى أجزاء الجسم المختلفة ، حقاً إن الله وحده هو الذي يستطيع أن يصنع هذا كله* " (السيد الذي ينشده الشباب ص ٤٤ ، ٥٠) [(١)].

وعندما نجح " **كلود م. هاناواي** " في تصميم المخ الإلكتروني بعد عناء شديد قال "*فإذا كان هذا الجهاز (الذي إخترعه) يحتاج إلى تصميم ، أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكيميائي البيولوجي الذي هو جسمي ، والذي ليس بدوره إلاَّ ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون في إتساعه وإبداعه إلى مبدع يبدعه* "

---

(١) أورده برسوم ميخائيل – حقائق كتابية جـ ١ ص ٢١٩ ، ٢٢٠

(الله يتجلى ص ٩٢) [١] .

لغة التخاطب : حقاً إن الذي يدرس لغة التخاطب والتواصل في المملكة الحيوانية يجد عجباً ، فهناك طرق ووسائل مختلفة للتخاطب قد تكون مسموعة ، أو مرئيَّة ، أو حسية (كيميائية) عن طريق الشم والتذوق ، ونعرض بإختصار شديد لهذه الوسائل :

١- **وسائل الإتصال المسموعة** : وتعتمد أساساً على الأصوات التي تصدرها الحيوانات مثل نباح الكلاب ، وخوار البقر ، ونقيق الضفادع ، وزقزقة العصافير ، وكركرة الرومي .. إلخ وقد تُعبّر هذه الأصوات عن الخوف ، أو التحذير ، أو فرض السيادة والقوة ، أو الغَزَل ، حتى إن أحد العلماء إستطاع أن يعيش وسط مجموعة من الذئاب ويتفهم لغتهم ، فإستطاع أن يفرض سطوته عليهم . ووسائل الإتصال المسموعة يؤخذ عليها أنها محدودة بالمسافة التي ينتشر فيها الصوت ، كما إنها قد تنبه الأعداء.

٢- **وسائل الإتصال المرئيَّة** : وتعتمد أساساً على الإشارات مثل تحريك الذيل ، أو خفض الرأس ، أو إغماض العينين ، أو

---

(١) أورده برسوم ميخائيل – حقائق كتابية جـ ١ ص ٢٢٠ ، ٢٢١

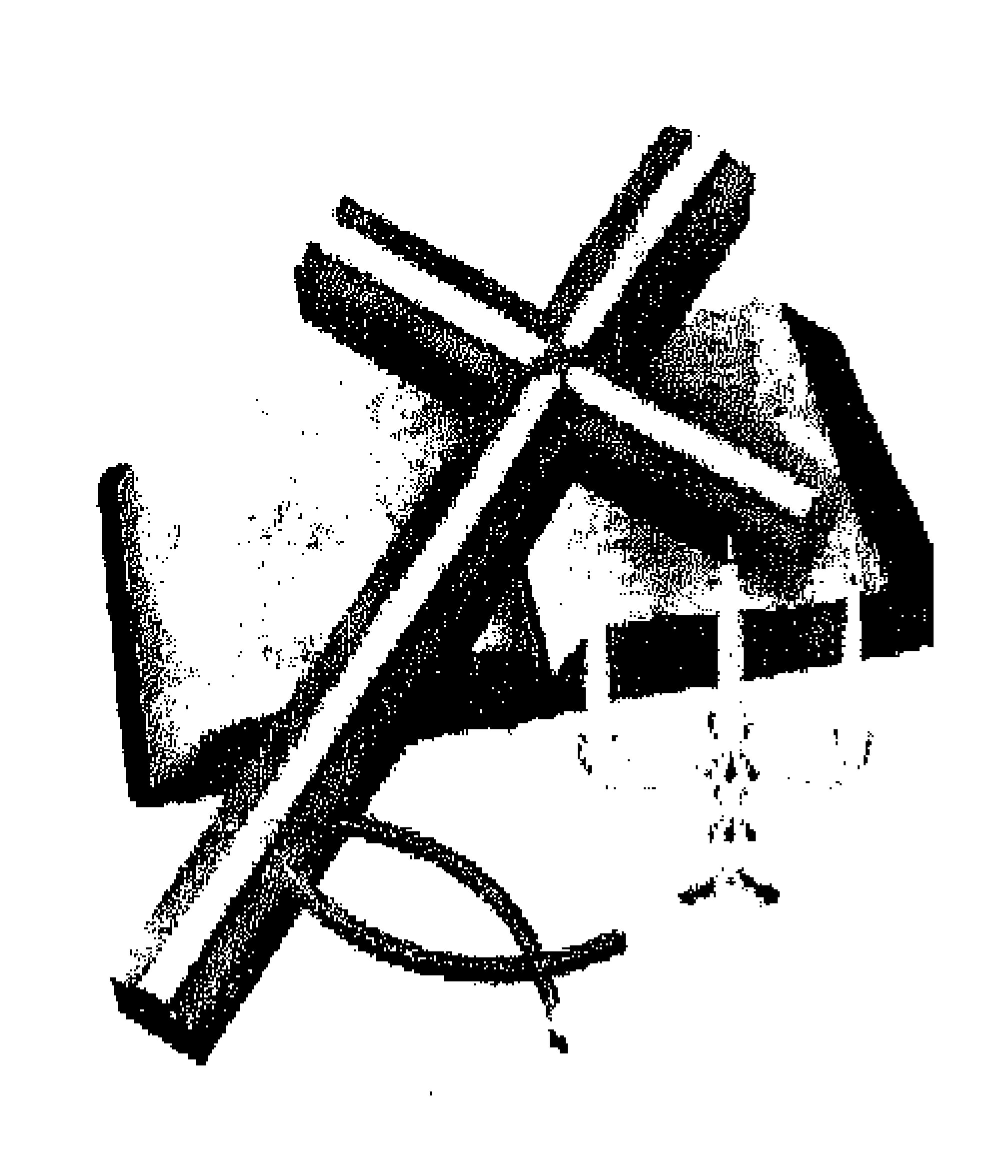
تحريك الشعر ، أو نبش الأرض ، أو تحريك الزعانف ٠٠ إلخ فمثلاً تستطيع النحلة أن ترشد المجموعة التي تعيش معها في نفس الخلية إلى مكان الرحيق ومدى بعده ، وذلك عن طريق الرقص ، فعندما ترقص في دائرة فإنها تخبرهم بأن مكان رحيق الأزهار قريب من المنطقة ، أما إذا رقصت رقصة الإهتزاز فإنها تخبرهن بأن مكان الرحيق بعيد ، والحركة التي يبديها الكلب تعبر عن حالته إذا كان فرحاً ، أو خائفاً ، أو يقدم إعتذاراً ، أو يستعد للهجوم ، أو يرشد إلى أمر ما ٠٠ إلخ٠

٣- **وسائل الإتصال الحسية** : ويعتمد أساساً على الإفرازات مثل الروائح أو البول ، فمثلاً كل نملة تحمل رائحة خاصة تدل على العش الذي تنتمي إليه ، حتى أنها لو دخلت عشاً آخر لا تجد ترحيباً ، بل تُطرد كعدوة تقتحم بيتاً لا يخصها ، والنملة الميتة تحمل رائحة مميزة ، فتحملها المجموعة إلى خارج العش ، حتى إن أحد العلماء إستطاع أن ينقل رائحة نملة ميتة إلى أخرى حية ، فما كان من المجموعة إلاَّ أن حملتها خارج العش رغم أنها حية وتتحرك ، وتكرَّر هذا الموقف ، وعندما أزال هذا العالِم رائحة الموت هذه ، إستطاعت النملة أن تجد لها مأوى في عشها وقبولاً بين أخواتها٠

والرائحة الصادرة من **القندس** وهو أحد القوارض تحدد منطقة نفوذه ، فيقوم القندس بخلط بعض الطين مع نشارة خشب ويفرز عليها مادة كيماوية من غدة تقع تحت الذيل ، ووجد العلماء أن هذه المادة تتركب من ٤٥ مادة كيميائية ، ويعمل القندس أقراصاً من هذه الخلطة ينشرها في المساحة التي يفرض نفوذه عليها ، ويفرز **الأرنب الأمريكي القطني الذيل** سائلاً عديم الرائحة من غدد في الذقن ، وبهذا السائل يحدد منطقة نفوذه التي تصل إلى ٨٠٠٠ متر مربع . أما **الأرنب ذو الحذاء الثلجي** فإنه يفرض سطوته على مساحة تُقدر بنحو ٧٢ ألف متر مربع ، وتُبلّل **الدببة** الطين بالبول وتخلط به بعض شعيرات من جسمها ، وتلصق الخليط على جذوع الأشجار في المساحة التي تريد أن تفرض نفوذها عليها .

وهناك أمور تثير الدهشة أكثر من هذا ، فمثلاً قد يترك أحد الكلاب رسالة إلى كلب آخر عن طريق البول ، فيقراءها هذا الكلب الآخر ويرد عليها ، فمثلاً إذا نبش الأرض بعنف فمعنى هذا أن الرسالة تحمل نوعاً من التحدي ، وإذا أخذ ينبح فإن الرسالة تحمل نوعاً من الغزَل ، وبهذا النباح ينادي الطرف الآخر ، وإذا لم يبدي الكلب إهتماماً فإنها رسالة إلى صديق لا يعيره إهتماماً ، وقد يتبول الكلب الذي تلقى الرسالة على رسالة البول التي أُرسلت إليه وكأنه

يترك بصمته بتسلم الرسالة ، ووجد أحد العلمـــاء أن أحـــد كـــلاب الصيد السلوقي التي تتلقى تدريباً عالياً ، وعلى مـــستو عـــالٍ مـــن الكفاءة ، تتصرف تصرفا غير مُهذب ، إذ تتبول في أرجاء المنزل على السجاد والأثاث ، وعندما تمعن الأمر ، وجد في البيت ببغـــاء يُقلّد نباح الكلاب ، فظن كلب الصيد أن هناك عدواً يتحداه ، وعلـــى الرغم أنه لا يراه لكنه راح يترك له رسائل تحدي في كل مكان عن طريق التبول (راجع دكتورة أمينة درويش – كلية التربية – جامعة الإسكندرية – علم سلوك الحيوان ص ٨٨ – ٩٦).



تابع : ذئب شيوعي تصطاده الحملان (٢) :

هذه قصة حقيقية لذئب شيوعي لم يحتمل وداعة الحملان ، فصار حملاً مثلهم ٠٠ قُتل والد " **سيرجي كورداكوف** " وماتت أمه كمداً ، أما هو فقد تربى في ملجأ تربية قاسية للغاية ، فكان التأديب لأي مخالفة الضرب المُبرح ، حتى لو كانت هذه المخالفة مجرد القراءة من تحت الغطاء في وقت النوم ظهراً ، كما حدث مع " **سيرجي** " الذي كاد يفارق الحياة على يد " **العم نيشي** " ، وشبَّ " **سيرجي** " والتحق بالكلية البحرية ، وبسبب غيرته غير المعقولة على الشيوعية أُختير من قِبل جهاز المخابرات الروسية لتكوين فرقة تأديب للذين يعبدون الله ، وأغروه بالمال الوفير إذ يتقاضى ٢٥ روبلاً عن كل عملية قبض على المؤمنين ، واختار لهذه المهمة من زملائه الطلبة العتاولة أرباب الملاكمة والجودو والكراتيه٠

ويحكي " **سيرجي** " عن إحدى عملياته السرية ، فيقول لقد وصلت لهم الأخبار بأنه على شاطئ نهر قرية " اليزوفو " أسفل الجبل ، وفي ذلك المكان المنعزل سيجتمع المؤمنون لتعميد بعض الأشخاص ، فاصطحب معه بعض أفراد التنظيم بحجة

التنــزه ، وزودهــم الرفيــق ديمتــري فــي الأكاديميــة بالفودكا والكافيار والمأكولات ، وحملوا معهم المطـارق التي تحطم العظام والتي صنعت خصيصاً للمخابـــرات الـسـوفيتية فـي تـشيكوسلوفاكيا ، وأيـضاً الهـراوات ، وحمل أحـدهم جيتـاراً ، وعنـدما وصـلت بهـم الـسيارة للمكـان المنـشود قبـل وصـول المـؤمنين إلـى هنـاك ، أخفى قائد السيارة " **فيكتور** " السيارة التـي أقلـتهم في وادي ضيق وسط غابة كثيفة الأشجار ، وأفترشـوا الأرض يأكلون الكافيار ويـشربون الفودكـا بينمـا عـائلات المؤمنين وسجنائهـم لا يجدون الخبز الجاف ، وأخـذت أنغام الجيتار تُسمع في المكان ، فصاروا نصف سـكارى بينما أقبل المؤمنون ، وكان بينهم سبعة شباب يرتدي كل منهم روباً أبيض إستعداد لتلقي العماد المقـدس ، وكان الكاهن يُدعى " **فاسيلي ليتوفشينكو** " فـي نحـو الثامنــة والثلاثــين مــن عمــره ، وعنــدما بـــدأ المؤمنون صلواتهم ، وبدأ الكاهن في عماد الـشباب ، أصدر سيرجي أوامــره لرجالــه ، ويقول " **سيرجي** " : " هجمنا عليهم واستخدمنا كل أسـاليب العنـف مـع هؤلاء العُزّل وتعالى الصراخ واستخدمنا المطارق لضرب كـل مـن يحـاول الهـرب وبـدأ الـدم يـسيل علـى ثيـاب السيدات والفتيـات ، وقـام أحـد رجـالي بتتبـع الكـاهن وتركته وهو يضربه علــى رأسه لأنـــه حـــاول الهـرب (حتــى لقــى حتفــه)• وجمعنــا كــل المجموعــة ، واضـطر رجـالي أن يجعلـن الفتيـات اللاتـي لـم يكـن يرتدين إلاَّ الروب فقط ، أضطروهن أن ينزعن عنهن تلك

الثياب التي إمتلأت بالدماء ، وتركوا أربع من الفتيات عرايا ، وقيدوا الرجال ، وأخذوا المجموعة وهي تصرخ ، فاضطرنا أن نضع في فم كل واحد منهم حفنة من التراب لنسكتهم ، وكانت العجائز تصلين في سرهن بعد أن توقفن عن الصراخ الذي كن يقلن فيه يارب ساعدنا ، يارب لا تتركنا• وهكذا إقتدناهم معنا في السيارة إلى الرفيق ديمتري •• وفي الطريق تم شرب بقية الفودكا ، وكان رجالي يشربون السجائر ويحرقون بها أجساد الفتيات العرايا ، وقام أحد أفراد مجموعتنا ويدعى فلاديمير بملاطفة ومغازلة إحدى السيدات في عمر السادسة والعشرين ، فصفعته السيدة بشدة على وجهه صفعة جعلته مثار سخرية من كل زملائه ، فهو بطل الملاكمة في مقاطعة " كمتشكا " فكيف تصفعه إمرأة مسيحية ؟!

بالطبع إقتدنا هذه المجموعة ودخلنا بها المدينة في وضح النهار ورآها كل الناس ، ورأوا الفتيات عرايا ، فهاج " ديمتري " جداً وقال : ألم أقل لكم مراراً أفعلوا ما يحلو لكم ولكن ليس علانية• أتريدون أن تقلبوا الناس ضد البوليس ، وأصدر أوامره بأن يضعوا المجموعة في الحبس مع السكيرين والقتلة ، وكانت هذه ليلة مرعبة للفتيات العرايا وسط الوحوش الأدمية (ثم يستكمل سيرجي ما يخص هذه العملية) فيقول : علمت في الغد أن العينة التي تم أخذها من الكاهن " **فاسيلي** " قد حددت

سبب الوفاة بنزيف في المخ من ضربة شديدة على الجمجمة فكسرتها ، وتضايقت لأن هذه أول مرة أختبر مثل هذا الموضوع ، ولاحظ " ديمتري " علي هذا ، فقال لي : لا تتضايق ولا تنزعج ، فهذا الرجل كان مطلوباً القبض عليه ، ولا تنسى أنه من أعداء الوطن ٠٠ وقد هدأت هذه الكلمات خاطري٠ لقد كنت أظن أن هذا الكاهن النحيف شخصية لا يعتد بها ، ولكن علمت فيما بعد أنه ذو شخصية قوية وتأثير روحي هائل ، وقد تعذّب مرات كثيرة بسبب إيمانه وكان شجاعاً جداً لا يخاف من أي أحد على الإطلاق " [1]٠

وكلف " **ديمتري** " سيرجي بأن يُبلغ زوجة الكاهن خبر موت زوجها برواية ملفقة ، فكان وقع الصدمة شديداً على تلك المرأة الجميلة التي تبلغ من العمر الخامسة والثلاثين ، حتى أنها أُصيبت بالشلل التام في كل أعضاء جسمها٠ وتم إبلاغ إبنه البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً وهو يؤدي الخدمة العسكرية ، وتم تفتيش منزل الراعي ، فعثر على كتاب تراتيل وكتاب مقدس قديم جداً ، وكانت تلك الكتب ممنوعة منعاً باتاً ، فلا يطيق شيطان الشيوعية أن يعاين كلمات الحق المدوّنة في الإنجيل ، فكانت خطته القضاء التام الكامل على كل ما يسمى إنجيل أو كتاب مقدّس في البلاد الشيوعية٠ أما الأمر الذي

---

[1] قصة ذئب شيوعي يتحول إلى المسيحية ص ٧٢ ، ٧٣

يدعو للدهشة أن المؤمنين كانوا يعرفون الجواسيس الذين يندسون وسطهم ويبلغون أخبارهم للجهات المسئولة ، ومع ذلك كانوا يتركونهم لعلهم يربحونهم للإيمان ، وكانت مثل هذه الغارات التي يقوم بها سرجي تتكرر نحو ثلاث مرات أسبوعياً ، والمحاكم تتستر على الجرائم •

وفي إحدى المرات تفتق ذهن المؤمنين لإقامة صلواتهم في المدافن في أول مايو سنة ١٩٧٠م حيث يزور الكثيرون المدافن ، فتجمع نحو مائتي شخص من المؤمنين وأخذوا يرددون الترانيم الدينية ، وبدأت المقابر تزحم ، فمن يأتي لا ينصرف ، والبوليس يقف عاجزاً من التصدي لهم جهاراً ، فأخبر " ديمتري " سيرجي ليسرع إلى المدافن وفي صحبته فرقة موسيقية عسكرية ، ووصل سرجي سريعاً ، وأفسدت موسيقى الإلحاد تلك الترانيم الخالدة ، وملأت الكون ضجيجاً ، فانصرف المؤمنون ، ولكن جميعهم قد تم تصويرهم ثم تعقبهم بعد هذا ، فقد حطموا قوانين الإلحاد وعليهم أن يتحملوا عقوبة هذا•

الإنجيل أم الحياة : يحكي سرجي عن إحدى غزواته مع أفراد عصابته الذي يدعى بالتنظيم أنه بعد أن تم مهاجمة منزل إجتمع فيه أثني عشر شخصاً ، لمح في يد أحدهم إنجيلاً يحاول أن يخبئه ، ولكن سرجي أنقض عليه وقبض على الإنجيل المتهم وأخذ يمزقه بقسوة ويلقي به على الأرض• أما الشخص

الذي كان بحوذته الإنجيل والبالغ من العمر الخامسة والستين عاماً فلم يكف عن التوسل لسرجي أن يكف عن هذا ، فسدّد له لكمة قوية أسالت الدم من وجهه غزيراً ، وأعقبها بلكمة أخرة ، فسقط الرجل فاقد الوعي ، وسيرجي يتعجب من هذا الرجل ذو الإرادة الحديدية ، والذي يفضل الإنجيل عن الحياة• ولكيما تقنع روسيا العالم بأنها ليست ضد الحرية الدينية قامت بطبع عشرة آلاف نسخة من الإنجيل ، تم إرسال نصفها للمتكلمين بالروسية خارج البلاد ، والذين يتاح لهم الإنجيل بكل سهولة ، وأرسلوا ثلاثة آلاف لدول شرق أوربا ، وأرسل الألفين الباقين إلى مركز مقاومة الدين• أما عن قصة الفتاة الرائعة الجمال المعترفة الجريئة ناتاشا ••• (يتبع – الباب الثالث)•

ما أكثر الرجال الذين زرعوا بذار الإلحاد •• مئات مئات وألوف ألوف ، من مفكرين وفلاسفة وساسة ورؤساء وزعماء وحكام ومربيّن ، وأجهزة تشريعية وتنفيذية ، ومؤسسات مدنية •• إلخ ولضيق المجال دعنا ياصديقي نُلقي الضوء قليلاً على عشر شخصيات فقط من الذين كان لهم باعاً كبيراً في إرساء مبادئ الإلحاد وهم :

١- كارل ماركس

٢- لينين

٦- شوبنهور

٧- فريدريك نيتشه

٣- ستالين

٤- هولباخ

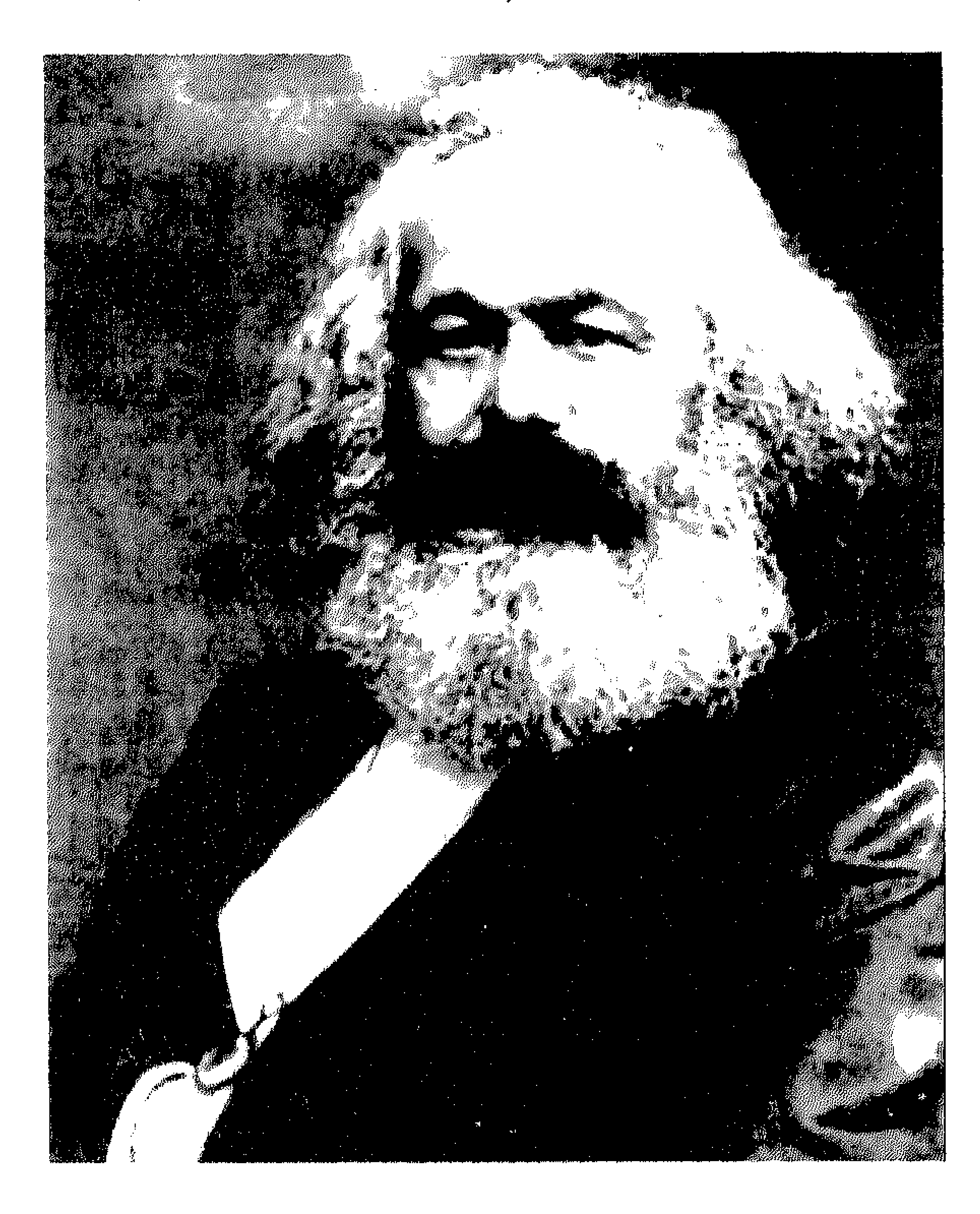
٥- جورج هيجل

٨- ماوتسي تونج

٩- برتراند راسل

١٠- جان بول سارتر

١- كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م)



س١٠ : كيف تأثر كارل ماركس بجذوره اليهودية ، والفيلسوف اليهودي " موسى هس " ، و " فويرباخ " ، و"داروين " ، ففقد إيمانه ، ولم يخفي إلحاده ؟

ج : وُلِد " **كارل ماركس** " سنة ١٨١٨م من أبوين يهوديين في مقاطعة الراين ألمانيا ، وعاش في أسرة فقيرة مُعدمة تعاني مثل غيرها من سخرة الأقطاعيين والرأسماليين • كما عانت الأسرة من الإضطهاد الواقع على اليهود والإزدراء بهم وتحقيرهم من قِبل الشعب الألماني ، وذلك بسبب الصراع بين السامية (اليهود أبناء سام) والآرية (الجنس الألماني) ولذلك أعتنقت هذه الأسرة المسيحية بينما كان كارل في السادسة من عمره ، وطبعاً لم يكن هذا محبةً في المسيحية ، إنما كان هروباً من الإضطهاد الواقع على اليهود ، وعاش ماركس في ظروف صعبة يعاني من شظف العيش ، وظل هكذا حتى أنه في ديسمبر ١٨٥٢م كتب إلى صديقه " **كلوس** " يقول له "*أنني لست أفضل حالاً من سجين في بيته • ذلك لأنني لا أمتلك البنطلون الذي يستر ساقيَّ ، ولا الحذاء الذي يكسو قدميَّ • وأسرتي على شفا الإفلاس والفاقة* " [1].

---

[1] ريتشار وورمبلاند – ترجمة د• عزت زكي – جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي ص ٣١

والأمـر العجيب أن ماركس كتب في فجر حياتـه كتابـا باسم " إتحاد المؤمن بالمسيح " قال فيه "*أن الإتحاد بالمسيح يعطينا السمو في الباطـن ، والتعزية في الأحزان ، والثقة الهادئة ، وتفتح القلب نحو أخوتنا ، وكل ما هو سامٍ ونبيل لأجل مطامعنا وأمجادنـا ، بل من أجل المسيح* " [١] وكتب في أحد كتبه "*أن الله قد أعطـى لبني البشر هدفاً مجيداً مباركاً : الرقي بالإنسانية والسمـو بالنفس* " [٢] وقال أيضاً في كتابه " رأس المال " : "*بالنسبة لمجتمع نظيرنا ، أعتقد أن المسيحية بعقيدتها عن الإنسان المجرد هي أنسب صـورة للديانات جمعاء* " [٣] ولكن ماركس ظن أن الله يعيش في برج مشيَّد عالٍ لا يبالي بالفقراء المطحـونين ، وعنـدما إلتقـى بالفيلـسوف اليهودي " **موسى هس** " أفسد ذهنه ، وسقاه الـسم فـي العـسل ، وأطعمه السم في الدسم ، وزرع في قلبه كراهية الله والدين ، حتـى قال كارل ماركس "*أن المبادئ المسيحية تبشر بـضرورة وجـود طبقة مسيطرة وطبقات مظلومة ، وتكتفي بالتميُّز للقوي ، بأن تكون الأولى محسنة للثانية . إن المبادئ الإجتماعية المسيحية تجعل مـن السماء التعويض من كل المخازي ، وتبرر بذلك إستبقاؤهم علـى*

---

(١) أورده القس أنجيلوس جرجس – وجود الله وصوُر الإلحاد ص ٨٢
(٢) جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي ص ٤٤
(٣) المرجع السابق ص ٤٥

الأرض " [1].

إلتحق **ماركس** بجامعة برلين ، وقرأ مؤلفات " **جورج هيجل** " صاحب الفلسفة المثالية الإلمانية ، الذي جعل الدول أولاً ثم الفرد ثانية ، فقد أراد هيجل أن تكون الدولة متألّهة بينما الشعب هزيلاً بلا كرامة ولا سيادة ، مما دعى ماركس لمهاجمة فلسفة هيجل ، ويقول " **بولس سلامة** " : " *وكأن ماركس يقول لهيجل ، أما إذا شئت الحرية فأعمد إلى الإنسان الواقعي المركَّب من لحم ودم ، الذي يجوع ويعطش ويهوى ويتناسل ويخترع ويفكر وأفتح له باب الحرية قائلاً { تحرَّر أيها الإنسان ، فليس الدين وحيَّاً إلهيَّاً ، إنما أنت سيَّجت به على نفسك ٠٠ وليست الملكية الخاصة هدية منزَّلة من السماء ، بل صنع يديك وسبب بلائك } بمثل هذه الضربات قوض ماركس الديالكتيكية المثالية* " [2] وأيضاً تأثر كارل ماركس بأفكار " **لودفيج فويرباخ** " (١٨٠٤ – ١٨٧٢م) وهو من أتباع اليسار الهيجلي ، وقال أن الله من صنع الإنسان ، أي أن الإنسان هو الذي أبتدع فكرة الله ، فالتقط ماركس هذه الفكرة وبنى عليها ، وقال ما دام الإنسان هو الذي أبتدع فكرة وجود الله ، إذاً

---

(١) أورده القس أنجيلوس جرجس – وجود الله وصوُر الإلحاد ص ٨٣ ، ٨٤٠

(٢) الصراع في الوجود ص ١١١

جميع الأنظمة الدينية والإجتماعية هي من وضع الإنسان ، وبالتالي فالإنسان يستطيع أن يُبدّلها ويزيد عليها أو ينتقص منها ، وهكذا ألقى فويرباخ بذور الإلحاد ، وجاء ماركس ليرويها ويقطف ثمارها المرة ، وهكذا إرتبط كارل ماركس إرتباطاً وثيقاً بهذا الفيلسوف المُلحد.

كما إستهوت ماركس " **نظرية التطور** " التي تُنكر الله الخالق ، ووجد ضالته المنشودة في كتاب " **أصل الأنواع** " لداروين حيث الصراع على الحياة والبقاء للأفضل ، فأنكر ماركس الوحي الإلهي والأمور الميتافيزيقية من خلود وحياة أبدية ، وأعتقد أن العقائد الدينية هي وليدة العقل وليس الوحي ، وشيئاً فشيئاً لم يخفِ ماركس إلحاده وإزدرائه بالدين ، وإعتقاده أن الدين يُغيّب الشعوب عن الواقع ، وقال مقولته الشهيرة أن " **الدين هو أفيون الشعوب** " وعندما أصدر كتابه الشهير " **رأس المال** " أهداه إلى " **داروين** " قائلاً " *من محب مخلص لداروين* " وأعتبر " **بليخانوف** " مؤسس الشيوعية الروسية أن الماركسية تعد التطبيق العملي للدروانية ، التي تنادي بالبقاء للأصلح ، ويقول " **الدكتور كمال شرقاوي** " : "*لقد عرف ماركس ولينين ما في إفتراضات داروين من إتجاه نحو المادية والإلحاد ، ولم يكن ثمة*

*حد لإعجابهما بداروين وأفكاره ، فشيدوا متحفاً في قلب موسكو للداروينية وتمجيد داروين ، ولكي تكون الخطة مُحكمة لإنطلاق الماركسية على أساس نظرية داروين .. فقد خطط ماركس ولينين لإستخدام هكسلي في ترويج أفكار نظرية داورين ، وكان (هكسلي) في ذلك مستميتاً .. من هنا **كانت أفكار داروين عوناً ومدداً لترسيخ المادية والإلحاد** في المواجهة التي كانت دائرة بين العلم والدين " (١).*

س١١ : كيف تأثر ماركس بالحلم اليهودي في فردوس أرضي ؟ وكيف قاده هذا إلى صراع الطبقات ، وفقدان السعادة ؟

ج : عاش **ماركس** مهموماً جداً برغيف العيش ومشكلات المجتمع ، والحلم الذي عاشه اليهود أجداده بمجئ المسيا صاحب الفردوس الأرضي والسيطرة على العالم ، هذا الحلم عاش في قلب ماركس ، فصار يحلم بفردوس أرضي يتحقق على أيدي العمال المطحونين المقهورين ، وعندما أنشأ جريدة ثورية في مدينة كولوني تعرضت للمصادرة ، وعندما لم يسمح لماركس بالإقامة في ألمانيا هجرها ،

---

(١) التطوُّر بين الضلال وممارسة حق النقد ص٧٤

ففي عام ١٨٤٣م سافر إلى فرنسا لدراسة المذهب الإشتراكي ، وفي عام ١٨٤٨م شارك **ماركس** في أحداث الثورة التـــي أنـــدلعت فـــي فرنسا وألمانيا ، وعندما لجأ إلى إنجلترا ، عاش حياة البؤس والفقر والمرض ، ومع ذلك لم يكـــف عـــن الكتابـــة بمكتبـــة المتحـــف البريطاني ، وهو يعيش على حلم إندلاع الثورة الإجتماعيـــة التـــي كرس لها حياته. وعندما إلتقى ماركس بصديق عمره " **فريـــدريك إنجلز** " الذي كان يشغل مديراً لبعض مصانع مانشستر مدَّ له إنجلز يد العون وأنقذه من الفاقة وتعاطف معه ، ولاسيما أن " **إنجلز** " كان قد زار المناطق الصناعية في مانشستر ، وتطلع إلى مئات الألـــوف من العمال الذين يعيشون في أسوأ حالاتهم ، فيسكنون فـــي منـــازل ضيقة ومهدَّمة وقذرة ، لا يحصلون حتى علـــى الهـــواء النقـــي ، فالهواء مشبَّع بالرطوبة وذرات الفحم ، وحتى النساء يعملنَ وهـــن نصف عرايا ويُعاملنَ كمعاملة الدواب ، والأطفال يكدون في العمل فيدخلون إلى المناجم لفتح وإغلاق فتحات التهوية البدائية ، ويقومون بأعمال شاقة لا تتناسب مع عمرهم على الإطلاق مما يؤدي لإرتفاع نسبة الوفيات فيهم إلى درجة كبيرة ، والعمال لا يتقاضون إلاَّ أجراً زهيداً لا يكفيهم قوتهم اليومي مما ترك أثراً سيئاً للغاية فـــي نفـــس إنجلـــز ، وزاد تعاطفـــه مع كارل ماركس (راجع فريدريك إنجلز

– ترجمة ماهر نسيم – الماركسية ص ١٠٥).

وفي سنة ١٨٤٩م قام " **كارل ماركس** " و " **فريدريك إنجلز** " بأصدار النداء المعروف باسم " المانيفتسو الشيوعي " وذيلاه بعبارة " **ياعمال العالم أتحدوا** " وأنتقدا في هذا النداء النظام السائد بشدة ، وعرضا لحالة الفقر والقهر التي يعيشها العمال في كل مكان ، ومن هنا بدأت الأفكار الشيوعية تنتشر على أنها نصيرة العمال المطحونين ، وقسم ماركس المجتمعات إلى طبقة العمال الكادحة (البروليتاريا) وطبقة أصحاب العمل والإنتاج (البورجوازية) وأتهم البورجوازية بالطغيان ، وحفز طبقة البروليتاريا على السعي نحو المجتمع المثالي الذي يتساوى فيه الجميع ، وتصير وسائل الإنتاج ملكاً للجميع ، وتنتهي الملكية الفردية والنظام الملكي ، وصوَّر ماركس المجتمع المثالي الذي يسعى إليه ، بأنه مجتمع يرتفع فيه مستوى المعيشة ، ويعيش الكل متحررين من البطالة والفقر والجهل ، وتختفي الرغبات الأنانية وتتحول إلى مشاعر جماعية ، ونادى ماركس بالإشتراكية ، وفي سنة ١٨٦٧ م أصدر أهم كتبه وهو " رأس المال " حيث تعرض للنظام الرأسمالي الذي يجبر العمال وخاصة النساء والأطفال على العمل لمدة ١٢ ساعة يوماً ، وهكذا إستطاع ماركس أن يحرك

العمال هنا وهناك ليستردوا حقوقهم الضائعة ويلتمسوا مستقبلا أفضل ، وظل ماركس يكيل اللطمات للنظام الرأسمالي الذي شاخ وهرم ، وبذلك أرسى مبدأ صراع الطبقات .

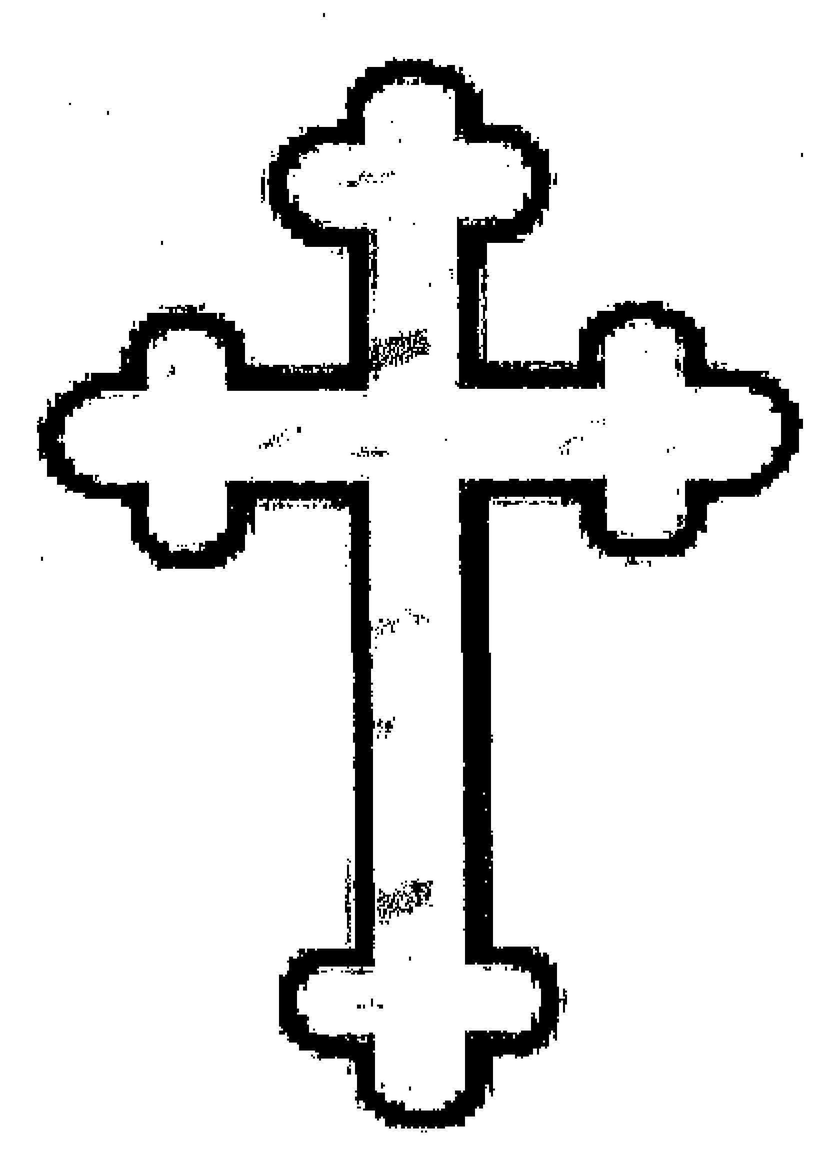
وكان " **ماركس** " قد تزوج ، وظل وفياً لزوجته ، ولكن في ظل الصراع الذي عاش فيه ، بعيداً عن الله ، لم يذق طعم السعادة ، وهذا ما نراه في قصيدته " نافخ المزمار " حيث يقول "*أن أبخرة الجحيم تتصاعد وتلف رأسي حتى أجن ويقسى قلبي .. أنظر إلى هذا السيف .. إنه لرئيس سلطان الظلمة وقد باعه لي* " [1] وفي قصيدته " أولانيم " يقول "*لقد إنتهيتُ .. خربتُ .. ضعفتُ .. وموعدي إلى الإنتهاء. ها ساعتي وقت نهايتها .. ومسكني قد تهاوى إلى حطام سريع .. سوف أحتضن الأبدية إلى صدري. وأزمجر باللعنات الرهيبة : أيتها الأبدية أنت مصدر رعبنا الأبدي ، أنت الموت الذي لا يوصف .. الهلاك الذي لا يُقاس .. ونحن إلاَّ ساعات آلية عمياء .. لا هدف لنا إلاَّ الإنتماء للأحداث ثم الهلاك* " [2].

وإن كانت مثالية النظام الأرستقراطي قد أهملت رغيف

---

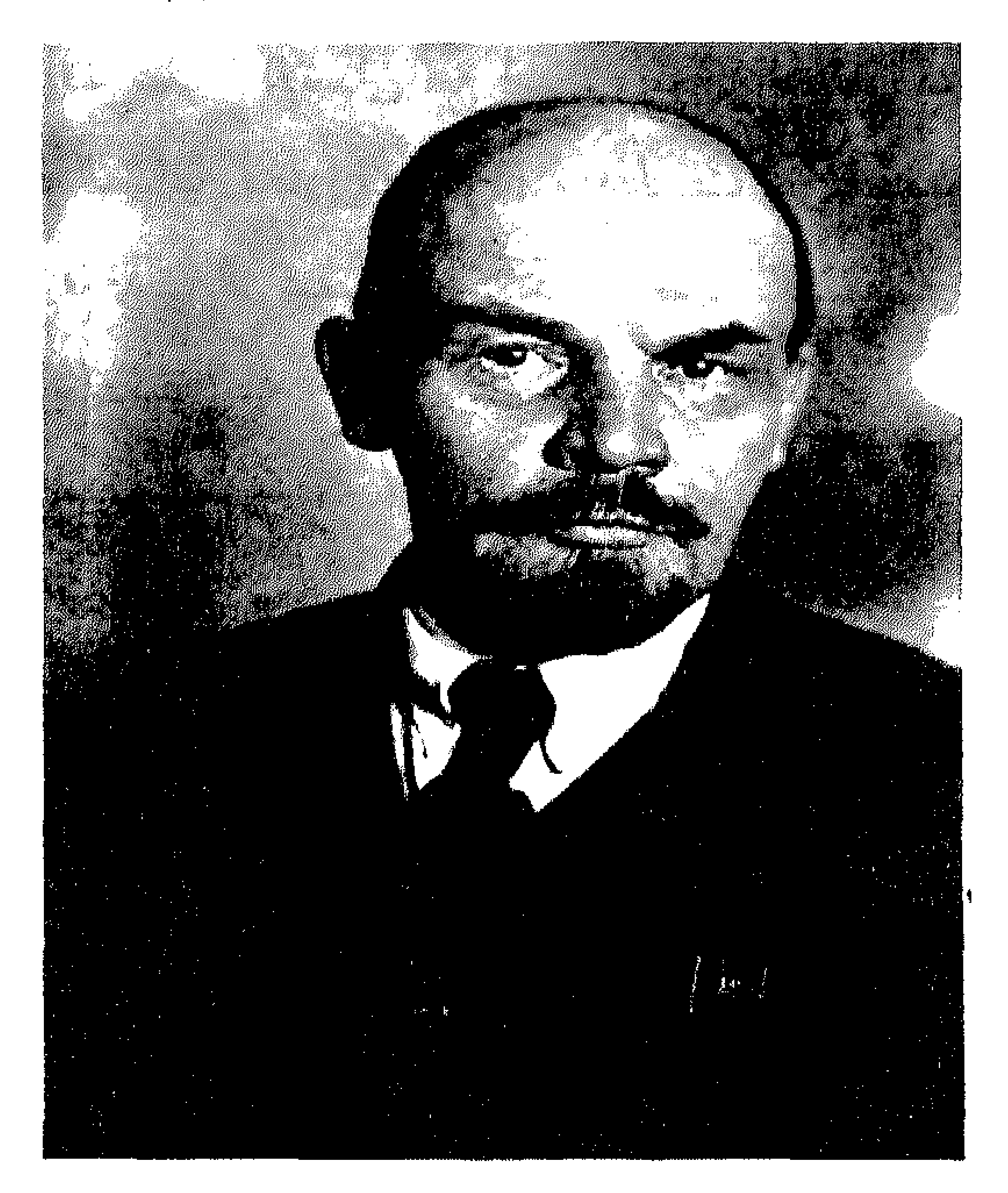
[1] أورده القس أنجيلوس جرجس – وجود الله وصوَر الإلحاد ص ٨٢ ، ٨٣
[2] المرجع السابق ص ٨٣

العيش وقهرت العمال ، فإن الماركسية إهتمت برغيف العيش ، ولكنها دمرت علاقة الإنسان مع الله ، ويقول " **بولس سلامة** " : " *لقد أخطأت **المثالية** فجاوزت حدها وأهملت الرغيف ، وكذلك **الماركسية** فأخذت الرغيف وتركت الله نكاية بالمثالية ، وأذابت الإنسان في الإشتراكية • لقد زعم **هيجل** أن الفكرة أو المثال هي القمة ، وحسبت الماركسية أن الإشتراكية هي القمة •• الحقيقة هي الوسط ، **فلو كان الإنسان ملاكاً لاستغنى عن الرغيف ، ولو كان حيواناً لاكتفى بالرغيف ، ولكنه إنسان رجله في التراب ورأسه في السحاب*** " [١].



[١] الصراع في الوجود ص ١٣١

٢- لينين (١٨٧٠ - ١٩٢٤م)



س١٢ : كيف عاد لينين من منفاه ، وكيف سكب الوقود على نيران الثورة البلشيفية ؟

ج : وُلِد " **فلاديمير اليتش أوليانوف** " (لينين) في مدينة " سيمبيرسك " الروسية (حالياً أوليانوفسك) في ٢٢ أبريل سنة ١٨٧٠م ، وبعد إنهاء دراسته حصل على الرخصة القانونية

التي تؤهله لممارسة مهنة المحاماة ، ولكنه إنصرف للعمل الثوري في مدينة " سانت بيتر سبرنج " ، وألقي القبض عليه في سنة ١٨٩٥م ونفيه إلى سيبريا ، وفي سنة ١٨٩٨م تزوج " **لينين** " من الفتاة الإشتراكية " **ناديجدا كروبسكايا** " وفي سنة ١٩٠٠م أنتقل إلى أوربا ، وأصدر صحيفة الإشتراكية " إسكرا " أي " الشرارة " وكان ستالين يجتهد في توزيعها في روسيا ، كما نشر الكتب المتعلقة بالعمل الثوري ، وفي سنة ١٩٠٣م نجح " **لينين** " في تولي زعامة الحزب البلشفي. وكان قيصر روسيا يحكم سدس مساحة العالم ، وزاد الفارق الطبقي بين رجال البلاط القيصري والأغنياء الذين يعيشون في رخاء ونعيم ، وبين الفلاحين الذين يعانون من الفقر المدقع ، والعمال المطحونين الذي يعملون بين ١٢ – ١٤ ساعة يومياً مع سوء الأحوال الصحية ، فدخل الفلاحون والعمال في عداء شديد مع القيصر ، وتعاطفت معهم طبقة من المثقفين الذي لم يجدوا فرص للعمل ، بينما تزرَّع القصر بقوات الشرطة والجيش ورجال الدين وأصحاب الأراضي.

وفي يوم الأحد ٩ يناير سنة ١٩٠٥م إجتاحت الجماهير الغفيرة شارع نفسكي متجهة إلى قصر الشتاء حيث يقيم القيصر ، ليطالبونه بتحسين أوضاعهم المعيشية ، ولكنهم فوجئوا بحرس

القصر يطلق النيران عليهم بلا مبرر ، وسقط منهم عـــدد غفيــر ، حتى دعى ذلك اليوم بيوم الأحد الحزين ، وإنتهت هذه الثورة ولكن الجماهير لم تهدأ ، وكان هناك من ينفخ في نيران الثورة سواء مـــن داخل روسيا مثل الحزب الشيوعي أو من خارجها وقال " **لينين** " : " *هيئوا لنا منظمة من الثوريين نقلب لكم روسيـــا رأساً على عقب* "[1]. وفي سنة ١٩٠٦م تم إختيار " **لينين** " لزعامة حـــزب العمـــل الإشتراكي الإجتماعـــي ، وفـــي السنـــة التالية إضطر للرحيل إلى " فنلندا " لدواعي أمنية ، ولكنه كان يعقـــد الإجتماعات الإشـــتراكية في شتى بقاع أوربا ، ورفع " **لينين** " شعـــار " **الأرض والخبـــز والسلام** " .

وفي سنة ١٩١٧م أشتعلت نيـــران الثـــورة التـــي بـــدأت بمظاهرة ضخمة تطالب بالخبز ، ثم إنقلبت إلى إضراب عام ، وفي اليـــوم التالي إرتفع عدد المتظاهرين إلى مـــائتي ألـــف شـــخص ، وتضامن رجال الجيش مع المتظاهرين فرفضـــوا إطـــلاق النـــار عليهم ، وسريعاً ما إمتدت الثورة إلى صفوف الجيش ، ولاسيما أن الإنسحاب غير المنظم للجيش الروسي ســـنة ١٩١٥م خلّـــف وراءه ضحايا عديدين مما حطم معنوياته ، وأمام نيران الثـــورة إضـــطر

---

[1] رتشارد كنشام – ترجمة عزت فهمي – هذه هي الشيوعية ص ٢١

القيصر للتنازل عن العرش ، وتولت إدارة البلاد أول حكومة ديمقراطية ، فأفرجت عن المسجونين السياسيين ، وسمحت بحرية الصحافة والخطابة ، وبدأ " **لينين** " يعود من منفاه الذي أمضى فيه عشر سنوات ، فعاد عبر ألمانيا إلى بتروجراد في سنة ١٩١٧م ، عقب الإطاحة بالقيصر الروسي " **نيقولا الثاني** " ، وشعر الشعب بتحسن الأوضاع الداخلية ، وبدأت تحل الحرية عوضاً عن قيود وإرهاب الأمبراطورية القيصرية.

ولكن سريعاً ما دب الصراع في الحكومة الجديدة ، ولم يتحقق السلام المنشود ، فالفلاحين والعمال الذين كانوا وقوداً للثورة ، لم توزع عليهم الحكومة الأراضي كما وعدتهم بهذا ، فبدأ الفلاحون يقتلون ملاك الأراضي ، ويحرقون بيوتهم ، ويستولون على أراضيهم ، وبدأ عمال المناجم والمصانع في الإنتقام من أصحابها ، وألقى " **لينين** " الوقود على النار أكثر فأكثر فحرَّض جنود الخطوط الأولى على هجر الخدمة العسكرية والإستيلاء على الأراضي ، وقام هؤلاء الجنود وهم من الفلاحين والعمال بقتل الضباط. أما شعار الثورة " **الأرض والخبز والسلام** " فلم يتحقق ، وعندما وصل " **لينين** " للسلطة أراد إقناع الجماهير أن الثورة التي أزاحت النظام القيصري هي خطوة على الطريق ، ولم تقتنع

الجماهير ودخلت في تصادمات مع الحكومة ، وبدأت الحكومة تحد من الحريات ، كما حدث تصادم بين ضباط الجيش ولجان الجيش ، فأعادت الحكومة المؤقتة عقوبة الإعدام في الجيش بقصد القضاء على تلك اللجان ، وأمتدت الحرب الأهلية لمدة ثلاث سنوات حتى أمتلك الشيوعيون زمام الأمور ، وقاموا بتأميم كل الصناعات ، وكانت روسيا على عتبة إنهيار إقتصادي شديد ، أما " **لينين** " فكان يطمع في ثورة العمال العالمية ، فقال "*أن الموضوع يا سادتي ليس موضوع روسيا على الإطلاق. إنني أبصق على روسيا ٠٠ إن هذه مجرد رحلة يجب أن نمر فيها في الطريق إلى الثورة العالمية* " [١] ، وحاول " **لينين** " تصدير الثورة إلى فرنسا وألمانيا مستعيناً بالجيش الأحمر .

س١٣ : كيف إستطاع " فلاديمير أليتش " (لينين) الوصول للحكم الروسي ؟ وكيف قاد الإتحاد السوفيتي لمدة خمسة وثلاثين عاماً نحو الإلحاد ؟

ج : أعتنق " **فلاديمير أليتش أوليانوف** " (**لينين**) الأفكار

---

[١] رتشارد كتشام – ترجمة عزت فهيم – هذه هي الشيوعية ص ٣٦

الماركسية ، وأسس حزباً سياسياً ، حتى يتمكن من تنفيذ هذه الأفكار ، فخاض نضالاً طويلاً عن طريق الحزب الشيوعي الذي أسّسه في مدينة بتروجراد التي لا تنام ، فالجموع تزدحم حول " معهد سمولني " الذي تحيطه حراسة مشدّدة من الحرس الأحمر ، ولا يُسمح لأحد بالدخول إلاّ بأذن ، وفي شهر أكتوبر ١٩١٧م قرّرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي إتخاذ القرار بقيام الثورة بإجماع جميع الأصوات باستثناء عضوين فقط ، فاشتعلت الثورة في جماهير الشعب ، وحملت شعارها " الأرض .. الخبز .. السلام " ونجحت الثورة وسيطرت على مجريات الأمور ، كما رأينا في إجابة السؤال السابق.

وشيئاً فشيئاً بدأت معالم الثورة تتضح أنها ضد الدين وضد الألوهية ، حتى أن " **لينين** " قبّح ليس عبادة الله ، بل مجرد التفكير في الله ، فقال "***أن كل فكرة دينية ، أو فكرة عن الله ، حتى التمادي بفكرةٍ عنه ، هي قباحة لا يُنطق بها ، وهي أعظم خطراً وأشدها عدوى من أية عدوى كانت ، فملايين الخطايا والأعمال القبيحة ومظاهر الضعف والعدوى الجسدية ، لهي أقل خطراً من***

فكرة روحيَّة خدَّاعة عن الله " [1] ولكن يبدو أن فكرة إستبعاد الله عن ذهن الإنسان شبه مستحيلة ، ولذلك عندما كانت قوات الجنرال كورنيلوف المعادي للشيوعية تحاصر بطرسبرج ، كان " **لينين** " يكرر القول بأن الله يعطينا المنفذ .

وحكم " **لينين** " بحزبه الشيوعي الإتحاد السوفيتي بالحديد والنار لمدة خمسة وثلاثين عاماً ، ونجح في تقسيم معظم العالم إلى معسكر إشتراكي شرقي ومعسكر رأسمالي غربي ، ودار الصراع بين هذا وذاك ، وإستطاع أن يكسب ثلث العالم للإشتراكية الروسية ، وهو يقول " ***الدين هو أفيون الشعوب .. الدين نوع من الخمر الروحية يُغرِق فيها عبيد الرأسمالية صفتهم الإنسانية ومطالبهم بأي حياة إنسانية كريمة*** " [2].

وكان " **لينين** " قد تعرَّض لمحاولة إغتيال في ٣٠ أغسطس ١٩١٨م ، فعقب إنتهاءه من أحد الإجتماعات وكان في طريقه إلى سيارته ، أقتربت منه " **فانيا كابلان** " ونادته بإسمه ، وعندما ألتفت أطلقت عليه ثلاثة أعيرة نارية أستقرت واحدة في كتفه والثانية في رئته ، وفي مايو ١٩٢٢م أُصيب بجلطة تسببت في شلل نصف

---

(١) ريتشارد وورمبلاند – تعريب كريم خاشو – العذاب الأحمر ص ٩٨

(٢) ريتشارد كيتشام – ترجمة عزت فهيم – هذه هي الشيوعية ص ٦٣

جسمه الأيمن وقللت من مشاركاته السياسية ، ومـــع نهايـــة العـــام جاءت الجلطة الثانية لتبعده عن الأضواء ، وفي مـــارس ١٩٢٣م ، جاءت الجلطة الثالثة لتفقده القـــدرة على الكلام ، وفـــي ٢٤ ينـــاير ١٩٢٤م جاءت الجلطة الرابعة التي قضت عليه ومـــات " **لينـــين** " كأكبر زعيـــم ثورة ، مات كديكتاتور ، ثم بدأت هالة التقديس تُنسج حوله ، فأخذوا يُعلّمون الأطفال في المدارس أن يفخروا بأنهم أبنـــاء لينين ، وكان الطلبة يدرسون أقواله ، وفي كل مكان كانت تنتـــشر صورّه ، فيردّدون " تحيا الشيوعية " .. " يحيا لينـــين " ، والـــذين كانوا يؤدون خدمات عظيمة للحزب الشيوعي كانوا يُكافأون بشارة تحمل صورة وإسم لينين ، بينما كان أبناء ضحايا الشيوعية يُودَعون للملاجئ ، كما كان الأولاد يُنتزعون من والـــديهم بـــسبب إيمـــانهم بالمسيحية ، ويُودَعون للملاجئ أيضاً ، وحُرِم الآباء والأمهات مـــن رؤية أولادهم ، وحُرِم الأولاد من الأبوة والأمومة .

أما " **ضريح لينين** " في موسكو فكان يزدحم أمامه طابوراً طويلاً ينتظر الدخول للتوســـل إلـــى لينـــين ، ويـــصف " **ســـرجي كورداكوف** " الموقف قائلاً " *عندما دخلتُ المحراب المهيب المسجي فيه الجسد الميت للأب الكبير لينين ، دخلني شعور بالخوف والرهبة للرجل الذي أمضيتُ ساعات طويلة مـــن عمري أســـتذكر مبادئـــه*

وكتبه ، والذي هو المصدر الذي ينبثق منه ديني الذي أعتنقه ألاّ وهو الشيوعية ، والذي كان أول إيمان ومعتقد لي في هذه الحياة ، حيث بهرتني المساواة والتضامن والأخوة بين البشر التي نادى بها لينين. لهذا وقفت أمامه بخشوع مصليًا : ساعدني في الحياة أيها الأب لينين. قدني ووجهني عندما أكون في إحتياج. ساعدني لكي أفهم تعاليمك وأسلك بها. وفل كل العقبات وأبعد الأخطار من طريقي في الحياة. أجبني وقدني وساعدني أيها الشاب لينين. ثم رفعت عيني ونظرت للجسد المسجي بضع دقائق ، ثم خرجت وأنا أحس بطريقة ما بالإنتعاش ، وشعرت بقوة والإستعداد لمواجهة تحديات الحياة "[1].

---

[1] ترجمة نشأت مرجان – شاول طرسوس جديد – قصة ذئب شيوعي يتحوّل إلى المسيحية ص ٤٨ ، ٤٩

٣- ستالين (١٨٧٩ - ١٩٥٣م)



س١٤ : كيف قضى " جوزيف فيساري " طفولته ؟ وكيف نفخ في نيران الإضرابات العمالية ؟

ج : وُلِد " جوزيف فيساري نوفتش دجوغا شفيلي " (ستالين) في أسرة متواضعة فوالده كان يعمل إسكافي ، وكان سكيراً ، وكان يعامل إبنه " **جوزيف** " بقسوة ويضربه ضرباً عنيفاً ، وأمه " **إيكاترينا** " كانت تعمل في البيوت لتعول الأسرة ، وأحياناً

كانت تسرف في حب إبنها " **جوزيف** " ولاسيما بسبب معاملة والده القاسية له ، وأحياناً كانت تضربه ضرباً مبرحاً ، وعندما سألها فيما بعد : لماذا كانت تضربه كثيراً ؟ أجابته بأن الضرب لم يسبب لــه أي أذى ، ولكنه في الحقيقة قد تأذى نفسياً حتى أنه كــره والدتــه ، وخلال نحو ٣٠ عاماً فيما بعد وعندما صار رئيساً لم يلتقــي بهــا سوى ثلاث مرات ، ورفض دعوتها إلى الكرملين ٠ بل أنــه غيَّــر إسمه من " **جوزيف** " إلى " **ستالين** " أي " الرجل الفولازي " ٠ كما قيل أن " **لينين** " هو الذي دعاه بهذا الأســم ، لأنــه كــان ضــمن مجموعة ثورية تحاول إغتيال أحد الرجــال الموالــيـــن للقيــصر الروسي ، وكان " **جوزيف** " متنكراً في ذي عامل ، وكان يعمل مع بقية العمال في حديقة القصر ، وعندما أبصر هذا الشخص ، ألقــى عليه قنبلة يدوية ، وراح يكمل عمله وكأن شيئاً لم يحدث ٠

وفي سن الحادية عشرة أرسلته أمه إلى المدرسة الملحقــة بدير أرثوذكسي في " تبيليس " ، وتعلم القراءة من خــلال الكتــاب المقدَّس كما أعلن خرشتوف فيما بعد ، وكم حزنت أمــه لأنــه لــم يلتحق بالرهبنة ، حتى بعد أن صار رئيساً لروسيا ، ولم تكن تدري كم من الجرائم سيرتكبها هذا الأبن الجاحد ، وكم سيناصب الكنيــسة الأرثوذكسية الروسية العداء ، فيحرق الأيقونات ، ويهدم الكنــائس

.. ويفعل كل ما يحلو له.

وقد عُرف ستالين بذكائه الحاد وذاكرته الخارقة ، فكان متفوقاً في دراسته ، كما أنه تميَّز عن أترابه بنهمه الشديد للإطلاع ، وعندما كان في الخامسة عشرة من عمره إتصل بالحركات الماركسية السرية وفي الواحدة والعشرين ألقى خطاباً حماسياً على مئات العمال في إجتماع سري ، مما نتج عنه إنفجار موجة من الإضرابات العمالية ، وفي سنة ١٩٠١م قام ستالين بتوزيع صحيفة " إيسكرا " أي الشرارة ، والتي كان يصدرها " **لينين**" وهو في الخارج ، ونظم مظاهرة ضمت أكثر من ألف عامل ، وفي السنة التالية ١٩٠٢م تظاهر ستة آلاف عامل في مدينة " باتوم " الصناعية ، بفضل الحلقات السرية التي كان ينظمها ستالين ، وقتل البوليس في هذه المظاهرة خمسة عشر شخصاً وأعتقل خمسمائة عامل ، ثم أُعتقل " **ستالين** " وحُكم عليه بثلاث سنين في سيبيريا ، ولكنه إستطاع الهرب والعودة إلى تبليس في شهر فبراير ١٩٠٤م ، وأخذ يجاهد للقضاء على القيصرية في روسيا ، ثم تعرَّض بعد هذا للإعتقال عدة مرات ، والنفي ، ولكنه إستطاع العودة إلى بطرسبرج سنة ١٩١٢م وأصدر جريدته " البرافدا " ، ولكن " **لينين** " وهو في النفي إستدعاه وأرسله إلى فيينا ليتفرغ لكتابه مؤلفه " الماركسية

والمسألة القومية " وقد أشاد لينين بهذا المؤلَّف ، وعندما أندلعت ثورة أكتوبر الإشتراكية سنة ١٩١٧م كان " **ستالين** " أحد أعضاء المركز العسكري الثوري ، وطوال فترة الحرب الأهلية كان " **ستالين** " يقود النضال المسلح ، فكان في نظر " **لينين** " أنه صاحب المهمات الصعبة ، وعندما أُصيب " **لينين** " بالشلل في يده ورجله اليمنتين وحُظر عليه أي إزعاج أو نشاط سياسي ، كان ستالين هناك يسهر على راحته وصحته (راجع مقال د. إبراهيم زعير (صوت الشعب) من شبكة الإنترنت).

س١٥ : ما هي محاولات ستالين للإنفراد بالحكم ، والقضاء على المسيحية ، وإعدام آلاف القسوس ، وإغلاق الكنائس ؟

ج : بعد موت " **لينين** " سنة ١٩٢٤م تألفت الحكومة من الثلاثي ستالين ، وكامينيف ، وزينوفيف ، ولكن ستالين تغلَّب على كامينيف وزينوفيف ، وعمل على إبادة كل المعارضين له بالداخل ، وحتى رفيق دربه " **تروتسكي** " الذي كان منفياً في المكسيك أرسل " **ستالين** " من يغتاله سنة ١٩٤٠م. لقد نجح " **ستالين** " في أن يخلّف لينين ، وأحكم قبضته الحديدية على روسيا ، وقام بتأميم كل ممتلكات الطبقة المتوسطة ، وكان المندبون من الجيش الأحمر

يصادرون الأملاك بالكامل ، ويتركون تلك الأسر لتعاني الموت جوعاً ، وكانت هذه أول مجاعة مُتعَمدة في العالم مات فيها ملايين البشر .

وأستخدم " ستالين " أقسى أساليب العنف ضد الهيئات الدينية والمؤمنين ، والمثقفين ، والفنانين ، والمعارضين فرجال الكهنوت حُرموا من البطاقات التموينية ، ومُنعوا من الأعمال ، وحُرم أبناؤهم من الإلتحاق بالمدارس أو أُخذوا بعيداً عنهم إلى الملاجئ ، وأُلغيت كافة الإحتفالات الدينية ، وخلال الفترة من سنة ١٩٢٩م وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية أُعدم آلاف القسس ، وأُرسل الآلاف إلى معسكر السخرة ، وتحوّلت الكنائس إلى مخازن أو مدارس أو مسارح ، وفي سبتمبر ١٩٣٢م نشرت جريدة " الحارس " الروسية أنه بناء على خطة السنوات الإلحادية فسوف تنتهي الكنائس في مدة خمس سنوات ، ويُمحق الدين من الوجود ، ويخرس للأبد صوت الله . وفي سنة ١٩٣٧م فقط تم إغلاق ١١٠٠ كنيسة أرثوذكسية ، و ٢٤٠ كنيسة كاثوليكية ، و ٦١ كنيسة بروتستانتية ، و ١١٠ مسجد ، وأُعتبر المسلمون أيضاً عديمي الولاء للدولة ، وصارت الشيوعية ديناً ، وهو الدين الماركسي اللينيني ، وترك الشيوعيون القليل من الكنائس كنوافذ للمراقبة وكان

معظم رعاة هذه الكنائس من عملاء البوليس السري يتعاونون مع الشيطان ضد أبنائهم ، حتى أن أحد الأساقفة الأرثوذكس علَّق على جبته " المطرقة والمنجل " رمز الشيوعية ، وطلب من الكهنة أن يخاطبوه بـ " الأسقف الرفيق " بدلاً من " صاحب الغبطة " وبعض الأساقفة أخذوا يشيعون أن الشيوعية والمسيحية هما واحد في الأساس (راجع ريتشار وورمبلاند – جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي ص١٩ ، والعذاب الأحمر ص ١٤ ، ١٥) . أما الرعاة الأمناء فكانو مختفين عن الأعين.

كما أستخدم " **ستالين** " العنف ضد الفلاحين المعارضين للمزارع الجماعية التي توسع في إنشائها حتى وصلت إلى نسبة ٦٠ % من مساحة الأرض ، وقام بتصدير القمح واللبن والجبن في حين مات أكثر من مليون طفل من الجوع ويقول " **رتشارد كتشام** " : "*وقد أعترف ستالين فيما بعد بأن تطبيق نظام المزارع الجماعية ، كلف الإتحاد السوفيتي من الأرواح أكثر مما كلفته الحرب العالمية الثانية* " [١].

---

[١] ترجمة عزت فهيم – هذه هي الشيوعية ص ٣٦

كما أستخدم " **ستالين** " العنف أيضاً مع العمال وأجبرهم على العمل في المصانع الكبرى ، وأُعتبر العامل الذي يترك العمل من نفسه " هارباً " ويعاقب بالعمل لمدة عشر سنوات في معسكر السخرة ، وما أدراك ما معسكر السخرة ، فالإنسان لا يجد كفايته من الخبز ، فمن تتراوح نسبة إنتاجه من ٧٥ – ٨٠ % من المعدل المطلوب يحصل على ٢٠٠ جم من الخبز ، ومن يحقق نسبة ٨١ – ٩٩ % يحصل على ٤٠٠ جم ، ومن يحصل على ١٠٠ % يحصل على ٦٠٠ جم من الخبز يومياً ، وبينما كان نصيب الإنسان من اللحم في اليوم ٢٢ جرام ، فإن نصيب الكلب كان ٢٥٠ جم ، وهذه الظروف الصعبة في معسكرات السخرة رفعت نسبة الوفيات من ٢٠ – ٥٠ % ، وكان يُودع في هذه المعسكرات العمال غير المرغوب فيهم ، وكان العامل يُحاسب على أي ضرر يلحق بالآلة ، وفي عهد " **ستالين** " تمت تربية الأطفال منذ الثالثة من عمرهم على المبادئ الشيوعية ، وأن الدولة هي كل شئ والفرد لا شئ .

س١٦ : هل كان ستالين مجنوناً بالسلطة ؟ وكيف أدت حملات التطهير لهزيمة القوات الروسية ؟

ج : عندما زاد تبرُّم الشعب وضعت الدولة دستور ١٩٣٦م الذي حمل باقة رائعة من حقوق الشعب مثل حق التعليم ، وحق العمل ، والمساواة بين الجنسين ، وحرية الصحافة والإجتماعات ، وحصانة الأشخاص ومنازلهم ، ولكن كل هذا وُضع من أجل تحسين صورة الشيوعية ، وكانت كل هذه الحقوق هي مجرد حبر على ورق ، وخلال الفترة من ١٩٣٥ – ١٩٣٩م قادت حكومة ستالين حملات التطهير البشعة ، حتى وصل عدد المعتقلين بالملايين ، أُعدم منهم الآلاف ، وقبيل غزو هتلر لروسيا ، وقد رصدت المخابرات الروسية تبرُّم قادة الجيش من الشيوعية ، كانت هناك حملة تطهير شرسة في الجيش ، أُعدم خلالها خمسة مارشال ، وإحدى عشر نائباً لوزير الدفاع ، ومن مجلس الدفاع الأول الذي كان يضم ثمانين شخصية ، أُعدم منهم ٧٥ جنرالاً وأميرالاً ، وأُعدم ٩٠ % من كل الجنرالات ، و ٨٠ % من كل الكولونيلات ، بالإضافة إلى ثلاثين ألف ضابط آخر ، ومن أجل كل هذه المذابح التي صنعها " **ستالين** " ، فإنه عندما هاجمت القوات الألمانية الإتحاد السوفيتي ، نظر الروس للألمان على أنهم محرريهم ، فخرجت مظاهرات روسية ضخمة تشجع الألمان (راجع رتشارد كتشام – هذه هي الشيوعية)٠

وفي سنة ١٩٣٩م أتفق " **ستالين** " مع " **هتلـــر** علـــى غزو " بولندا " وتقسيمها بينهم ، وكان هذا من أسباب إندلاع الحرب العالمية الثانية ، وفي سنة ١٩٤١م أنقلب " **هتلـــر** " على " **ستالين** " وهاجم الإتحاد السوفيتي ، وعنـــدما إجتاحـــت القـــوات الألمانيـــة الأراضي السوفيتية لم تجد مقاومة تُذكر بسبب ما قام به " **ستالين** " من إعدامات لجنرالات الجيش ، فدخلت القوات الألمانيـــة القـــرى وحرقتها عن بكـــرة أبيهـــــا (ولم تعتد بمعاهدة " عدم الإعتـــداء " التـــي عقدها هتلر مع ستالين في ٢٣ أغسطس ١٩٣٩م) وإضطر " **ستالين** " إلى بذل قصارى جهده للتصدي للقوات الألمانية إلـــى أن أنتصر عليها في موقعة ستالنجراد في ٩ مايو ١٩٤٥م ، فارتفعـــت أسهم " **ستالين** " إلى السماء ، وأعتبر هو المؤسس الحقيقي للإتحاد السوفيتي ، وصانع النصر على دول المحـــور (ألمانيـــا وإيطاليـــا واليابان) وذلك بالرغم من أن الإتحاد السوفيتي قد تحمـــل خـــسائر بشرية أكثـــر من أي بلد أخرى ، وفي سنة ١٩٤٧م فاز في دائرته الإنتخابيـــة بنسبة ١٣١ % بحجة أن المواطنين جاءوا من الـــدوائر الأخرى ومنحوه أصواتهم ، وصار " **ســـتالين** " موضـــع تكـــريم القيادات السوفيتية ، وطالما تغنت له وسائل الإعـــلام ، وأنتـــشرت كتبه في أرجاء البلاد ، فلم تخلو منها مكتبة ،

س١٧ : هل إستطاع ستالين أن يحقق السعادة في حياتـه ؟ وكيف أعدُّوه مجرماً بعد موته ؟

ج : لم يعش " **ستالين** " سعيداً في حياته ، وكان قد تزوج مرتين ، الأولى يهودية وتدعى " روزا " وقد ماتت بالسل سـنة ١٩٠٧م أي قبل قيام الثورة بعشر سنوات ، وقيل أنه لم يكن يملك المال الكـافي لعلاجهـا ، بعـد أن أنفق ماله على الحزب ، وكان قد أنجب منها " **ياكوف** " الإبن الأكبر الذي حاول الإنتحار ذات مرة ونجـا ، ثـم ألتحق بالجيش ، وتعرض للأسر من القوات الألمانيـة ، ورفـض ستالين أن يميزه في تبادل الأسرى ، وفي محاولته للهرب قُتل. أما زوجته الثانية (**ناديا**) فقد تزوجها سنة ١٩١٧م وكان عمرهـا ١٧ سنة ، وكانت شيوعية متحمسة وإبنة أحد زملائه المقربين ، وكانت تدرس الهندسة ، وأنجبت له طفلين ، وأخيراً إنتحرت بالرصـاص بسبب خلافاتها مع ستالين ، ولاسيما بسبب تعدد علاقاته العاطفيـة وأُعلن أنها ماتت بسبب إلتهاب الصفاق.

وأيضاً كان " **ستالين** " يعاني من فقدان الثقة بالجميع ، بعد أن قتل معظم رفاقه ، وكان يتوقـع الإغتيـال ، فخـصص ثمـان حجرات للنوم تُغلق جميعها بإحكام ، ولا يعرف أحد في أي حجـرة

يبيت ، ولم يكن يتذوق الطعام إلاّ بعد أن يتذوقه الطاهي أولاً ، وسمعه " **خروشتوف** " وهو يقول "*لم تعد لي ثقة في إنسان ما* " [١].

وفي أول مارس ١٩٥٣م في مأدبة عشاء وبحضور وزير الداخلية السوفيتي " لافرينتي بيريا " و " خروششتوف " تدهورت حالة " **ستالين** " الصحية ، ومات بعدها بأربعة أيام بجلطة في المخ ، وحُنطت جثته ، ووضعت بجوار جثة لينين ، وفي الجلسة العشرين للحزب الشيوعي ندَّد خروششتوف بستالين ، حتى وصفه بالسفاح الجماعي ، والقاتل ليس لأعدائه فقط بل ولأصدقائه أيضاً ، وبين ليلة وضحاها أنقلب المديح والتكرم لستالين إلى سب ولعنات ، وشيئاً فشيئاً أصدر خروششتوف أوامره السرية بقتل كل كبار المسئولين الذي شايعوا ستالين ، وأن يتم ذلك بطريقة لا تثير الشكوك لدى أحد ، ويقول " **بيتر أوهل** " رئيس وكالة الأنباء التشيكية أن "*ستالين من سنة ١٩٢٤ بعد الإنتصار في حرب التدخل بدأ سياسة إرهابية تخريبية لم يكن لها مبرر قط .. ويعتقدون أن ستالين خان الشعب الروسي* " [٢].

---

[١] رتشار وورمبلاند – ترجمة د. عزت زكي – جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي ص ١٤٠

[٢] عبد الستار الطويلة – سقوط الحلم الشيوعي ص ٢٢٦

وبعد موت ستالين في ٥ مارس ١٩٥٣م الذي جمع بين الإرادة الحديدية وقسوة العنف الذي لا يرحم ، حكم بعده " **لافرينتي بيريا** " ثم " **نيكيتا خروششتوف** " ثم " **جورجي مالينكوف** " وقد بدأت الشيوعية في تغيير ملابسها ، وتحسين مظهرها ، فبدأ الإتحاد السوفيتي يغير أسلوبه وليس سياسته ، وبدأ يتحدث عن التعايش السلمي ، وأبدى رغبته في مساعدة الدول النامية ، وأجتذب إليه بعض دول الشرق الأوسط ، وفتح باب البعثات العلمية إليه ، ومن خلال هذه البعثات كان ينشر فكره في العالم كله ، وبدأ السياسيون السوفيت ينفتحون على العالم ويزورون الدول الغربية ، ويشجعون الغربيين على زيارة أراضيهم ، مع تحاشى الحديث عن المذهب الشيوعي الذي فاحت رائحته ، فلم يعد أحد من الشعوب يقبله ، وما حققته الشيوعية من نجاحات بسبب إنتصاراتها في الحرب العالمية الثانية بدأ يضمحل ، ولم تعد الشعوب تقبل التواجد السوفيتي في أراضيها إلاَّ لهدف معين ، وهو تحدي الولايات المتحدة وشركائها الغربيين ، أما نيكيتا خروششتوف الذي أنتقد سياسة ستالين بشدة ووصفه بأنه مجرم حرب ، فاستمر في نفس السياسة حيث المحاكمات السرية ورمي المعارضين بالرصاص وقمع الحريات .

٤- هولباخ Holbach (١٧٢٣ - ١٧٨٩ م)



س١٨ : كيف كانت حياة هولباخ أشهر فيلسوف فرنسي مُلحد ؟ وكيف كان يروّج لأفكاره عن طريق صالونه الأدبي ؟

ج : وُلِد " **بول هينريش ديتريش هولباخ** " في عام ١٧٢٣م في أسرة كاثوليكية من أصل ألماني ، وكان جده ثرياً ، ودرس " **بول** " العلوم وتعلَّم اللغة الإنجليزية ، وأستقر المقام به في باريس فأصبح

من رعايا فرنسا ، وتزوج من أسرة من خبـراء المـال ، وسـماه المحيطون به بالبارون لأنه كان يملك ضيعة ضخمة ، وفـي داره كان هناك صالونه الأدبي الذي أُشتهر بـه جـداً ، حتـى أن أحـد الظرفاء دعاه " مقهى أوربا " فهو لم يكن صالوناً للأدب فقط ، إنما كانت تقام فيه ولائم العشاء كل يوم أحد وكل يوم خميس ، حيـث يستضيف نحو أثنى عشر شخصاً هم في الغالب من الذين يهاجمون المسيحية ، وعندما يكون الجو لطيفاً يتمشون علـى ضـفاف نهـر السين ويتناولون عشاؤهم من الأسماك ، وبلغ " **صالون هولبـاخ** " من الشهرة ، أن الأجانب الذين كانوا يـزورون بـاريس ، كـانوا يسعون للحصول على دعاوي للحضور ، وفي هذا الصالون كـان الكلام مباحاً في كل شئ وضد كل شـئ ، الألوهيـة ، والخلـود ، والموت والحياة ، والإلحاد .. إلخ وكان عدد الحاضـرين يرتفـع أحياناً إلى سبعة عشر شخصاً يفتخرون بإلحادهم .

وكانت زوجة هولباخ تعيش لزوجها فقط ، فمتى فرغـت من الترحيب بضيوف زوجها، وتقديم ما لذ وطاب ، تجلس في ركن منعزل وتتصرف في شغل الأبرة ، دون أن تشارك في المناقشات ، وماتت هذه الزوجة الوفية في ريعان شبابها ، وظل زوجهـا الـذي وُصف بالبساطة والوداعـة والكرم يعاني من اليأس ، وبعد سـنتين

تزوج من أخت زوجته التي لم تقل في الإخلاص عن زوجته الأولى .

وكان البارون ينظر نظرة عداء شديدة للكنيسة ، فقال أنها تسيطر على التعليم وتسد الطريق أمام المعارف العلمية ، وكتب هذا في مقالتين في دائرة المعارف وهما " **آباء الكنيسة** " و " **الحكومة الدينية** ". وفي سنة ١٧٦١م كتب " **هولباخ** " " **المسيحية في خطر** " ونسبه إلى " **بولانجيه** " الذي مات من سنوات ، ومُنع هذا الكتاب من التداول ، حتى أنه عندما ضُبط أحد الباعة المتجولين وهو يبيع الكتاب حُوكم ، وحُكم عليه بالتجديف في المراكب الشراعية لمدة خمس سنوات. كما حُكم على غلام آخر أشترى الكتاب ليعيد بيعه ، بنفس الحكم السابق لمدة تسع سنوات ، وجاء في الكتاب العبارة التي أُستخدمت كثيراً فيما بعد وهي " **الدين أفيون الشعوب** ".

وفي سنة ١٧٦٦م كتب " **هولباخ** " الأدب المعادي للكنيسة " قائمة القديسين " و " الوقفة المقدَّسة " و " آباء الكنيسة بغير قناع " و " القساوسة الدينية وتحطيم الجحيم " وهاجم الكنيسة بعنف ، كما هاجم تحالف الملوك مع الكنيسة والذي وصفه بالشر الأساسي في فرنسا ، وفي سنة ١٧٦٧م أصدر " **هولباخ** " كتاب " اللاهوت

السهل الحمل " سخر فيه كل السخرية من المبادئ اللاهوتية ، وأجمل القول بأن اللاهوت هو رغبة الكنيسة في التسلط على الشعب ، وفي سنة ١٧٦٨م نشر " **هولباخ** " كتاب " العدوى المقدّسة أو التاريخ الطبيعي للخرافة " وإدعى أنه مجرد ترجمة من كتاب جان ترنشارد الإنجليزي.

وفي سنة ١٧٧٠م أصدر " **هولباخ** " أقوى كتبه ضد المسيحية وهو " فضح أسرار المسيحية ومنهج الطبيعة " حيث طُبع في مجلدين باسم مستعار و هو مسيو ميرابو Mirabaud وطُبع في أمستردام بهولندا ، وكان ميرابو يشغل منصف سكرتير الأكاديمية الفرنسية من قبل ومات منذ عشر سنوات ، ووصل الكتاب مُهرَّباً من هولندا إلى فرنسا ، حيث تهافت الناس على شرائه. مما دعى الملك لويس الخامس للتدخل ، فأمر النائب العام باتخاذ الإجراءات اللازمة حيال هذه الكتب ، فشجب النائب العام سبع كتب منها كتاب " منهج الطبيعة " لأنها تدعو الشعب للتمرد على الديانة والحكومة ، وتم إعتقال مؤلفي هذه الكتب ، ورغم أن كثيرين كانوا يعلمون أن هولباخ هو مؤلف كتاب " نهج الطبيعة " إلاَّ أنهم لم يرشدوا عنه ، فلم يُعتقل ، وقالوا عن كتاب " منهج الطبيعة " أنه أشمل وأكمل وأصرح عرض للمادية والإلحاد في تاريخ الفلسفة بأسره. أما

" **فريدريك الأكبر** " الذي كان يخطب ود الفلاسفة ، فقد أنقلب عليهم بسبب كتاب " منهج الطبيعة " الذي يهاجم فيه " **هولبـــاخ** " رجـــال الدين والملوك ، ويحقر من الملوك ، وينال من الإله.

س١٩ : كيف كانت نظرة هولباخ للدين ، والمادة ؟

ج : نظر " هولباخ " للديـــن على أنه وليد خيال الإنسان وجهله ، فالجهل يجعل الإنسان يفسر الأمور المجهولة عن طريـــق الـــدين ، والجهل يقود الإنسان للإيمان بالآلهة ، فسبب إيمان الإنسان بالله هو عدم فهمه للطبيعة والمادة التي هي في حركة دائمـــة ، أمـــا العلـــم والإستنارة فأنهما يقضيان على الدين ، وقال " **هولباخ** " أن الإنسان إعتقد بإله غاضب دائماً ، ولذلك فهو يسعى لتهدئة غضبه بالتدين ، وقال " **هولباخ** " أن المستفيد الأول هم الحكـــام ورجـــال الـــدين ، فالحكام يقنعون الناس بأن سلطتهم من الله ، ورجال الـــدين كوّنـــوا ثراواتهم من التجارة بالدين ولذلك فإن العالم سيكون أفـــضل كثيـــراً بدون رجال الدين والملوك وقال " **هولباخ** " : "*أن الدين أصبح في يومنا الراهن فناً جعل الناس سكارى بالحمـــاس ، بهـــدف صـــرف إنتباههم عن الشرور التي يلحقها بها حكامهم علـــى هـــذه الأرض وجعلهم يقبلون التعاسة في هذا العالم على رجاء الحياة السعيدة فـــي*

العالم الآخر " [١]، كما قال " **هولباخ** " : "*أن الإنسان الذي يسمح لنفسه أن يؤمن بالدين ، سوف يكون على أهبة الإستعداد للإيمان بأي شئ يقول به الدين* " [٢].

وإستنكر " **هولباخ** " لفظة الجلالة " الله " حتى لو أُطلقت خطأ على الطبيعة ، فلم يوافق على " **وحدة الوجود** " أي أن الله كل شئ ، وكل شئ هو الله ، وقال أن لفظتي " الله " و " يخلق " ينبغي أن تختفيان تماماً من لغة الذين يريدون أن يتحدثوا بلغة مفهومة ، فهاتان اللفظتان أبتدعهما الجهل ، و "*أن صديق الجنس البشري لا يمكن أن يكون صديقاً للإله الذي كان في كل الأوقات سوطاً مُسلطاً على الأرض* " ومن أجل تصلف " **هولباخ** " هذا أطلق عليه المعاصرون له " *العدو الشخصي لله سبحانه وتعالى* " .

ويرى " **هولباخ** " أن الدين يقود الإنسان للخزعبلات ، فيقول "*أنه عندما حلت المجاعة بباريس عام (١٧٢٥م) وبدأت مقدمات الثورة تظهر في الأفق ، قام الناس بإحضار التابوت الصغير الذي يضم رفات القديسة جنفياف راعية باريس ، التي يعبدها الباريسيون ، وأخذوا يطوفون في شوارع باريس حتى*

---

(١) أورده د. رمسيس عوض – الإلحاد في الغرب ص ١٣٦

(٢) المرجع السابق ص ١٣٧

يقضوا على الكارثة التي نزلت بهم " [1].

وقال " **هولباخ** " أن بناء الفضيلة والأخلاق على المعتقدات الدينية عمل فيه مجازفة ومخاطرة ، لأن الفضيلة والأخلاق تصير وهمية مثل الدين الذي قامت عليه ، ولذلك فالذي يكتشف زيف الدين فإنه سيكتشف زيف الأخلاق التي بنيت على الدين ، وحتى لو ساعد الدين على إقتناء الأخلاق ، فهذا لا يتوازن مع الضرر الذي يُلحقه الدين بالإنسان ، ورد " **هولباخ** " على الذين ربطوا بين الإلحاد والإنحلال الخُلقي ، وقال أن الإلحاد لن يغير طبيعة الإنسان من طيب إلى شرير أو من شرير إلى طيب ، فالإنسان وما جُبل عليه ، وهاجم فكرة توارث الخطية وقال أنها فكرة سخيفة ، فالإنسان شرير ليس لأنه وُلِد هكذا ، بل لأنهم صيَّروه شريراً ، والإلحاد لا يصلح أن يكون عقيدة ، وبالتالي فلن تنجم من ورائه أية أخطار سياسية ، أما الإنسان الذي يكبح جماحه بسبب عقيدة الجحيم فهو إنسان جبان ، وأكثر من هذا أن " **هولباخ** " ربط بين الإلحاد والفضائل الإجتماعية ، وقال أن الإلحاد يشجع على أقتناء هذه الفضائل ، وأن العقل والذكاء هما أسمى فضيلة تصل بالإنسان

---

[1] أورده د. رمسيس عوض – الإلحاد في الغرب ص ١٣٧

للسعادة .

أما **نظرة " هولباخ " للمادة** ، فإنه كان يرى أن الطبيعة هي كل شئ ، وهي الخالقة لكل شئ فالنظام والتناسق الرائعان في الكون لا يرجعان لوجود الله ، بل للطبيعة التي تعمل بطريقة ميكانيكية ، وهي التي تدفع بالإنسان للإقلاع عن الشرور ، وهي التي تهب السعادة للإنسان ، وأن الطبيعة لا تعمل بمحض الصدفة ، ولا تعرف الفوضى إنما تعمل طبقاً لقوانين ثابتة وقوامس لا تتغير ، والمادة ليست شيئاً خاملاً ، إنما هي في حركة دائبة ، وقال " **هولباخ** " : *"أن الطبيعة تدفع الناس إلى التغلب على الشرور والإنتصار عليها عن طريق إدراك القوانين التي تسير الطبيعة بمقتضاها ، في حين أن الدين يحول بينهم وبين السعي لتحقيق هذا الهدف لأنه يجعلهم يتطلعون إلى السماء ويشخصون بعيونهم إليها ويركزون أبصارهم عليها* " [1].

وفي سنة ١٧٠٤م عندما أصدر " **صامويل كلارك** " كتابه " مبحث عن وجود الله وصفاته " ونسب لله الصفات الإلهية مثل الخلود وعدم المحدودية واللانهائية ، قال " **هولباخ** " أن جميع

---

[1] أورده د. رمسيس عوض – الإلحاد في الغرب ص ١٣٧

الصفات التي نسبها كلارك لله مثل الخلود واللانهائية غير قابلة للفهم ، بل هي تنطبق على المادة والطبيعة بصورة أوضح . لقد كاد " **هولباخ** " يصوّر الطبيعة كأنها الله ، مع أنه رفض فكر الذين يعتقدون أن الطبيعة هي الله ، أي الذين يؤمنون بوحدة الوجود ، وفي فقرة ختامية بكتابه " **منهج الطبيعة** " أخذ يناجي الطبيعة قائلاً "*أيتها الطبيعة ، ياسيدة كل الكائنات !! أن بناتك الفاتنات الجديرات بالتوقير والعبادة – الفضيلة والعقل والحقيقة – يبقين إلى الأبد معبوداتنا الوحيدات : أن إليكِ تتجه كل تسابيح الجنس البشري وينصب عليك ثناؤه ، وإليكِ يقدم كل ولائه وإجلاله* " (موقع بالنت) ورأى " **هولباخ** " في العوامل الطبيعية من رياح وعواصف وزوابع وبراكين ، وأيضاً في الحروب والطاعون والمرض ، كلها أمور ضرورية لمسيرة الطبيعة الأدبية ، مثلها مثل حرارة الشمس .

ورأى " **هولباخ** " أن " **الروح** " ما هي إلاَّ مجرد تنظيم الجسم ونشاطه ، ولا يمكن أن يكون لها كيان مستقل عن الجسد ، وأن القول بأن الروح بعد الموت وفناء الجسم تحس وتفكر وتنعم وتعاني ، مثل الزعم أن الساعة التي تتهشم إلى ألف قطعة تستمر دقاتها ساعة بعد ساعة تعلن مرور الوقت ، فقد أنكر " **هولباخ** "

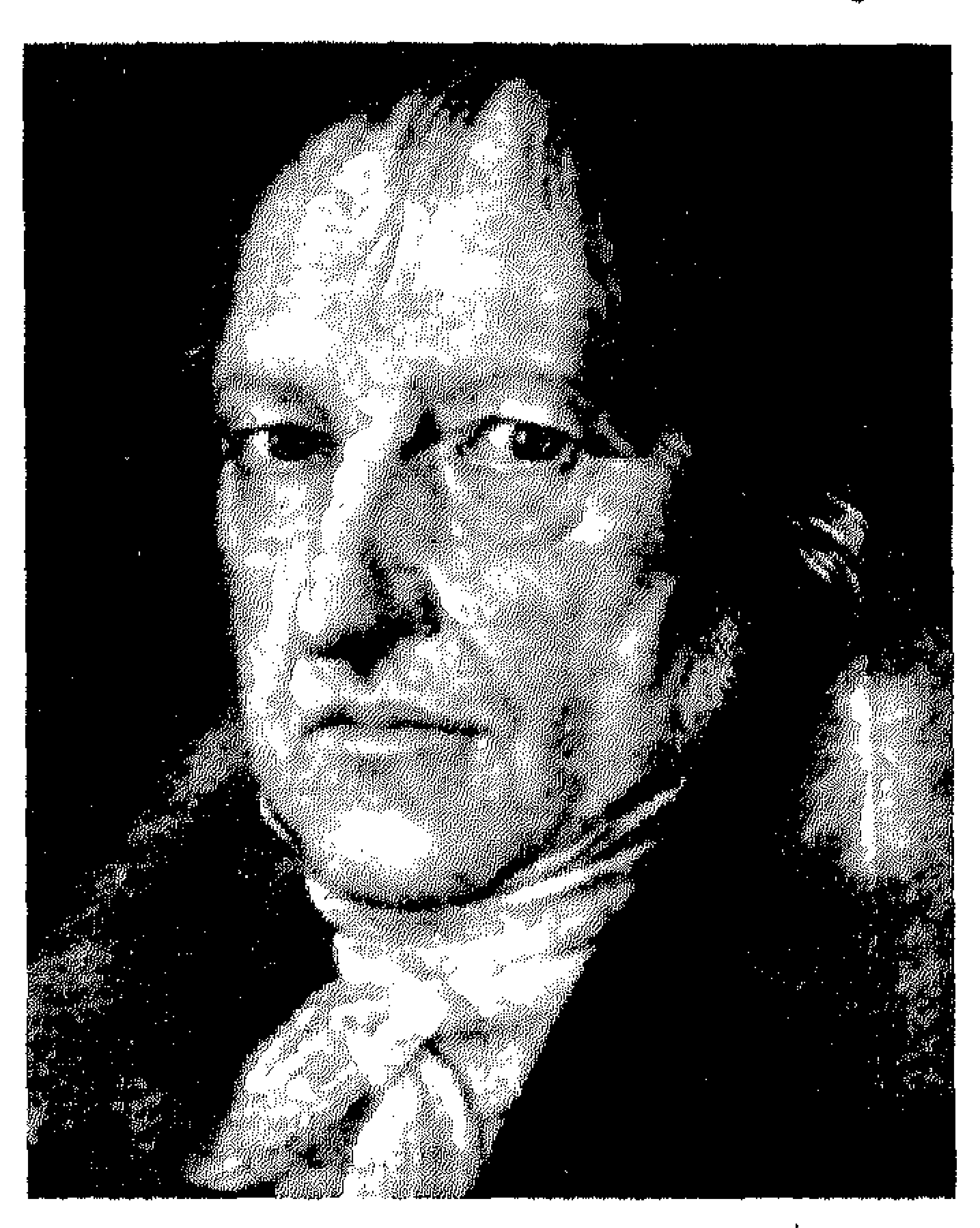
طبيعة الروح والخلود والحياة الأبدية.

ويقول " **رأفت شوقي** " : "*يقول هولباخ أن الإيمان بوجود حياة أخرى لا يعدو أن يكون سراباً خادعاً من شأنه أن يصرف أنظار الناس عما هو أهم منها ، وهو المجتمع في الوقت الحالي .. ويعزي هولباخ نشأة الدين إلى الخوف الذي يشعر به الإنسان البدائي نحو المجهول .. فالدين في الأصل يرجع إلى الإيمان بوجود إله غاضب وأنه بالإمكان تهدئة غضبه ، والكهنة يقيمون حقوقهم ومعابدهم ومحرابهم وثروتهم ومعتقداتهم الجامدة على أساس هذه الفكرة الصبيانية المضحكة .. إن الدين أصبح في يومنا الراهن فناً جعل الناس سكارى بالحماس بهدف صرف إنتباههم عن الشرور التي يلحقها بهم حكامهم على هذه الأرض ، وجعلهم يقبلون التعاسة في هذا العالم على رجاء الحياة السعيدة في العالم الآخر ، ويرى هذا الفيلسوف المُلحد أن هذه النظرة تسئ إساءة بالغة إلى مبادئ الأخلاق لأن الإنسان الذي يكشف زيف الإحساس الديني الذي تبنى عليه الأخلاق يفترض أن مثل هذه الأخلاق لابد أن تكون زائفة زيف الدين نفسه .. إن صديق الإنسان الحقيقي هو من يحطم*

فكرة وجود الله .. إن الطبيعة هي كل شئ والخالقة لكل شئ" [١].

وقد أخذت الماركسية من الفكر المادي للفلاسفة الفرنسيين مثل فكر هولباخ في القرن الثامن عشر ، وبنت عليها فلسفتها الإلحادية. **أما الرد على هولباخ فنرجئه إلى الكتاب القادم عندما نتحدث عن ثمار الإلحاد والرد عليها.**

٥- جورج هيجل Hegel (١٧٧٠ - ١٨٣١م)



[١] الإلحاد .. نشأته وتطوره جـ ١ ص ٧٨ ـ ٨١

س٢٠ : كيف نظر هيجل للأديان ؟ وكيف نظر لنجوم السماء ؟

ج : درس " **هيجل** " في كلية اللاهوت البروتستانتية ،.وكان مهيئاً أن يصبح قساً إنجيلياً ، ولكنه غير طريقه من اللاهوت إلى الفلسفة ، وقالوا عنه أنه أعظم فلاسفة ألمانيا ، وقد سكن في شبابه في غرفة واحدة مع صديقه " **هولدرين** " أعظم شعراء ألمانيا ، وتعرَّض هولدرين للجنون ، أما " **هيجل** " فقد ترك الإيمان المسيحي وأقتنع بالفلسفة العقلانية التي تؤلّه وتسيّد وتعبد العقل ، كما تأثر جورج هيجل بالداروينية ، وقال أن داروين بنظريته عن التطوُّر قد سحق الإعتقاد برواية الخلق الإلهية (التي سجلها سفر التكوين) بضربة واحدة ، وراح " **هيجل** " يطبق " **نظرية التطوُّر** " على الأديان ، وقال أن الأديان تُعبر عن مراحل مختلفة من مراحل تطوُّر الفكر البشري ، فالدين تطوَّر من العصر التوتمي إلى السحر إلى العبادات الوثنية إلى اليهودية إلى المسيحية ، وكل دين يُعبر عن أعلى مستوى وصل إليه العقل البشري حينذاك ، ولذلك فإن كل الأديان تعتمد على الأساطير التي تختلف من عصر إلى عصر ، وأنكر هيجل وجود الله الخالق ، وكذلك الوحي الإلهي ، وإدعى أنه قادر على صنع إنسان ، فقال "***أعطني هواء ومواد كيميائية ووقتاً***

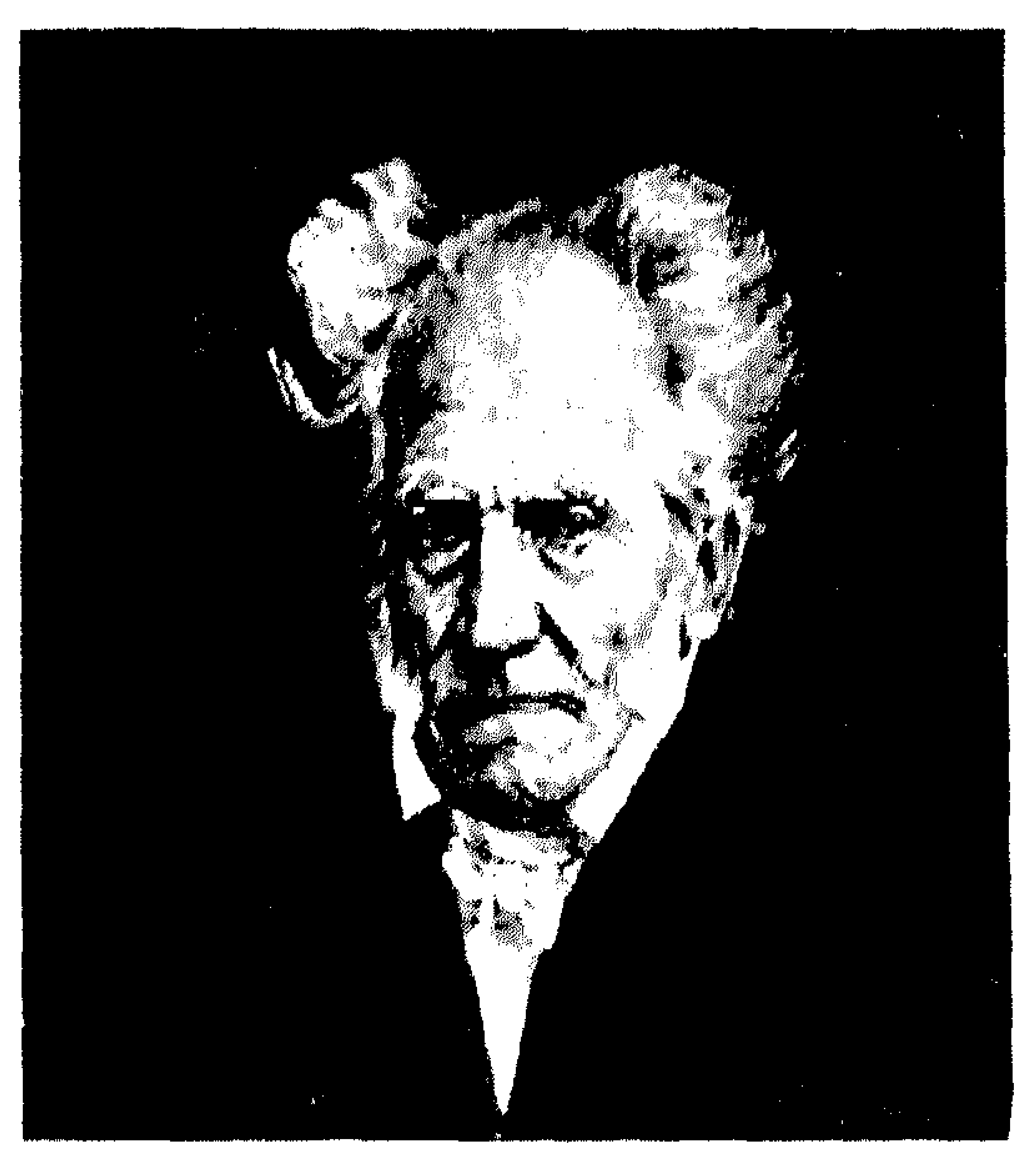
وأنا أعطيك إنساناً " .

وكان " **هنرش هاين** " معجباً بأعمال الله في الخليقة ، فكتب يقول "*أن أعماق الخليقة الحيَّة المسطَّرة في أسرار صفحة السماء الزرقاء .. أسرار الشروق وجمال الغروب . أسرار الولادة وأسرار الموت ، بل دراما النفس البشرية بكافة صوَّرها هي مسطَّرة في كتاب واحد . ذلك هو كتاب الكتب (يقصد الكتاب المقدَّس)* " ويحكي " **هنرش هاين** " عن حديثه ذات مرة مع أستاذ هيجل فيقول "*في ليلة جميلة صافية كنت أقف مع أستاذي هيجل نتطلع إلى السماء من خلال النافذة ، وأبديتُ تحمساً عظيماً وأنا أتحدث عن النجوم ، وألقبها بمساكن المطوبين ، أما أستاذي (هيجل) فأنه أبدى الضيق من حديثي وهو يقول : هذه النجوم ؟ أنها البرص الذي يلطخ صفحة السماء ؟* "[1].

---

[1] ريتشار وومبلاند – ترجمة د . عزت زكي – جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي ص ٤٥

٦- آرثر شوبنهَور (١٧٨٨ - ١٨٦٠م)



نظرا للتأثير الكبير الذي تركه " **شوبنهور** " على " **نيتشه** " الذي تتلمذ على كتبه وأفكاره ، وهو ما أنتقل بالتبعية إلى " **هتلر** " والنازية ، وما نجم عنها من مآسي خلال الحرب العالمية الثانية لذلك تجدني مضطراً لفرد مساحة أكبر لشوبنهور ، ذلك الفيلسوف المُلحد ، لنتحدث قليلا عن حياته ، وإلحاده وإزدراءه بالدين ، وتشاؤمه ومخاوفه ، وفلسفته ، وتناقضه مع نفسه ، وبعض

أقواله ، وموته. ولك ياصديقي أن تلاحظ أفكار شوبنهور تنتقل إلى تلميذه نيتشه ، وتسري أفكار نيتشه المسممة في عروق هتلر ، وهذا يدعونا للتدقيق في أي فكر يُعرَّض علينا ، ولا نقبل الأفكار بسهولة ، ولا ننقل الأفكار الهدَّامة.

س٢١ : هل تأثر شوبنهور بإنتحار أبيه وجنون جدته ؟ وهل نجح في حياته العملية والأكاديمية ؟

ج : وُلِد الفيلسوف الألماني " آرثر **شوبنهَور** " في مدينة " دانزج " في ٢٢ فبراير سنة ١٧٨٨م ، وكان والده ثرياً وصاحب مصرف كبير ، فعاش آرثر حياة الرفاهية التي ربما لم تتاح لعباقرة التاريخ ، وكان والده يحب الترحال ، وكان معجباً بالفيلسوف الفرنسي " **فولتير** " ، ولم يكن مقتنعاً بالتعليم المدرسي لذلك كان يصبو إلى أن يكون إبنه من رجال الأعمال ، وعندما كان آرثر في سن الخامسة أصطحبه والده في رحلة إلى إنجلترا ، وفيها ألتحق هذا الطفل بمدرسة داخلية لمدة ثلاثة أشهر ، وكان ناظر المدرسة قساً ، يبالغ في ممارسة الطقوس مما جعل " آرثر " أن ينفر من الممارسات الدينية.

وفي سن السابعة عشرة مات والد آرثر منتحراً ، كما أصيبت جدته لأبيه بلوثة عقلية ، ربما بسبب حزنها المُفرط على إبنها المُنتحر ، وأنقلبت حياة آرثر إلى حياة شقاء بعد أن فقد أبيه ، وأيضاً بسبب خلافاته المستمرة مع أمه الروائية التي كانت تعشق الأدب ، وقد أفتتحت صالوناً أدبياً يؤمه كبار رجال الأدب ، مثل أستاذه " **جوته** " ، وعاشت الأم حياة التحرُّر من كل قيود الفضيلة ، فكان الإبن دائم الخلاف معها ، وفي إحدى المرات تشاجر معها فدفعته على درج السلم فسقط بعض الدرجات ، فقاطعها ولم يرها ثانية حتى موتها ، وربما ما عاناه من هذه الأم التي لم تحتويه بعد موت أبيه ، جعله يعزف عن الزواج نهائياً.

وحاول " **آرثر شوبنهَور** " العمل بالتجارة كما كان يرغب أباه فالتحق بمكتب تجاري لمدة عامين ، إلاَّ أن هذا العمل لم يستهويه ، فتركه وأتجه لدراسة اللغتين اليونانية واللاتينية ، والتحق بمدرسة " جوثا " ولكن بسبب تعاركه مع أحد المدرسين تعرَّض للطرد من المدرسة ، فالتحق بجامعة جوتنجن لدراسة الطب ، وأمضى بها عامين (١٨٠٩ – ١٨١١) فلم توافق ميوله أيضاً فتركها ، واتجه إلى جامعة برلين لدراسة الفلسفة ، فدرس أفلاطون ، وعمانويل كانط وتأثر بهما ، ورأى أن **الإنسان يجب** أن

يتحرَّر من قيود الدين وهو يدرس الفلسفة ، وفـي سـنة ١٨١٣م حصل علـى درجة الدكتوراه تحت عنوان " الأصول الأربعة لمبدأ السبب الكافي " وقصد بالسبب الكافي علاقتنا مع العالم الخـارجي ، وقصد بالأصول الأربعة العلاقة بين المبدأ والنتيجة ، وبـين العلـة والمعلول ، وبين الزمان والمكان ، وبين الداع والفعل ، والـصور الثلاث الأولى تخص التطوُّر النظري ، أما الرابعة فتخص العمـل والفعل ، وطبع الرسالة على نفقته ، وقدم لها الفيلسوف الألمـاني " **جوته** " ومع ذلك فإن الكتاب لـم يلاقـي نجاحـاً ، وكـان كثيـراً ما يحتقر " **شوبنهَور** " أساتذته في الفلسفة ، وهم بدورهم وصفوه بالكبرياء والغرور .

ولم يشغل " **شوبنهَور** " نفسه بالعمل نظراً لعـدم حاجتـه للمال ، فكان يعيش بلا قيود ، وفي سنة ١٨١٤م قدم أهـم أعمالـه الفلسفية كتاب بعنوان " **العالم كإرادة وفكرة** " وكان منبهـراً بهـذا العمل ، حيث أظهر إهتمامه بفلسفة " **توماس هوبز** " وبنـاء علـى هذا العمل حصل على وظيفة مُحاضر في جامعة بـرلين ، ولكـن لسـوء حظـه أنـه كان يُحاضر في ذلك الوقت فيلسوف ألمانيـا " **جورج هيجـل** " ، فانصـرف الطلبـة عن محاضرات " **شوبنهَور** " وفشل في حياته الأكاديمية ، ولم يتم رواج كتابه كما كان يتوقع ،

بل أن الناشر إضطر إلى بيعه بعد عشرة سنوات كأوراق مستعملة ، وعزى " **شوبنهور** " هذا الفشل إلى أن هناك مؤامرة تُحاك حوله من جميع المفكرين والفلاسفة الذين نعتهم بالحمير قائلاً "*أن كتابي هذا مثل المرآة ، فإذا نظر فيها حمار فلا تنتظر أن يرى وجه ملاك* " وكان " **شوبنهور** " يشعر بالغرور دائماً ، فيقول "*أن فلسفتي هي في حدود المعرفة بصفة عامة ، الحل الحقيقي للغز العالم ، وبهذا المعنى يمكن أن نسميها " رؤيا " وهي مُستوحاة من روح الحقيقة . بل هناك في الكتاب الرابع (العالم كإرادة وفكرة) بعض الفقرات التي يمكن أن نقول أنها مستوحاة من الروح القدس* " (صحيفة العرب اللندية في ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٩م).

وفي سنة ١٨٣١م عندما إنتشر مرض الكوليرا في برلين أسرع " **شوبنهور** " بالفرار منها متجهاً إلى فرانكفورت ، فعاش فيها ٢٧ عاماً حتى موته ، ورغم أن كتبه لم تجد صدى لدى القراء إلاَّ أنه أصدر بحثه المنشور سنة ١٨٥١م بعنوان " باربيرجيا " يشرح فيه رأيه في الدين والأدب وعلم النفس ، ويُهاجم الفلسفات التي تُدرَّس في الجامعات الألمانية ، ولم يحفل " **شوبنهور** " بالسياسة ، بل فضل حياة الإستقرار وكان نصيراً للنظام ، وأبغض الثورة التي نشبت في ألمانيا سنة ١٨٤٨م لأنها

تخل بالنظام القائم ، وتعاطف مع الجنود النمساويين وساعدهم على إخماد الثورة ، وتبـــرع بجزء كبير من ماله للجنود الجرحى ، ولم يكن لدى " **شوبنهور** " الحس الوطني ، لأنه كان يرى في إنجلتـــرا وفرنسا وإيطاليا أوطاناً بجوار وطنه.

س٢٢ : كيف نظر شوبنهور للطبيعة الجامدة ؟ وكيف تنكــر للدين ، وأحتقر رجال الدين ، وأُعجب بالبوذية ؟

ج : أقرَّ " **شوبنهور** " بالإبداع والإتقان والإرادة في خلق الكون ، ولكنه لم يُرجع هذا لله ، إنما أرجعه إلـــى الطبيعة الجامدة ، وقـــال أن فكرة الدين هي من صُنع البشر الذين أبتكروها لتفسير الأمـــور المجهولة لديهم من ظواهر طبيعية أو نفسية أو إجتماعيـــة ، وكـــان الغرض من الدين تنظيم حياة مجموعة من الناس بحسب مـــا يـــراه مؤسس الدين ، وليس حسب الإحتياجات الحقيقية للناس ، الذين عن جهل قرَّروا الإلتزام بمجموعة القيم الباليـــة ، وأن الـــديانات مـــن المستحيل أن تكون صادرة من مصدر واحد ، فالإله الذي قتل كـــل أبكـــار المصريين ، ليس هو الإله الذي ينصحك بالتسامح وتحويل الخد للآخر [وكأنه يريد إلهاً إما أن يكون عادلاً فقط وإما أن يكون رحيماً فقط].

وكان " **شوبنهور** " بحكم تربيته يحتقر رجال الدين والدين والكنيسة ، وكان يعتبر أن الدين هو ميتافيزيقيا الشعوب ، ورغم أنه كان يزدري بالمسيحية إلاَّ أنه لم يخفي إعجابة بها لأنها تكبح جماح الشهوات عن طريق الصوم ، ولم يُخفي إعجابه بالقديسين لأنهم ينكرون إرادتهم الفردية ، ولكنه فضل البوزية جداً عن المسيحية ، لأنها تفوق المسيحية في إنكار الإرادة والأنا ، ولأنها المنفذ الذي يُخرِج الإنسان من شقائه. وأعتقد " **شوبنهور** " إن أسمى درجات الكينونة تتمثل في حالة " النيرفانا " أي تلاشي " الأنا " في الواحد السرمدي كما تقول الديانة الهندوسية ، وأعتقد أيضاً " **شوبنهور** " بتناسخ الأرواح ، وقال حتى لو كان ليست حقيقية ، لكنها تنقل لنا الحقيقية في شكل أسطورة . ويقول عنه " **دكتور رمسيس عوض** " : " *ورغم إيمانه بأن فكرة تناسخ الأرواح ليست حقيقة بمعناها الحرفي فإنها تنقل لنا الحقيقة في شكل أسطورة . ولم يجد شوبنهور مخرجاً من شقاء الإرادة الإنسانية غير الإيمان بالبوذية وضرورة تحطيم هذه الإرادة وإفنائها .. والرجل الفاضل في نظره يصل إلى حالة الزهد عن طريق التمسك بأهداب الطُهر والعفاف ومداومة الصيام وتعذيب الذات وإنتهاج طريق الفقر طواعية وإختياراً ، وهو يفعل كل هذه الأشياء سعياً وراء تحطيم إرادته*

كفرد ، وليس بهدف تحقيق التوازن والإنسجام بينه وبين الله كما هو الحال مع المتصوفيين الغربيين " [1].

وقال " **شوبنهور** " مُنكراً الوجود الإلهـي " ***أنــا وحــدي الموجود ، ولا شئ يوجـــد عـداي ، لأن العــالم مــن إمتثــالي وتصوُّري*** " [2] .. كما قــال أيضاً مُنكراً فكرة الثواب والعقــاب " *يُقال أن السماء تحاسبنا بعد الموت على ما فعلنا في الحياة الدنيا .. وأنا أظن أنه بإمكاننا أن نحاسبها أولاً عن " المزحة الثقيلة " للوجود الذي فُرض علينا من دون أن نعلـــم لمـــاذا ؟ وإلى أي هدف ؟* " (صحيفة العرب اللذية في ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٩م).

س٢٣ : هل يمكن إلقاء الضوء قليلاً على فلسفة شــوبنهور التشاؤمية ؟

ج : كان " **شونبهور** " ينظر للحياة على أنها شر مُطلق وتعاســة وشقاء ، فليس كل تعاسة إلى سعادة ، بل كل سعادة إلـــى تعاســـة ، وليس كل شقاء إلى راحة ، بل كل راحة إلى شقاء ، ولـــيس كـــل مرض إلى شقاء ، بل كل صحة إلى مـــرض ، فـــرأى أن الـــشقاء

---

[1] ملحدون محدثون ومعاصرون ص ١٦

[2] د. عبد الرحمن بدوي – شوبنهور طبعة ١٩٤٥ ص ٣٥

والعناء والمرض والألم والموت الأصل والأساس ، وماعـدا ذلـك فهو الإستثناء ، ورأى في الحياة أنها صراع مستمر وقتال متواصل لا يهدأ ، وغض النظر عن صور التعاون الفائقة في الطبيعة ، ولذلك فضل الإنتحار عن الحياة.

ومما زاد من تشاؤم " **شوبنهور** " المزاج الغير سوي الذي لازمه ، والحقد والكراهية اللذان ملأ قلبه ، وفقدانه للود ، فلا زوجة ولا أولاد ولا أصدقاء ، ولم يكن له سوى كلب أطلـق عليه إسم " أطمأ " وهو إسم يُطلق على الروح الكلي عند البراهما ، أما سكان الفندق والقريبون منه فقد دعوا هذا الكلب باسم " شوبنهاور الصغير " ، فكان " **شوبنهور** "يشعر بالعداء للحياة والأحياء ، وأيضاً زاد من شؤمه قراءته في كتب الديانة الهندوسية والبوذية ، والتي تعتبر أن المادة شر والطبيعة شر والجسد شر ، ولا يصل الإنسان للخلاص ، إلاَّ بالوصول إلى حالة النيرفانا ، وأيضاً زاد من تشاؤمه فشله في الدراسة الأكاديمية ، وفي الإحتفاظ بمنصبه في التدريس بالجامعة ، وفي عزوف الناس عن كتبه ، وزاد من تشاؤمه إنتحار أبيه وإنشغال أمه عنه وإصابة جدته بلوثة عقلية ، وأستاذه الذي كان يجله الفيلسوف " **جوتـه** " يصرف أوقاته مع أمه ، وأيضاً عاش " **شوبنهور** " في فترة دمرت الحروب كل ما هو جميل في

أوربا ، وشردت آلاف الأسر ، ونشرت الفقر والبؤس والشقاء ، وهذا ما رآه شوبنهور في الحياة أنها تعاسة وشقاء وعناء وألم ومرض وموت.

وهكذا كان " **شوبنهور** " يعيش في قلق زائد وتوجس لا يأمن لأحد ، فيغلق الأبواب بعناية شديدة ، ولا ينام إلاَّ وسلاحه بجواره محشو بالرصاص ، ولم يُسلم رقبته لموسى الحلاق طوال حياته ، لئلا يتآمر مع الآخرين ويذبحه ، فقد كان يسئ الظن بجميع الناس ، ويرى نفسه هدفاً لتآمر الناس واللصوص ، ويقول عنه " **دكتور عبد الرحمن بدوي** " : " *ويقولون لنا أنه كان طوال حياته فريسة لكثير من المخاوف الشاذة التي تصل إلى حد الفزع المرضي ، وفي سنة السادسة في أثناء تريّضه توقف مرة وشعر بالوحدة المخيفة وتخيل أن أبويه يريدان الخلاص منه ، وحينما كان طالباً في جامعة برلين كان يتصوّر أنه مصاب بالتدّرن ، ولا يكاد يسمع دنو الحرب من برلين حتى يولي هارباً مذعوراً ، وظل دائماً يَحذر الناس ، ويعتقد أنهم جميعاً أعداء واقفون لإيذائه بالمرصاد* " [1].

---

(1) شوبنهور – ص ٣١ ، ٣٢

وقامت فلسفة شوبنهور على :

أ – الوجود يقتصر على المادة ، والمادة فقط ، فكل ما هو في العالم المادة لا غير.

ب –الطبيعة هي التي تحافظ على إستمرار الحياة ، والوسيلة لحفظ النوع الإنساني العاقل بالإضافة للغريزة الجنسية ، فقد رأى " **شوبنهور** " أن الجنس هو الركيزة الأولى عند الإنسان والحيوان ، فتدور حوله حياة الفرد والجماعة والحياة كلها ، وأنه مفتاح السلوك الأساسي ، وعلى أساسه يمكن تفسير كل السلوك الإنساني من الألف للياء.

جـ– رأى " **شبنهور** " أن الطبيعة تحافظ على إستمرار الحياة بغض النظر عن الأشخاص الذين تطحنهم الآلام ويعذبهم الشقاء ويغرقون في بحور من المآسي والشرور ، والموت هو العدو الأول للطبيعة ، لأنه يحاول أن يقضي على الحياة والأحياء.

د – الحياة في حقيقتها ما هي إلاّ شرور وأحزان ومشقات ومآسي ، فلا مكان للخير ، ولا معنى للسعادة ، وأقصى ما يوجد من خير في الوجود هو أن تقل الشرور بعض الشئ ، أو تخف الآلام شيئاً ما ، فالتعاسة هي جوهر الحياة وحقيقة الوجود ، والسعادة ليس إلاّ التفسير السلبي ، أي أنها تعني إختفاء الآلام

والشقاء ، والتعاسة بعض الشئ٠

هـ- لأن الحياة كلها شرور وشقاء وعناء لذلك ينبذ " **شوبنهور** " الحياة ويدعو للإنتحار ، مستهيناً بالموت ، فالموت في نظره لا يسبب أي ألم للإنسان ، ولكن ما يؤلم الإنسان هو فكرة الموت أكثر من الموت نفسه ، لأن الإنسان لا يلتقي بالموت ، وبالتالي فأنه لن يتألم منه ، فطالما الإنسان يعيش حيًّا فهو لم يلتقي بالموت بعد ، وبمجرد أن يقبل الموت على الإنسان يذهب الإنسان ويستريح من شقاء الحياة وآلامها٠

س٢٤ : كيف عاش شوبنهور يناقض نفسه ؟ وكيف كان موته ؟

ج : إتسمت حياة شوبنهور بالتناقض مع آراءه وأفكاره ، ومن أمثلة ذلك :

أ – مع أن " **شبونهور** " كان يحبذ الإنتحار ، وبالرغم من أنه عاش وحيداً تنتابه الوساوس والمخاوف ، وكان أحق إنسان بالإنتحار ، لكنه لم ينتحر ، بل أنه كان يتمنى العمر الطويل٠

ب – رغم أن " **شوبنهور** " نادى بالتشاؤم ، لكنه لم يحيا حياة التشاؤم ، ولم يقم بتمثيل البطل ولا أحد الأفراد البارزين في

التشاؤم ، فقالوا عنه أن إبن الجمعة (لأنه وُلد يوم جمعة) لم يعش إبن الجمعة حقاً (أي الجمعة الحزينة) وإنما عاش إبن الأحد (إشارة للحياة الناعمة والراحة).

جـ- كان ينظر للقداسة بإحترام ويبجل القديس لأنه إستطاع أن يكبح لجام شهواته ، ومع ذلك إعترف بأن لم يعش لا قديساً ولا شبه قديس ، ولم يمنع نفسه من الملاذ والشهوات والمغامرات الغرامية ، فتارة تراه مع الممثلة المشهورة " **كارولين ياجمن** " في ألمانيا ، وتارة مع فتاة تُدعى " **تريزا** " في إيطاليا ، حتى أنه فكر في الزواج منها رغم أنه كان ينظر للزواج على أنه نقمة على العبقرية ، وعندما كان شيخاً في السبعين من عمره جاءت فتاة تُدعى " **اليزابث نيه** " لتعمل له تمثالاً نصفياً ، فأبدى إعجابه بها ، وقال : "*لم أكن أتصوّر وجود فتاة خليقة بالحب كهذه الفتاة* " [1]. وتناسى ما قاله من قبل عن المرأة بأنها "*إنسان ناقص أشبه ما يكون بالطفل ، أو هي وسط بين الطفل والرجل* " [2].

د – مع أنه كان يعتقد أن الألم يساعد الإنسان على إنكار ذاته ، إلاَّ أنه أمضى حياة ناعمة متنقلاً بين ربوع إيطاليا وهو يقول

---

(1) د. عبد الرحمن بدوي – شوبنهور ص ٢٠

(2) المرجع السابق ص ٢٠

" *هذا البلد الجميل الذي فيه يشع الغناء* " ورغم أنه كان يعتقد بأهمية الزهد والنسك إلاَّ أنه كان حريصاً على حضور الحفلات الموسيقية والمسرحية ، وأيضاً كان حريصاً على أمواله ، فعندما أستثمر أمواله في " **دانزج** " وكذلك فعلت أخته وأمه لدى تاجر يُدعى " **ابراهام لودفيج مول** " وأفلس هذا التاجر قبلت أخته وأمه باسترداد ثلث الودائع ، أما هو فقد أصر على إسترداد كل ما دفعه ، وضغط على التاجر وهدَّده برفع الأمر للقضاء ، حتى أستوفى كل ما أودعه بالإضافة للفوائد خلال عشرة أشهر ، وقد قال له "*بوسع المرء أن يكون فيلسوفاً ، دون أن يكون بسبب ذلك مغفلاً* " وكتب إلى " **يوهان أدوار ايرومان** " يقول "*لقد كنت رجلاً موفقاً وذا حظ عظيم ، أعلمُ كيف أؤمّن مصدر عيشي على الدوام ، ولا أضطر للعمل من أجل النقود أو البحث عن وظيفة* ".

وقال عنه " **الدكتور رمسيس عوض** " : "*ومن الخطل أن نظن أن شوبنهوَر كان يضع تعاليمه موضع التنفيذ ، فمن المعروف عنه أنه كان يستمتع بالطعام الهنئ والشراب الطيب ويلبي شهوات الجنس من آن لآخر* " [1].

---

[1] ملحدون محدثون ومعاصرون ص ١٦

ومع كل هذا فقد قال البعض أنه لا يجب إدانة شوبنهور على هذه التناقض ، وقال " **فاوست** " : "*أن في صدري تسكن ، وياللأسف ! نفسان ، كل منهما تريد أن تنزع نفسها من الأخرى ، فأحداها تُنشب مخالبها في العالم بشهوة جامحة قاسية ، والأخرى ترتفع من التراب بقوة إلى ساحة الأسلاف العالين* " [1].

ومن بعض أقوال شوبنهور : أ – الضوضاء :

كان " **شوبنهور** " يتضايق جداً من الضوضاء ويعتبرها معيار التخلف ، وعندما ضاق ذرعاً من جارته التي تعمل بحياكة الملابس دفعها على درج السلم ، فأُصيبت بعجز ، ورفعت الأمر للقضاء ، فحكم عليه بدفع جزء من تكاليف الحياة لها ، فظل يدفع لها حتى موتها ، وقال عن الضوضاء أنها الأكثر وقاحة في كل أشكال الإزعاج ، وهي ليست إزعاج ، لكنها أيضاً إرباك الفكر .

ب– الشهوة : قال " **شوبنهور** " في شبابه "*أيتها الشهوة ، أيها الجحيم ! أيها الإحساس ، أيها الحب الذي لا يُشبع ولا يقوى على قهره شئ* " [2] وظل شيطان الشهوة يطارده كالجلاد في شبابه

---

(1) د . عبد الرحمن بدوي – شوبنهور ص ٢٦

(2) المرجع السابق ص ٢٦

ورجولته ، فكان يصبو للشيخوخة قائلاً "*ففيها يبلغ المرء حالة الهدوء الصافي التي يعانيها من فُكت عنه القيود بعد أن ظلَّ مكبَّلاً بها طويلاً ، فصار الآن يتحرك حراً مُطلقاً من كل قيد* " [1].

جـ- السعادة : قال " **شوبنهور** " : "*كل شئ في الحياة الدنيا يدل على أن السعادة على وجه البسيطة محكوم عليها بأن تكون معكَّرة إن لم تُدمَّر تماماً .. كل الحياة خدعة ، وهي لا تهبنا سوى الأوهام جملة وتفصيلاً* " (صحيفة العرب اللندية ٢٠ نوفبمر ٢٠٠٩م).

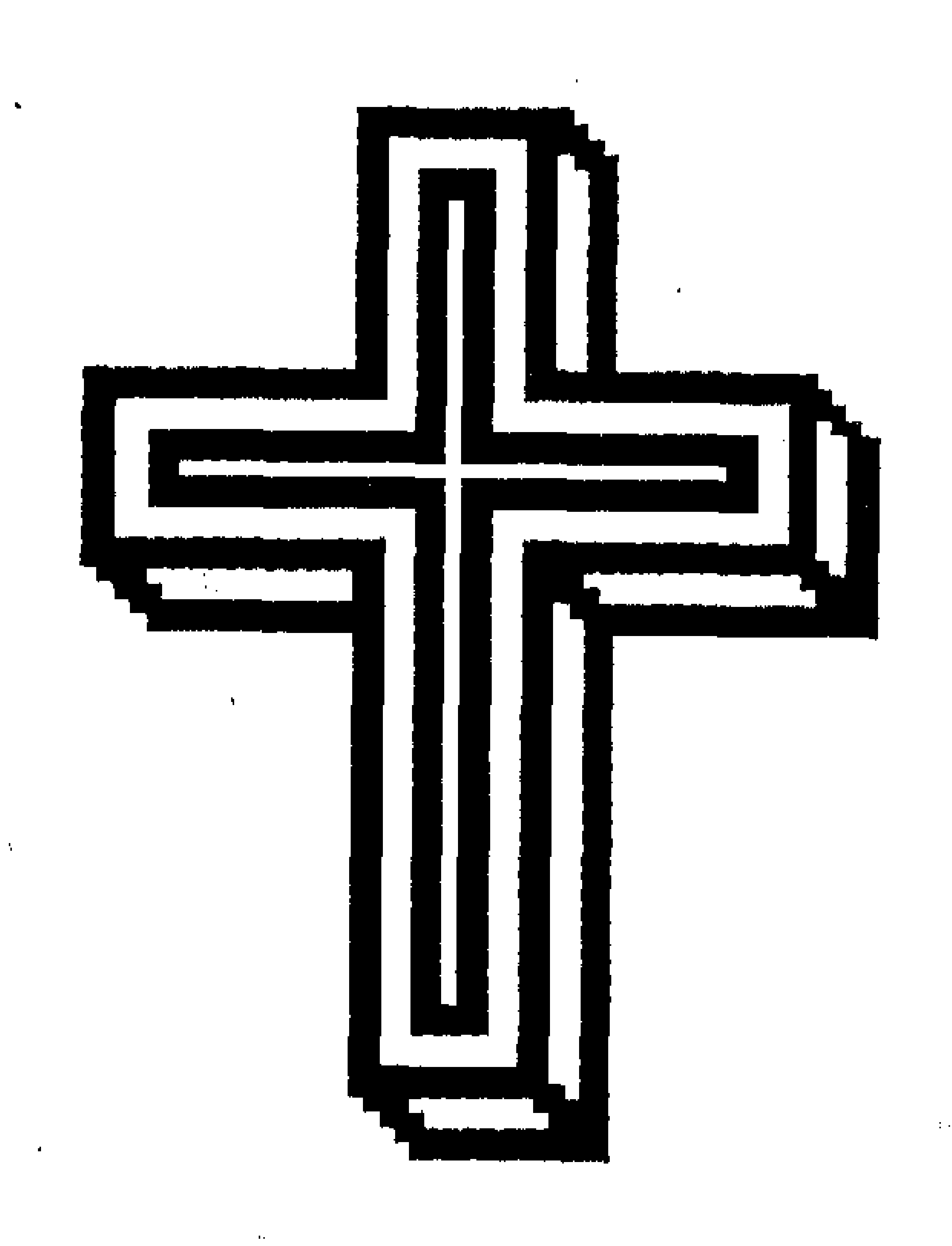
د – الحياة والموت : قال " **شوبنهور** " : " *هذه الحياة محزنة جداً ، ولهذا فقد قرَّرتُ أن أقضيها بالتأمل فيها* " كما قال "*يالها من هوة بين بداية الحياة ونهايتها . تبدأ الحياة في الدفء وفي الإغتباط المبهج. ثم تنتهي بتدمير الأعضاء وسط رائحة تعفن الجثث* " وأيضاً قال "*نحن نعزي أنفسنا بالموت لمواجهة مصائب الحياة ، وبمصائب الحياة لمواجهة الموت. ياله من وضع رائع* " (صحيفة العرب اللندية في ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٩م).

وظل " **شوبنهور** " مغموراً معظم حياته ، ولكن في سنة ١٨٥٤م بدأت فلسفته التشاؤمية تلقى إهتماماً ، وصار معروفاً في

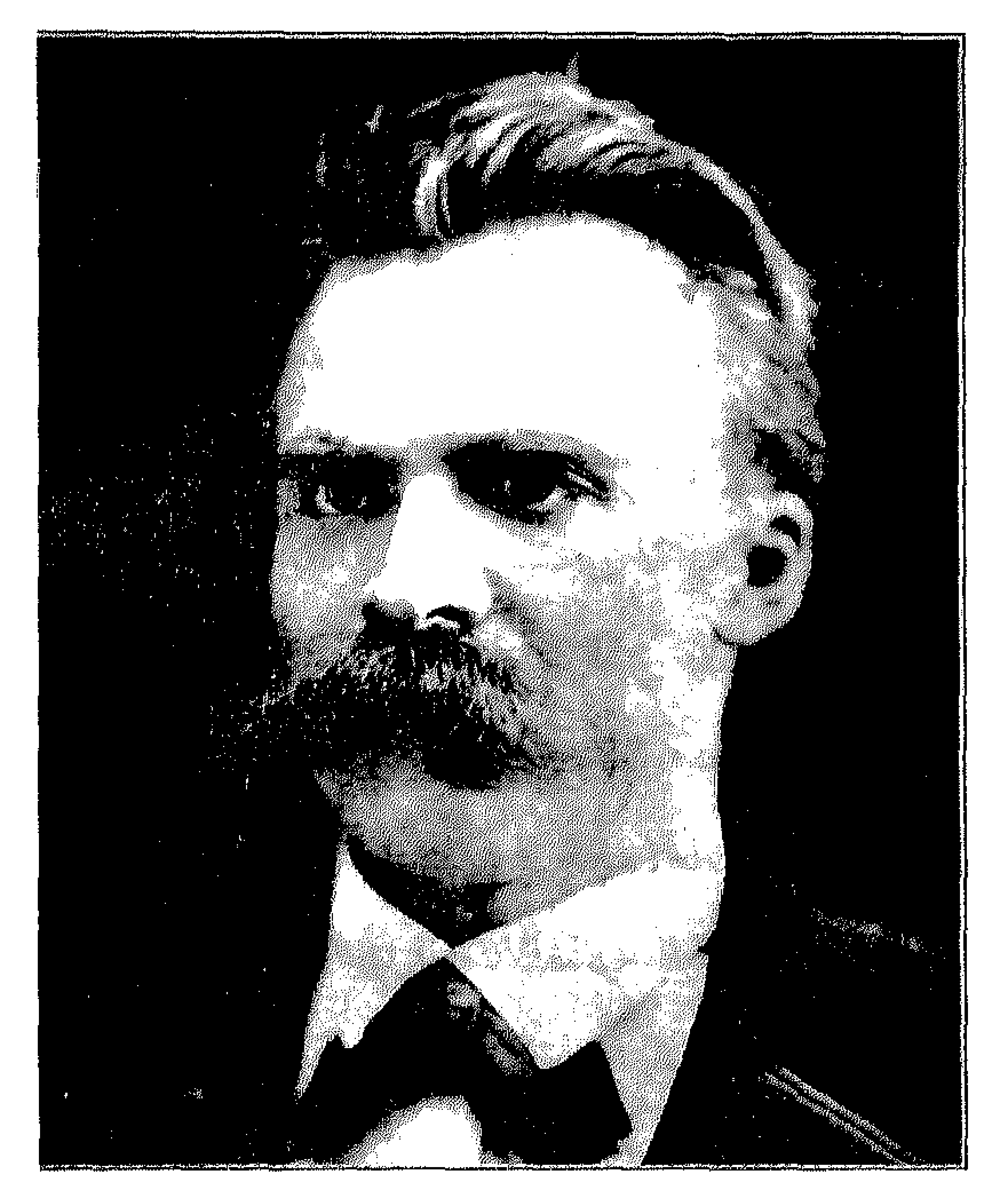
---

[1] د. عبد الرحمن بدوي – شوبنهور ص ٢٦

إنجلترا وروسيا والولايات المتحدة ، وأصبح له بعض الأتباع الذين يقدّسون أفكاره ، فشعر ببعض الرضى ، وفي ٢١ سبتمبر سنة ١٨٦٠م بينما كان جالساً في الفندق يتناول إفطاره ، وبعد ساعة من جلوسه لاحظت صاحبة الفندق أنه أطال الجلسة ، فاقتربت منه ، وإذ بالحياة قد فارقته ، ومن أكثر من تأثر بفلسفة شوبنهور الفيلسوف الألماني " **نيتشه** " ، والذي كان له تأثير كبير جداً بدوره على الآخرين ولاسيما " **هتلر** " ، وهكذا تتوالى فلسفة الإلحاد ورفض وجود الله ، وهكذا تسير الحياة بدون الله من سئ إلى أسوأ .



٧- فريدريك نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠م)



رغم أن عمر نيتشه العاقل لم يتعدى الأربعة وأربعين عاماً فأنه ترك أثراً بالغاً في الفكر الإلحادي ، وأعتنق الكثيرون أفكاره الصادمة ، فهو الذي بدأ طفلاً متديناً كابن لقس إنجيلي ، حتى دعوه بـ " **القسيس الصغير** " ، وعندما شبَّ أنقلب رأساً على عقب ، فمجَّد القوة والحرب ، وأشاد بالإنسان السوبرمان ، وفلسفته التي

مجّدت القوة والقسوة هي التي أفرزت لنا الفاشية والنازية ، كما أنه كان له باع كبير في زرع بذور الإلحاد ، وفي التهكم على العزة الإلهيّة فهو صاحب مقولة "*لقد مات الله*" ، وفي الهجوم على المسيحية ، حتى أنه قال عنها أنها اللعنة الكبرى والوصمة الخالدة في جبين البشرية ، ووصف أخلاقها بأنها أخلاق العبيد الجبناء ، وهاجم المرأة والإنسان والأصدقاء ، وتخاصم مع الكل حتى مع نفسه ، ورأى في ذاته أنه الإنسان الذي لا يعلو عليه آخر ، وأستعذب الألم ، وهاجم الموت العادي الذي يأتي في وقت غير مناسب ، وشجع على الإنتحار .. إلخ وقال عنه " **هنري موريس** " : "*أما فلسفة نيتشه فقد أثرت بعمق في إتجاهات السياسة الألمانية حتى أصحبت أساس القوة الحربية الألمانية المكثفة التي حشدتها في فترة الثلاثينيات من هذا القرن وكانت سبباً من أسباب الحرب العالمية الثانية ، وكان موسيلليني واحداً من أكبر المتابعين المتحمسين لنيتشه ، وكانت الفاشية هي النتيجة النهائية ، كذلك وُلدت النازية في نفس البالوعة* "[1] .. **لذلك لا مناص من فرد مساحة أكبر لهذا الفيلسوف الألماني معجزة الشر (الذي دعى نفسه تارة بديونسيوس المصلوب ، وتارة بضد المسيح ، وتارة**

[1] ترجمة نظير عريان ميلاد – الكتاب المقدَّس ونظريات العلم الحديث ص ٥٩

بالله) لكي يتعلَّم ويتعظ من تراوده أفكار الإلحاد وتغريه وتجذبه وتعمي عينيه نحو المصير المأسوي ..

س٢٥ : هل يمكن إلقاء الضوء على القسيس الصغير إبن القس الإنجيلي في طفولته وشبابه ؟

ج : وُلد " **نيتشه** " في ١٥ أكتوبر ١٨٤٤م في "**ريكن**" بالقرب من مدينة لوتسن بمقاطعة "**سكسونيا** " الألمانية ، وكان يوافق عيد ميلاد وليم الرابع ملك بروسيا ، فكان يفرح بعيد ميلاده عندما يرى الفرحة تعم البلاد بعيد ميلاد الملك ، وكان والده " **كارل لدفج نيتشه** " من أصول بولندية وأمه " **فِرَنْسِسكا إيلَر** " ألمانية خالصة ، وكانت له أخت تُدعى اليصابات كانت قريبة منه جداً ، وهي التي نقلت لنا أخبار نيتشه في فترة شبابه. وكان والد نيتشه قساً بروتستانتياً محبوباً من رعيته ، بل كان كثير من أجداده من جهة الأب أو الأم قساوسة ورجال دين ، وقد تأثر نيتشه في طفولته بهذه الروح، حتى دعاه أترابه في المدرسة وهو مازال صغيراً بـ " **القسيس الصغير** " ، وكان قادراً على أن ينشد بعض آيات الإنجيل والتراتيل الدينية المؤثرة ، التي تكاد أن تثير البكاء ، وقال عن نفسه "***في سن الثانية عشرة رأيت الله في تمام جلاله***" وفي المرحلة

الثانوية (١٨٥٨ - ١٨٦٤ م) ألَّف قصيدة رائعة وجهها **إلى الله المجهول** حيث قال :

" *مرة أخرى ، وقبل أن أستمر في طريقي ..*

وأطلق نظراتي إلى الأمام ..

أرفع يدي العاريتين ..

إليك ، فأنت ملجأي وملاذي ..

وأنت الذي كرَّست له أعمق أعماق قلبي ..

مذابح يُقدَّس عليها إسمك ..

لكي يدعوني صوتك ..

دائماً إليك ..

وعلى هذه المذابح تتلألأ ..

هذه الكلمة : إلى الله ***المجهول*** *..*

إني أريد أن أعرفك ***أيها المجهول*** *..*

أنت يامن نفذت إلى صميم روحي ..

ويامن تمر على حياتي مرور العاصفة ..

أنت يامن لا يدركك شئ ، ومع هذا فأنت قريب مني وذو نسب إليَّ

أريد أن أعرفك وبنفسي أن أعبدك " [1]

---

[1] عبد الرحمن بدوي – نيتشه طبعة ١٩٣٩م مكتبة النهضة المصرية ص ٣١ ، ٣٢

بعد موت والده ، ذهبت الأسرة إلى مدينة " ناومبرج " حيث أتم دراسته الإبتدائية ، ثم أمضى نيتشه دراسته الثانوية في مدرسة " أليفورتا " الملحقة بأحد الأديرة ، وفي الفترة ١٨٦٤ – ١٨٦٥م ألتحق بجامعة بون ليدرس اللاهوت والفيلولوجيا ، وفي هذه الجامعة حدثت مناظرة شديدة بين أستاذين هما " **رتشل** " ، و " **يان** " وأحتدم النزاع بينهما فترك " رتشل " جامعة بون وأتجه إلى جامعة ليبتسج ، وتبعه تلميذه نيتشه الذي كان معجباً به ، وأمضى نيتشه الفترة من ١٨٦٥ – ١٨٦٧م بجامعة ليبتسج .

وفي شبابه كان نيتشه القصير القامى الأنيق الهندام يرتدي سروالاً فاتح اللون ومن فوقه سترة قصيرة ويحكم رباط العنق ، يتدلى شعر رأسه الطويل ، يعاني من قصر شديد في النظر ، وفي سيره يكاد يمشي مشية المتعب ، أما كلامه فكان رقيقاً بسيطاً خالياً من التصنيع ، ولكنه كان يصدر من أعماق نفسه ، هكذا وصفه شِيفلر (راجع د. عبد الرحمن بدوي – نيتشه ص ٤١) وبالرغم من أنه كان هادي ويتحدث برقة شديدة ، فإن نظراته كانت حادة تعكس الثورة الداخلية التي يعيش فيها ، حتى أن أصحابه لا يتفوّهون بكلمات نابية أمامه ، وعلى حد تعبير أحد أصحابه الذي قال أنه لا يستطيع أن يتفوه بكلمات خارجة في حضور نيتشه ،

وعندما سأله زميله : لماذا ؟ قال أنه يرمقك بنظرة تجعل الكلمات تقف في فمك ٠

ووصفته " **لواندرياس سالوميه** " التي صاحبته مدة من الزمن فقالت "*أول إحساس تشعر به إذا ما رأيتَ نيتشه هو إحساسك بأنك بازاء وجدان عنيف مستور وشعور بالوحشة كتمه في نفسه ٠٠ هذا الرجل المتوسط القامة ، البسيط في ملبسه الذي عنى به ، الهادئ في سيماه ، ذي الشعر الأسمر المُلقى إلى الوراء ، دون أن يلتفت إليه أو يديم النظر فيه ٠٠ وله ابتسامة خفيفة ، وبهجة هادئة في الحديث ، ومشية متئدة حذره ، تقتضي منه أن يحني كتفيه قليلاً ٠٠ وتكاد عيناه تنطقان حقاً ، وعلى الرغم من أنهما شبه عمياوين إلاّ أنه لم يكن يبرقهما ولا يُسفُّ النظر ، كما هي عادة الكثير من قصار النظر ٠ بل كانا يبدوان وكأنهما حارسان لكنوز ٠٠ كان يحدقان في الأعماق كما يحدقان في أفق بعيد ٠٠ أما في حياته العادية فكان مؤدباً كل الأدب رقيقاً رقة تقرب من رقة النساء ، هادئ المزاج ، ساكن الضمير ، متصل الوقار* " [1]٠

وهذا يذكرنا بقول الكتاب عن الخطية أن كل قتلاها أقوياء ٠

وفي نحو سن الثامنة عشر بدأ " **نيتشه** " يفقد إيمانه بالله

---

[1] د٠ عبد الرحمن بدوي – نيتشه ص ٤١ ، ٤٢

وبالدين ففارقته البهجة ، لأن الدين كان يمثل ركناً أساسياً في حياته ، وقرأ نيتشه كتاب " **شوبنهور** " عن " العالم كإرادة وفكرة " الذي يوضح فيه أن على الإنسان أن يبذل الجهد والكفاح اللذان يحملان في طياتهما البؤس والشقاء، وعندما أنهى قراءة الكتاب قال عن هذا الكتاب أنه " *مرآة طالعت فيها العالم والحياة ، بل وطبيعة نفسي مرسومة في جلال مخيف .. أنه ليبدو لي أن شوبنهور كان يخاطبني أنا . لقد أحسست فيه شعوره المتحمس وخيل إليَّ أني أشهده ماثلاً أمامي في كل سطر كإنما يناديني نداءً صارخاً* " [1]

وأعتبر نيتشه نفسه أنه خليفة شوبنهور وتأثر بنظرته التشائمية ، وعندما مات والده تأثر كثيراً لموته ، حتى قال عنه " *مات والدي في سن السادسة والثلاثين ، وكان رجلاً رقيقاً محبوباً وعلى سيماه طابع المرض ، وكل شئ كان يدل على أنه مخلوق قُدّر له أن يمر بالحياة مرور العابرين الكرام ، فهو ذكرى جميلة للحياة ، أولى منه أن يكون الحياة نفسها ، وقد بدأت حياتي في الزوال في نفس اللحظة التي ذهبتْ فيها حياته ، ففي سن السادسة والثلاثين وصلت إلى أحط درجة في حياتي وحيويتي ، أجل قد عشت من بعد ، ولكن هذه الحياة التي حييتها لم أكن أستطيع أن أنظر فيها إلى أبعد من ثلاث*

---

[1] د. رمسيس عوض – ملحدون محدثون ومعاصرون ص ١٨

خطوات " [1] وكان " **نيتشه** " قد ورث عن أبيه روح التدين والشفقة والمثالية وحب الموسيقى ، وورث عن أمه الإحساس المرهف ، ولكن في شبابه أجتهد أن يتخلص من الشفقة قائلاً " *الشفقة أعظم خطر عليّ. هذه الشفقة نتيجة سيئة من نتائج طبيعة والدي الشاذة ، وهو الذي كان كل من عرفوه يضعونه في صفوف الملائكة قبل أن يضعوه في مصاف بني الإنسان* " [2] أما والدة نيتشه المتدينة فكانت دائمة الصلاة من أجله ، وكانت على وشك حرق كتاباته المملوءة بالتجديف .

س٢٦ : كيف تشبع نيتشه بفكرة موت الله ، وأعتقد أنه هو " الإله ديونسيوس " ؟ وهل وجد راحته في الإلحاد ؟

ج : بعد أن كان "**نيتشه**" في فجر حياته يظهر محبته العميقة لله ، وصل لمرحلة الإلحاد وهاجم الله ، **وقال بالرغم من أن إله اليهود الذي إتسع نطاقه في المسيحية** حتى صار يملك على نصف البشرية ، إلاَّ أنه بقى بالغ الشحوب ، بالغ الضعف ، منحطاً ، فقال "*في زمن ماضٍ لم يكن الله يمتلك غير شعبه (شعبه المختار)*

---

(1) عبد الرحمن بدوي – نيتشه طبعة ١٩٣٩م ص ٢٩ ، ٣٠

(2) المرجع السابق ص ٣٠

لكن .. مضى صوب الغريب (يقصد أتجه للأمم) وتغرّب ، ومنذ ذلك الحين لم يقدر بعد أن يبقى ساكناً في مكان واحد .. أمتلك من جهته الرقم الأكبر ونصف البشرية .. لم يتحوّل رغم هذا إلى إله فخور وثني : لقد أستمر يهودياً ، وإله الزوايا .. إله كل القرافي المعتمة والأماكن المظلمة ، والأحياء الوخيمة ، للعالم الكامل !

مملكته العالمية بقيت معدودة ، كما قبلاً ، مملكة للعالم السفلي ، ومصحة ، مملكة تحت أرضية – سردابية ، مملكة (جيتو) .. وبقى هو نفسه ، بالغ الشحوب ، بالغ الضعف ، ومنحطّاً .. إنهيار إله وتحطُمَهُ .. الله يتحوّل إلى (شئ في ذاته) " [1].

وطالب " نيتشه " بإله شرير ماكر عنيف هدّام ، فقال *"فالمرء يحتاج تماماً إلى إله شرير بمقدار ما يحتاج إلهاً صالحاً .. بأي شئ يفيد إله لا يعرف الغضب والإنتقام والحسد والسخرية والمكر والعنف ، والذي حتى لا يعرف الأوار الساحر والإضطرام الخلاب للغلبة والتدمير الهدّام " [2]* **وأعتبر " نيتشه " أن الإيمان بوجود إله يعد تحقيراً للحياة** وإزدراء بالعالم وهروباً من المسئوليات الملقاة على عاتق الإنسان.

---

(1) فريدريك نيتشه ـ عدو المسيح ص ٥٥ ـ ٥٧

(2) المرجع السابق ص ٥٢

وكان " **نيتشه** " يهاجم ذبيحة الصليب ، فقال أنها " *الذبيحة التكفيرية في شكلها الأكثر إثارة للاشمئزاز ، والأكثر بربرية ، التضحية بالبرئ لغفران خطايا المذنبين. أية وثنية هائلة !!* " [1]

وبالرغم من ذلك فإن " **نيتشه** " أعتبر نفسه أنه هو الإله اليوناني الجبار " ديونسيوس " وأسقط على هذا الإله صورة المسيح المصلوب ، وقد تشبَّع " **نيتشه** " بالإله ديونسيوس إله الحضارة اليونانية ، ولهذا كرَّس دراساته الأولى في علم الفيلولوجيا اليونانية القديمة ، وتأثر نيتشه بأول مظهر لديونسيوس وهو الألم ، فالمأساة اليونانية تصوّره على أنه فريسة الآلام العنيفة التي تنتابه كل حين ومن كل ناحية ، فالروح اليونانية كلها تشاؤم وصراع مع قوى الطبيعة ، ولهذا درس نيتشه فلسفة " **شوبنهور** " التشاؤمية وأحب شوبنهور ، وأعجب بفاجنر جداً هو وموسيقاه .. لماذا ؟ لأنه تلميذ شوبنهور ، ورأى في فاجنر أنه إبن الإله ديونسيوس ، وقد تجسدت فيه روح الإله ، فتعرَّف " **نيتشه** " على فاجنر في نوفمبر ١٨٦٨م في ليبتسج ، وصادقه وأحبه.

وكان " **نيتشه** " يمهر رسائلة التي يرسلها إلى أصحابه

---

[1] فريدريك نيتشه – عدو المسيح ص ١١٥

بتوقيع " *ديونسيوس* " وأحياناً " *المصلوب* " وأحياناً " *عدو المسيح* " وكثيراً ما كان يبدأ *(يبتدر) أصحابه بهذه التحية (كونوا سعداء ، لقد تنكرت بهذا الزي ، ولكني أنا الله)* " [1].

وقال **نيتشه** قولته الشهيرة "***لقد مات الله***" فكان يفتخر قائلاً : *لقد قتلنا الإله وهو عمل جد عظيم ، فيجب أن نكون نحن الآلهة بعد هذا العمل الذي ليس أعظم منه* ، وعندما سُئل نيتشه : لماذا مات الله ؟ أجاب : شفقة على الأشرار ، وقال " **نيتشه** " نحن لا نريد ملكوت السموات لأننا نحن بشر ، إنما نريد ملكوتاً أرضياً ، كما يقول في كتابه " زرادشت " : "*صادف زرادشت وهو يهبط إلى أسفل الجبل شيخاً ناسكاً أخذ يحدثه عن الله ، فتعجب زرادشت في نفسه كيف أن هذا الناسك لم يسمع وهو في غابته أن الله قد مات وماتت معه جميع الآلهة* " [2].

وعندما قال **نيتشه** "***لقد مات الله***" إحتار المفسرون في قصده من هذه العبارة ، هل كان لله وجود ولم يعد له وجود حقيقي الآن ، أم أنه مات في نظر الناس فلم يعودوا يشعرون بوجوده ، أم أنه مات على الصليب شفقة على الأشرار ، ويقول " **الدكتور**

---

(1) بولس سلامة ــ الصراع في الوجود ص ٢١٧

(2) د٠ رمسيس عوض ــ ملحدون محدثون ومعاصرون ص ٢٢

رمسيس عوض " عن هـذا الإصـطلاح النيتـشاوي "*أن نيتـشه استخدمه على نحو غامض حار المفسرون في فهمـه ، فـنحن لا نعرف إذا كان نيتشه يريد أن يقول أن الله غير موجود ولم يكن في أي وقت من الأوقات موجوداً ، أو أنه يعني أن الله موجود ولكـن المسيحيين وغيرهم أساؤوا فهمه بطريقة بشعة ، ومن ثمَّ فإن القول بموت الله هو رفض لهذه المفاهيم الخاطئة. هل يريد نيتشه بقولـه هذا أن يهاجم فكرة الألوهية كفكرة أم أنه يريـد أن يهـاجم فكـرة الألوهية كما هي واردة في الحضارات الغربية. والجدير بالذكر أن جان بول سارتر يفسر قول نيتشه بموت الله بأن نيتشه يريد أن يقول أن الله غير موجود ، وأن على البشر أن يواجهوا وحدتهم وغربتهم في هذا الكون بشجاعة* " [١].

أما " **ريتشارد وورمبلاند** " فقد أخذ الجانب الحسن في هذه المقولة ، فقال "*لكن نيتشه كان في أعماقه أكثـر تـوقيراً لله مـن تلامذته ، وكان يتحدث عن موت الله بما نسميه الرعب المقـدَّس ، وحينما أصابه الجنون بعد ذلك كان يرتاد الكنائس وهو يردد لحنـاً لاتينياً حزيناً يُبكي به الله الميت ! لقد مات الله بالنسبة لـه ، ولكـن*

---

[١] د. رمسيس عوض – ملحدون محدثون ومعاصرون ص ٢٥

موت الله كان أقسى دراما أثرت في حياته وهدمت أركـان عقلـه المضطرب ، لقد كان يشعر بالحزن العميق والأسى لأن إلهه لم يعد حيًّا بعد " (١).

وبينما كان " **نيتشه** " على فراش المـوت قـال لأختـه " *أعطني وعداً إذا متُ ألاَّ يقف حول جثتي إلاَّ الأصدقاء ، فلا يُسمح بذلك للجمهور المحب للإستطلاع ، ولا تسمحي لقسيس أو غيره أن ينطق الأباطيل بجانب قبري ، في وقت لا أستطيع أن أدافع فيه عن نفسي . **أنني أريد أن أهبط إلى قبري وثنيًّا شريفاً*** " (٢).

ولم يجد " نيتشه " راحته في الإلحاد ، فالإنسان جُبل على صورة الله ، فلا تشبع نفسه إلاَّ بالله غيـر المحـدود ، ويقـول " **بولس سلامة** " عن " **نيتشه** " : "*وظلت اللانهائية تستهويه .. أنه يريد البقاء في هذا العالم ولكنه لا يستقر على شئ فيه .. بـالرغم من إلحاده الظاهر كان عطشاً إلى الله .. فهو صوفي إنقلب على أم رأسه فبات ينظر إلى الأشياء معكوسة . أنه عطشان ضل طريقـه إلى النبع .. وكلما أبتعد خطوة أشتد عوزه إلى الماء. ألم يقل عن المسيحية التي تنكَّر لها { أنها أطيب حقبة صـادفتها فـي حياتي*

---

(١) ترجمة د. عزت زكي – جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي ص ٧١
(٢) د. رمسيس عوض – ملحدون محدثون ومعاصرون ص ٢٠

الفكرية ، ومنذ بدأت أنسى متعتها في منعطفات كثيرة ، وأعتقد أنني في صميم نفسي لم أكن حيالها فظاً غليظاً } .. فقد كان مزاجه عصبياً .. وثار أول ما ثار على نفسه .. لقد طرد نفسه بنفسه من الفردوس وأدار له ظهره باحثاً عنه في القفر ، ولكن أرواح الفردوس ما برحت تُلقي أشباحها أمامه فينحني ليجتني الثمار ولا يجد إلاّ خيالها . يظهر مما تقدم أن الإيمان لم يُشبع نفسه فأصلاه حرباً ضروساً ، شأنه في ذلك شأن المنتحر ، يقتل ذاته لا كُرهاً للحياة بل لشدة حبه لها ولأنه يبغيها " [١].

س٢٧ : كيف نظر " نيتشه " للمسيحية والكنيسة ؟

ج : يقول "نيتشه" : "لقد كانت المسيحية حتى اليوم **البلية المشئومة** الأكبر ضد البشرية "[٢] كما يقول أيضاً "بهذا أكون قد وصلت إلى النهاية فأُعبر عن حكمي . **أنا أدين المسيحية** وأرفع ضد الكنيسة المسيحية الإتهامات الأكثر ترويعاً التي قيض لمتهم أبداً أن يحملها في فمه . إنها عندي **الفساد الأكبر** بين كل ما يمكن تخيله من فساد ، أنها قد ملكت إرادة الوصول إلى الغاية الممكنة من الفساد . الكنيسة المسيحية لم تَدَع شيئاً دون أن تلمسه بفسادها ، كل قيمة

---

(١) الصراع في الوجود ص ٢١٦

(٢) عبد الرحمن بدوي – نيتشه طبعة ١٩٣٩م ص ١٤٨

حوّلتها إلى لا قيمة ، وكل حقيقة إلى كذب ، وكل أمر مُشرّف إلى حطّة للروح. أفيتجاسر أحد مع ذلك ويكلمني عن بركتها الإنسانية .. لقد عاشت على حالة الحاجة والبؤس .. التطفل هو الممارسة العملية الوحيدة للكنيسة ! الكنيسة بأفكارها ذات اليرقان وفقر الدم والقداسة ، التي تنغب حتى الأخير كل دم ، كل أمل ، وكل محبة في الحياة .. تُضاد الصحة والجمال والإتقان ، والإقدام ، والهمة ، وكرم النفس ، تضاد الحياة ذاتها.

هذا الإتهام الأبدي ضد المسيحية أريد أن أكتبه فوق كل الجدران ، حيث توجد جدران ، فأنا أملك حروفاً مرئية حتى من العميان .

أنني أدعو المسيحية **اللعنة الكبيرة** الوحيدة ، الشذوذ الباطني الأكبر والوحيد ، والغريزة الأكثر تفرداً للأنتقام ، الذي لأجله ليس ثمة إداة سامة كفاية ، خفيّة ، سردابيّة ، لئيمة ، مثلها.

أنني أدعوها **اللطخة الأبدية** فوق البشرية " [1].

ويقول " **نيتشه** " عن الكنيسة " والكنيسة نفسها ؟! أليست أنها **مأوى المجانين** الكاثوليكي .. إن الإنسان المتدين – كما تريده الكنيسة – منحط نموذجي " [2].

---

[1] نيتشه - ترجمة جورج ميخائيل ديب – عدو المسيح ص ١٨٦

[2] المرجع السابق ص ١٤٤

وقبل تعرض " **نيتشه** " للجنون بنحو شهرين أو ثلاثة قاد هجوماً محموماً ضد المسيحية ، ورأى أن هذا الهجوم سيمثل تاريخاً جديداً للعالم عوضاً عن التاريخ الميلادي الزائف ، وقد مَهر هجومه هذا المكون من سبعة بنود بـ " **ضد المسيح** " فكتب :

"تشريع ضد المسيحية

أعطي في يوم الخلاص ، في اليوم الأول للعام واحد (٣٠ سبتمبر عام ١٨٨٨م من التقويم الزائف) حرب حتى الموت ضد الرذيلة ، ***والرذيلة هي المسيحية :***

البند الأول : رذيل كل نوع ضد الطبيعة ، النوع الأكثر رذيلة بين البشر هو الكاهن ..

البند الثاني : كل مشاركة في خدمة إلهيَّة هو تعدٍ على الأخلاق العامة . يتوجب التشدد والقسوة ضد البروتستانتيين أكثر من الكاثوليكيين ..

البند الثالث : المكان اللعين ، حيث حضنت المسيحية بيوض الأفاعي .. سيكون مُدمَراً وسوي بالأرض ..

البند الرابع : الواعظ بالعفة هو تحريض عمد في الحضارة الطبيعية . كل إحتقار للحياة الجنسية .. هو خطيئة أصلية ضد الروح المقدّس للحياة .

البند الخامس : تناول الطعام فوق مائدة واحدة مع كاهن يسبب الطرد ..

*البند السادس : التاريخ " المقدس " يجب أن يُلقَّب بالأسم الذي يستحقه : **تاريخ ملعون** وكلمة " **الله** " ، " **المخلص** " ، " **الفادي** " ، " **قديس** " تستعمل كسُبَّة ، كتمييز للمجرمين.*

البند السابع : البقية تستنبط من هنا

الأنتي كريستو " [١]

ولم يسلم **الإنسان المسيحي** من لسان **نيتشه** ، حيث قال عنه " *المسيحي معنى مؤكد على الفظاظة والقسوة ضد ذاته ، وضد الآخرين ، وعلى البغضاء ضد من يفكرون بطريقة مختلفة .. المسيحية عداوة حتى الموت ضد أسياد الأرض وجبابرتها ، وضد النبلاء .. المسيحي هو بغضاء .. أنه ضد الحرية ، وضد التحرر الروحي ، المسيحي بغضاء معادية للإحاسيس ، وضد سرور الأحاسيس ، وضد الفرح في النهاية* " [٢] كما يقول أيضاً " *المسيحي والفوضوي : كلاهما منحط ، وكلاهما غير قادر أن يعمل بطريقة أخرى سوى التفسيخ والحل ، والتسميم ، وخسف الحيوية ، ومص*

---

[١] نيتشه - ترجمة جورج ميخائيل ديب - عدو المسيح ص ١٨٨

[٢] المرجع السابق ص ٦٥ ، ٦٦

الدماء ، كلاهما مع غريزة البغضاء حتى المـوت لكـل مـا هـو منتصب ، متشامخ ، ويمتلك ديمومة ، ولكل ما يعد الحياة بمستقبل .. لقـد كانـت المـسيحية مـصاص دمـاء الأمبراطوريـة الرومانية " [1].

رأى " **نيتشه** " في " **الأخلاق المسيحية** " أنهـا أخـلاق العبيد ، وأن الموعظة على الجبل تشمل أخلاقيات العبيد ، وبالتـالي فأنها تحط من قدر الإنسان ، وأزدرى " **نيتشه** " بالسيد المسيح لأنه صلى لكيما تعبر عنه كأس المـوت ، وأعـاب " **نيتـشه** " علـى المسيحية لأنها تستأنس شـجاعة الإنـسان وتـروض جـسارته ، فالحيـوان المتوحش متى تـم استئناسه فأنـه يفقـد روعته ويقول " **نيتشه** " : *" ما الذي نحاربه في المسيحية ؟ نحن نحـارب فيهـا سعيها إلى تحطيم الأقوياء وكسر أرواحهم وإستغلال لحظات تعبهم وعجزهم ، وسعيها إلى تحويل الفخور بالذات إلى حالة من القلـق وتنغيص الضمير ، ونحن نحارب فيها أنها تعرف كيف تسمّم أنبـل الغرائز وتصيبها بالسقم والمرض حتى تتجه قوتها وإرادتهـا فـي الحياة إلى دخيلة الذات وتدمر نفسها "* [2].

---

(1) نيتشه - ترجمة جورج ميخائيل ديب – عدو المسيح ص ١٧٢ ، ١٧٣
(2) د. رمسيس عوض – ملحدون محدثون معاصرون ص ٢١

ويقول " **الدكتور لويس عوض** " : " *وقد قدّر لإبن القس هذا أن يكون أكبر داعية عرفه التاريخ لمناهضة الأخلاق المسيحية .. فهو من فرض خشيته أن يكون قديساً آثر أن يكون شيطاناً ، وقد كان نيتشه شيطاناً بالفكر* " [١] .. "*لذلك تدور أكثر كتابات نيتشه حول فكرة واحدة هي تحرير الإنسانية من الأخلاق المسيحية .. فالأخلاق كلمة لا معنى لها ألاَّ في قاموس العبيد ، والفضيلة عملة يشترى بها الضعفاء السعادة في الحياة الدنيا أو في الدار الآخرة .. الأخلاق المسيحية عند نيتشه " أخلاق المنفعة " ، والمسيحية هي { اللعنة الوحيدة الكبرى ، وهي الإنحراف الوحيد الهائل المتغلغل الذي تجوز مقاومته بأية وسيلة .. وأنا أسميها الوصمة الوحيدة الخالدة في جبين البشرية } ..* " [٢] .

كما هاجم **نيتشه** الثورة الفرنسية لأنها تنادي بالمساواة والإخاء بين الناس ، وهي ضد فكرة السوبرمان الذي يتميز بالفخر والعظمة والمعرفة وركوب الأخطار وخوض المعارك ، وقال **نيتشه** أن " *المسيحي كائن بطال ، مغرور ، ضائع، أنه غريب عن نشاط الأرض .. فلهذا فإن الحياة تنتهي حيث يبتدي ملكوت*

---

(١) أورده القمص بولس عطية بسليوس – دراسات في علم اللاهوت ص ١٦١

(٢) المرجع السابق ص ١٥٨

الله " [١] وأيضاً قال **نيتشه** "*فأول واجب علينا إذا أردنا أن نمهد لظهور السوبرمان هو ليس التخلي عن الأخلاق المسيحية فحسب بل مقاومة هذه الأخلاق التي تمجد الضعف وتحول دون ظهور السوبرمان الذي يتوكل على نفسه فقط ولا يتوكل على الله • فالمجد للأقوياء وسحقاً للضعفاء والمحتاجين ، والخير والرحمة كلمتان ينبغي إزالتهما من القاموس• كن صلباً ، لا تراع جارك • فالخطر الأول على الإنسانية الفاضلة كامن في الأخلاق المسيحية* " [٢] وعندما أصدر نيتشه كتابه " فيما وراء الخير والشر دافع فيه عن الشر وهاجم الخير ، بل وهاجم الفيلسوف الإنجليزي " **جون ستيوارت ميل** " الذي قال أن من واجب الإنسان أن يعمل على إنتصار الخير وإندثار الشر •

س٢٨ : كيف كانت نظرة نيتشه التشائمية للإنسان ، وحلمه بالإنسان السوبرمان ، ونظرته التشائمية للمرأة ؟

ج : - نظرة نيتشه للإنسان : هاجم نيتشه الإنسان الحالي بوصفه الدودة الحقيرة والقرد والحيوان ، وكان يحلم **بالإنسان السوبرمان**

---

(١) أورده القس أنجليوس جرجس – وجود الله وصورُ الإلحاد ص ٩٦

(٢) أورده القمص بولس عطية بسليوس – دراسات في علم اللاهوت ص ١٥٧ ، ١٥٨

و الإنسان الأعلى الذي يحطم كل المقاييس البشرية ، فعن الإنسان لحالي يقول "*أن الذي يثير إشمئزازنا هو هذه الدودة الحقيرة ، لإنسان الذي ما برح يتناسل .. يمكننا التساؤل عما إذا كان هؤلاء مسافرون الجوابون قد شهدوا في طوافهم شيئاً يبعث على الكراهية التقزز أكثر من وجه الإنسان .. إذا كان الله خلق الإنسان فإنما لقه قرداً يلهو به في أبديته الطويلة .. الإنسان أقسى الحيوانات أشجعها ، وعندما يفكر فهو الحيوان الذي يصدر أحكاماً .. فهو رادف للمرض والإعتلال . وأنه لا يدرك نفسه إلاَّ من خارج* " [١]

ما عن الإنسان السوبرمان فقال **نيتشه** "*لقد ماتت الآلهة جميعاً ، نريد الآن أن يعيش السوبرمان أو الإنسان الأعلى .. أنني بشركم بالإنسان الأعلى. يجب أن يأتي من الإنسان من يفوق لإنسان* " [٢] ويقول الدكتور " **لويس عوض** " أيضاً : "*فقد تأثر يتشه **بنظرية داروين** في التطوّر ، وبنى عليها نظرية أخرى خلاصتها أن في الإنسان غزواً طبيعياً يجعله يعتقد أنه آخر مرحلة من مراحل الحياة العضوية ، ولكن تاريخ تطوّر الأحياء يدلنا على أن عملية التطوّر لن تقف عند حد الإنسان ، بل ستستمر في*

---

(١) بولس سلامة – الصراع في الوجود ص ١٩٤

(٢) د. رمسيس عوض – ملحدون محدثون ومعاصرون ص ٢٢

المستقبل ومنها سينشأ نموذج من البشر أرقى من الإنسان الحالي وأقرب إلى الكمال ، يمكن أن نسميه السوبرمان. فإن لم تكن عوامل التطوُّر الموجودة تؤدي بالضرورة إلى ظهور السوبرمان فيمكن أن نعمل على توجيهها بحيث تنتهي بظهوره .. والسوبرمان أو الإنسان الفاضل لا يختلف عن الإنسان العادي في أنه أدنى إلى السعادة ، بل يتميز عنه بالقوة ، وتتمثل هذه القوة في الإرادة الجبارة وفي مباشرة السلطان .. ولكي توطئ لظهور هذه الفصيلة الراقية من البشر لابد أن يتعلم الناس القوة والصلابة والقسوة ، وأن يبغضوا الضعف والدعة والراحة والقناعة والتسامح والرحمة والتواضع والإخاء والمساواة " [١].

أما نظرة تيتشه للمرأة فهي نظرة إحتقار شديد ، فقد أظهر نيتشه كراهيته الشديدة للمرأة بالرغم من أن أمه كانت سيدة متدينة ، وأخته اليصابات كانت من أقرب الناس إليه ، وقد وصف النساء في كتابه " هكذا تكلم زرادشت " **بأنهن قطط وطيور وأبقار** ، وأن دورهن في الحياة مجرد الترفيه عن الرجال المقاتلين ، ودائماً ينشغلن بالرقص وأدوات الزينة والكلام الفارغ والعواطف الهوجاء،

---

(١) أورده القمص بولس عطية بسليوس – دراسات في علم اللاهوت س ١٥٦ ، ١٥٧

ومن أقوالــه { *إذا ذهبــت إلى إمرأة فلا تنـسى أن تأخـذ معـك سوطك* } [1] ويرى أن المرأة التي تريد أن تستقل بذاتها ولا تخضع لإرادة الرجل فأنها فظيعة ، وأن الشرقيين محقين لأنهـم ينظـرون للمرأة كقطعة تُباع.

س٢٩ : كيف مجّد نيتشه الحرب ، وشجّع على الإنتحار ؟

ج : كان " **نيتشه** " متيماً بالحروب وصراع القوة ، ففي سن الثالثة والعشرين إلتحق نيتشه بالجيش ، بالرغم من أنه كان يعـاني مـن قصر نظر شديد ، وحساسية مرهفة بالعينين حتى أنه لم يكن يستطع أن يعاين نور الشمس أكثر من ساعة ونصف في اليوم ، وأعجـب نيتشه بالضبط والربط ، والطاعة ، وتحمل المهام الشاقة ، ولكن بعد خمسة أشهر سقط من علـى جواده فأصيب فـي صـدره وجنبـه الأيسر ، وتم تسريحه والإستغناء عنه ، وأمضى الفترة مـن ١٨٦٩ – ١٨٧٩م أستاذاً مساعداً للفيلولوجيا بجامعة بـاذل ، وفـي سـنة ١٨٧٠م عندما نشبت الحرب بين بلاده الألمانية وفرنسا ، عاد وتقدم للجيش ثانية ، ولكن بسبب إعتلال صحته وضعف بصره لـم يقـوَ

---

(١) د. رمسيس عوض – ملحدون محدثون معاصرون ص ٢١

على المشاركة في القتال ، فعمل في صف التمريض في فرانكفورت من أغسطس إلى أكتوبر سنة ١٧٨٠م ، وعندما رأى كوكبة من الفرسان أهتز وجدانه ، ولمعت في ذهنه فكرة " **السوبرمان** " فصارت أبرز فكرة **في فلسفته التي تسعى للقوة** ، حتى أنه قال " *ما هو الخير ؟ .. كل ما يعلو في الإنسان ، بشعور القوة وإرادة القوة والقوة نفسها .*

ما الشر ؟ .. كل ما يصدر عن الضعف .

ما السعادة ؟ .. الشعور بأن القوة تنمو وتزيد ..

لا رضى ، بل قوة أكثر وأكثر ، لا سلام مطلقاً ، بل حرباً ، لا فضيلة بل مهارة ..

الضعفاء العجزى يجب أن يفنوا : هذا أول مبدأ من مبادئ حبنا للإنسانية ..

أي الرذائل أشد ضرراً ؟ .. الشفقة على الضعفاء العجائزين ؟ " [1].

وأشاد " **نيتشه** " **بإحتقار الإسلام للمسيحية** ، لأنه يُمجّد القوة بينما المسيحية تُمجّد الضعف والخنوع في نظره ، فيقول "*أن*

---

[1] عبد الرحمن بدوي – نيتشه طبعة ١٩٣٩م ص ٢١٥ ، ٢١٦

الإسلام لدى إحتقاره المسيحية يمتلك ألف مرة الحق بأن يفعل ذلك ، إذ الإسلام يتطلب رجالاً . لقد حرمتنا المسيحية من مجاني (جني ثمار) الحضارة القديمة (يقصد الأمبراطورية الرومانية التي أشاد بها في كتاباته إذ كان مغرماً بقوتها) *وفيما بعد حرمتنا من ثمار حضارة الإسلام* " [1].

ويقول " **الدكتور لويس عوض** " : " *هذه هي الشعارات التي نادى بها نيتشه { إن الحرب والشجاعة قد أثمرتا أشياء أعظم مما أثمر الإحسان .. فلتحيا حياة الطاعة والحرب } الألم يُطهّر النفس والخطر مدرسة الأبطال ، أما الشكوى والأنين وإنتظار الرحمن فمن سجايا العبيد .. والعبيد لا يستحقون إلّا السعادة أما الأقوياء فهم يستحقون السيادة و [كل ما نبع من القوة فهو خير ، وكل ما ينبع من الضعف فهو شر] فهل غريب بعد كل هذا أن يقترن إسم نيتشه بالدعوة للحرب وأن يُعرف بأنه أكبر عدو للسلام ؟ وهل غريب بعد كل هذا أن تجد النازية في فلسفته الدعامة الفكرية والروحية التي أقامت عليها دعوتها للقوة والسيادة والتفوق السوبرماني* " [2].

---

[1] نيتشه - ترجمة جورج ميخائيل ديب – عدو المسيح ص ١٧٩

[2] أورده القمص بولس عطية بسليوس – دراسات في علم اللاهوت ص ١٥٧ ، ١٥٨

ويقول " **القمص بولس عطية** " أن " **نيتشه** " مجَّد تنازع البقاء وتنازع السلطان بين الأفراد ، ورأى البعض أن جنون " **نيتشه** " لم يبدأ في نهاية أيامه ، إنما لازمه طوال حياته ، لأن ما كتبه ما هو إلاَّ هذيان مجنون ، ومع هذا فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر مدى تأثر الفكر المعاصر بما كتبه نيتشه (راجع دراسات في علم اللاهوت ص ١٦٠ ، ١٦١).

ورأى " **نيتشه** " أن الإنسان يجب أن يحيا طالما يملك القدرة على العطاء ، وليس المطلوب أن يحيا الإنسان طويلاً ، إنما المطلوب أن يحيا حياة حافلة خصبة زاخرة ، وأن الإنسان عندما يشعر أنه لا يستطيع أن يعلو أكثر مما هو عليه ، فأنه يشعر بحاجته الشديدة للموت ، ولذلك يجب أن يجعل الإنسان من موته عيداً ، حتى لو تطاول على الحياة ، أي أقبل على الإنتحار ، فنيتشه لا يفضل الموت الطبيعي ، ويقول عنه أنه " *موت لا دخل لإرادة المرء فيه ، وهو موت في وقت غير مناسب ، وهو موت الجبناء* " [١] كما قال "*أنا لا أريد الحياة ، وما الذي يجبرني على تحملها ، بل على النظر إليها ، ولا أدري كيف أستطيع النظر إلى*

---

[١] عبد الرحمن بدوي – نيتشه طبعة ١٩٣٩م ص ٢٤٤

عاشقيها " [١] وقال أيضاً "*يجب أن نفرح بالمنية* (الموت) *المنقذة من الحياة والمعيدة إلى العدم* " [٢] ، فإن " **نيتشه** " قد فقد إيمانه تماماً بالله وبالحياة الأخروية وسقط في هوة الإلحاد المظلمة ،

س٣٠ : كيف أُغرم نيتشه بالترحال ، رغم حالته الصحية المتردية ؟

ج : عاش " **نيتشه** " يعشق الموسيقى والقراءة والكتابة ، فكان إنتاجه من الكتب غزير جداً ، وهوى الترحال وأُغرم به فانتقل من مكان إلى آخر في ألمانيا وسويسرا وإيطاليا ، كالطير الذي لا عش له ، مفضلاً إقامة مجتمع عالمي ، معتقداً أن المستقبل للمواطن العالمي ، فالسوبرمان لا يقترن بموطن معين ، إنما جميع الأوطان هي وطنه ، مثل نابليون وجوته وبيتهوفن وشوبنهَور ، وعاش نيتشه حياته بلا زوجة ولا أولاد ولا أصدقاء ولا إله ، فقد كان يتعبَّد في محراب ذاته ويشعر بالإستعلاء على كل أحد ، لم يعتز بالقومية الألمانية ، إنما كان فخوراً بجذوره البولندية ، وأيضاً الشعب الألماني لم يحفل به أثناء حياته ولم يهتم بآراءه الصادمة ٠

---

(١) بولس سلامة – الصراع في الوجود ص ٢٠٨
(٢) المرجع السابق ص ١٩٤

ويقول عنه " **بولس سلامة** " : "كان مترجرجاً لا يطمئن به بلد ، ولا يستقر في أرض. فكذلك أضحت فلسفته رجراجة تثب من أفق إلى أفق ، ومن واد إلى ربوة ، ومن صخر إلى كثب .. فهو شريد شاذ ، لا زواج ولا وطن .. لا يكاد يعتنق فكرة حتى يفرُّ منها إلى سواها ، دائم التجوال ودائم البحث عن جديد. كذلك شأنه في التفكير وفي الصداقات .. أو لم يكتب وهو تلميذ في الخامسة عشرة من سنه : لا يحق لأحد أن يتجاسر فيسألني عن وطني ، فلستُ مرتبطاً بالمكان ولا بالزمان الذي يمر ، إني طليق كالهواء .. وهو دائم التناقض لا يتروى ولا يبرم أمراً ، فتراه دائم العراك مع أصحابه ومع نفسه .. ولا ريب أن كبرياءه كانت من الأسباب التي جرت عليه وعلى الملائكة من قبله ما جرت من النكبات. ألم يكتب إلى أمه وهو بعد تلميذ رخص العود : لن يؤثر عليَّ أحد ، لأني لم أرَ حتى الآن من هو فوقي. وكتب إلى أخته .. لا أحسب في مقدوري التعلق بأحد ، لأن ذلك يفترض إني لقيتُ إنساناً في مرتبتي .. لقد كان الرجل في عزلة رهيبة ، أليس هو القائل : أشتهيت البشر ونشدتهم فلم أجد سوى ذاتي ، ولقد سئمت من ذاتي .. ولقد كتب إلى أخته في سنة ١٨٨٨م قبل إنتهاء حياته العاقلة بقليل : لا يكاد يبلغني صوت صديق ، أنا الآن وحدي ، ولقد

مرت بي سنون أقفرت من العزاء " [1].

ويقول " **د. عبد الرحمن بدوي** " عن نيتشه وعدم إستقراره " *هذا الذي طارده شيطانه طوال حياته ، وأبعد بينه وبين الواقع ، فحرمه الإستقرار والثبات على شئ ما من الأشياء ، أو علاقة ما من العلاقات ، وجعله مضطرباً كل الإضطراب ، قلقاً لا يعرف الإطمئنان سبيلاً إلى قلبه ولا الإستقرار منفذاً في حياته. فحرمه أول ما حرمه من البيت والأبوة والزوجة. ولا يكاد يستقر في مكان حتى ينتقل عنه إلى مكان آخر ، فظل طوال حياته شريداً طريداً* " [2].

أما عن **حالة الصحية المتردِّية** فقد تكاثرت الأمراض عليه نحو عشرين عاماً ، لا يكاد ينتهي من مرض ألاَّ ويبدأ في مرض جديد ، فكان يعاني من قصر نظر شديد ، وكانت عيناه تتورمان لأقل مجهود تبذلانه ، أو تبكيان بكاءاً شديداً. وإذا أستمر في عمله على الرغم من ذلك ، أصابهما إلتهاب شديد يحرم صاحبهما من القراءة ، حتى أنه وهو في سن الخامسة والعشرين كان يستعين بمن يقرأ له ويكتب ، وكان يسير بخطى بطيئة متثاقلة ، كمن يسير في

---

(1) الصراع في الوجود ص ١٨٤ ـ ١٨٦

(2) د. عبد الرحمن بدوي – نيتشه ص ٤١ ، ٤٢

بحر لا يدري أغواره ، ولا يستطيع أن يعاين نور الشمس أكثر من ساعة ونصف كل يوم ، وبينما كان ينقل المرضى والجرحى من الجنود في حرب ألمانيا مع فرنسا سنة ١٨٧٠م أصيب بالدوزنتريا ، ويقول " **دكتور عبد الرحمن بدوي** " عن الآلام التي كانت تنتاب نيتشه "*تارة في صورة أوجاع في الرأس وصداع يصحبه إبراق في العينين ، وطوراً على شكل قئ مؤلم مختنق ، يتلوه شعور عام بشئ يشبه الشلل ، وطوراً ثالثاً يكون هذا المرض إغماء يفقد صاحبه الشعور لمدة غير قصيرة .. ثم شعور بضغط في الدماغ يستمر طويلاً ، ولا يكاد ينقطع عنه من بعد إلَّا سويعات بسيطة وأوقات متناثرة نادرة* " [١].

والأمر العجيب أن " **نيتشه** " لم يمل المرض ، بل تعايش معه ، وأفتخر به ، فتراه يقول "*تألم فالألم مصدر العظمة* " [٢]. ولم يضق " **نيتشه** " بمرضه ، بل كان يشعر أن المرض هو الذي يخلص الروح ويحرّرها ، فقال "*لا أريد أن أودع هذه الفترة من المرض والألم دون أن أعترف بالجميل الذي طوّق عنقي به ، والذي لا أزال أنعم بآثاره التي لا تفنى ولا تنفذ* " والمرض لدى

---

[١] نيتشه ص ٩٨ ، ٩٩

[٢] القمص بولس عطية بسليوس – دراسات في علم اللاهوت ص ١٥٧

نيتشه يجمع بين شاطئين ، شاطئ الألم المظلم وشاطئ الشفاء الباهر النور ، وأعتبر أن الألم شرط لبلوغ السرور ، وأيضاً الألم يجعل العقل يسمو والإنسان يزداد في الروحانية ٠ ولعل حياة المرض المتصلة والآلام المبرحة التي كابدها نيتشه تفسر لنا حلمه ببلوغ الإنسانية مرحلة " **الصحة العظمى** "٠ وفي سنة ١٨٧٩م إستقال من التدريس في جامعة باذل بسبب المرض ، وظل أستاذاً على المعاش وعندما تعافى نيتشه من المرض قليلاً خلال الفترة ١٨٨١ – ١٨٨٤م كتب " الفجر " و " العلم المسرور " والجزء الأول والثاني من " زرادشت "٠

س٣١ : كيف تفنَّن نيتشه في فقدان الأصدقاء ، وعاش متقلب المزاج ؟

ج : تفنَّن " **نيتشه** " في كيفية فقدان الأصدقاء، فقد كان يعيش حياة الإستعلاء ، فكتب لشقيقته يقول " *عندما أتكلم عن أفلاطون وبسكال وسبينوزا أشعر أن دمهم يجري في عروقي ٠٠ سأقيم الحواجز حول أفكاري لئلا تدوس الخنازير بستاني ، ومن جملة الخنازير*

أولئك الثقلاء المعجبون بي من غير تفهُّم " [١] فبعد أن كان نيتشه معجباً أشد الإعجاب بفاجنر ، وأستمر يصادقه لمدة ثمان سنوات ، وقال عنه " *أن روحه تسودها مثالية مطلقة ، وإنسانية عميقة ، وفيها جلال رائع ، وكل هذا يشعرني وأنا بالقرب منه ، بأني في حضرة إله* " [٢].

ولكن عندما ظهرت الروح المسرحيَّة الهزليَّة لفاجنر في مسرع بايْروْيت سنة ١٨٧٦م فقد نيتشه إعجابة به وأنتقده قائلاً "*هل رجل عظيم ؟ أنا لا أدري فيه دائماً إلاَّ إنساناً قد مثَّل مهزلة مَثَله الأعلى* " [٣] وأفترق عنه ، مع أنه أراد أن لا يفقد صداقته ، حتى قال " *نحن كأصدقاء لا يجمعنا شئ ، ولكن كلاً منا يجد سعادته عند الآخر ، إلى درجة أن الواحد منا يعين الآخر على السير في إتجاهه ويغذيه ، حتى ولو كان هذا الإتجاه مضاداً لإتجاهه* " [٤] كما قال "*لقد أحببت فاجنر وأعجبت به أكثر من أي إنسان آخر في العالم .. ما كان لي القدرة على إحتمال أيام شبابي لولا موسيقى فاجنر .. وإني لأسمي فاجنر أعظم من أفادني في حياتي* " [٥]

---

(١) بولس سلامة – الصراع في الوجود ص ١٨٤
(٢) عبد الرحمن بدوي – طبعة ١٩٥٦م – نيتشه ص ٥٧
(٣) المرجع السابق ص ٦٩
(٤) عبد الرحمن بدوي – طبعة ١٩٥٦م – نيتشه ص ٧٢
(٥) المرجع السابق ص ٧٢ - ٧٤

ورغم هذا فإن نيتشه قد فارق فاجنر وفقد صداقته ، وفي سنة ١٨٧٨م أصدر كتابه " إنساني ، إنساني جداً " فأعلن فاجنر إشمئزازه منه .

وإنصرف الناس عن " **نيتشه** " وعن كتاباته ، حتى أنه عندما أصدر الجزء الرابع من " زرادشت " لم يطبع أكثر من ٤٠ نسخة ، ولم يُباع منها إلاَّ سبعة نسخ فقط ، بالرغم من إستخدامه الأسلوب الأدبي ذو الموسيقى الساحرة ، حتى أن نيتشه أظهر ألمه من هذا قائلاً *"أن لا أسمع ، بعد دعوة صادرة من أعماق نفسي مثل كتاب " زرادشت " أية إجابة أو كلمة رد أو صدى ، لا شئ ، لا شئ مطلقاً ، وإني لا أجد دائماً غير وحدة صامتة يتضاعف ألمها آلاف المرات ، في هذا كله ما يفوق كل ما يستطيع المرء تصوُّره من فزع وهلع . وأن أعظم الناس قوة وأشدهم جلداً وصبراً ليمكن أن يُقضَى عليه منه "* [١].

وكلما أصدر نيتشه كتاباً جديداً كلما فقد أصدقاء جدد، حتى دخل في وحدة رهيبة، وكان يسلي نفسه قائلاً *"كل من قُدّر له أن يذيع شيئاً جليلاً في يوم من الأيام ، لابد أن يظل وقتاً طويلاً مطوياً*

---

[١] عبد الرحمن بدوي – طبعة ١٩٥٦م – نيتشه ص ٧٨ ، ٧٩

في داخل صمته • وكل من قُدّر له أن يشعل البرق يوماً ما ، لابد وأن يظل سحاباً لمدة طويلة " [1] كما قال أيضاً *"آه لو كان في إستطاعتي أعطاؤك فكرة عن إحساسي بالوحدة ، فلست أجد من بين الأحياء ولا الأموات من أحسُّ بأن بيني وبينه شبهاً وقرابة ، وهذا مخيف ، مخيف جداً جداً "* [2] وكان يسلي نفسه أيضاً عن وحدته بأنه متميز عن جميع البشر فقال :

"أجل ! إني لا أعلمُ من أنا ، ومن أين نشأتُ

أنا كاللهيب النَهم

أحترق وآكل نفسي

نورٌ ، كل ما أمسكته

ورمادُ ، كل ما أتركه

أجل ، إني لهيب حقاً "

ثم أرسل نداءاً أخيراً جاء فيه : *" هؤلاء أنتم يا أصدقائي – آه ! •• ولكن هل أنتم لا تسيرون إليَّ ؟ •• ماذا !! هل تغيرتُ فأصبحت إنساناً آخر ، غريباً حتى عن نفسي ؟ •• أتبتعدون ؟ – أيه أيها القلب ، لقد عانيت من هذا الشئ الكثير ! ولكن أمَلَكَ لا*

---

(١) عبد الرحمن بدوي – طبعة ١٩٥٦م – نيتشه ص ٨٤

(٢) المرجع السابق ص ٧٥

يزال قوياً بعد : فدع أبوابك مفتوحة لأصدقاء " جديدين " ! .. إنهم أصبحوا " قدماء " – وهذا ما أبعدهم عني : فإن من يتطوَّر هو وحده القريب مني ، ذو الصلة بي .. إيه يانهار الحياة ! أيها الشاب الثاني ! .. إيه أيها السرور القلق ، الذي فيه ينتظر المرء واقفاً يراقب ويترصَّد ! .. أصدقائي ، إنني لأنتظرهم إناء الليل وأطراف النهار .. أي أصدقائي " الجديدين " تعالوا إليَّ ، فهذا وقتكم " [1] وقال " **نيتشه** " : " **أيتها الوحدة أنتِ وطني** " [2] وفي أواخر حياته العقلية كتب لأخته متألماً يقول " **أوَّاه ! لم يبقَ لي صديق ولا من إله** " [3].

وكان " **نيتشه** " **متقلب المزاج بحدة** ، فقد كان يسجل خواطره وأفكاره التي أشبه بالصواعق ، وبعد قليل يتخلى عنها ، فتجده يقول " *مهما يكن الشئ الذي أخلقه عظيماً ومهما يبلغ حبي له ، فلا ألبث أن أنقلب عليه وأن أصير خصماً لحبي .. إن هذا المفكر العظيم (يقصد نفسه) لا يحتاج إلى من يهدمه لأنه يهدم نفسه* " [4].

---

(١) عبد الرحمن بدوي – طبعة ١٩٥٦م – نيتشه ص ٧٥ - ٧٦
(٢) المرجع السابق ص ٧٧
(٣) بولس سلامة – الصراع في الوجود ص ٢١٨
(٤) المرجع السابق ص ٢١١

ويعلق " **بولس سلامة** " قائلاً " *ومن جملة الأسباب التي جعلت نيتشه لغزاً على نفسه قلة تعمقه في التاريخ العام ، ونقص مداركه القانونية ، وضآلة معارفه اللاهوتية ، وتطرفه في كل شيء إلى حد التهور* " [١] ولذلك ليس بالأمر العجيب أن نيتشه الذي طالما أنتقد الإيمان المسيحي عاد يعترف بفضله ، فيقول " *حتى نحن رواد المعرفة اليوم ومضادو الميتافيزيقيين ، والذين نفخر بأنه لا وجود لله ، فنستمد نارنا من لهيب عمره ألفي عام – هذا الإيمان المسيحي الذي نادى به أفلاطون من قبل – والذي خلاصته أن الله حق ، وأن الحق إلهي* " [٢] ومما يذكر أنه بعد أن جدف على سر التجسد الإلهي ، عاد وقال : *قد يكون التجسد مظهراً من مظاهر العظمة الإلهية* ، وفي كتاب " **هكذا تكلم زرادشت** " يقول " *المرأة التي تحب تضحي بشرفها ، والفيلسوف الذي يحب يضحي بإنسانيته ، وإله أحبَّ فجعل نفسه يهودياً* " [٣] فهذا نوع من الحب الكاره أو الكراهية المُحبَّة.

---

(١) بولس سلامة – الصراع في الوجود ص ٢١٣

(٢) ريتشارد وورمبلاند – ترجمة د. عزت زكي – جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي ص ٣٤ ، ٣٥

(٣) بولس سلامة – الصراع في الوجود ص ٢١٦ ، ٢١٧

ونستطيع أن نقول أن القرن التاسع عشر الذي أفـــرز لنـــا نيتشه هو القرن الذي رفع فيه الإنسان لواء **العقلانيـــة** ، ولا شـــئ غير العقل وعبادته ، ويقول " **دكتور عبد الرحمن بدوي** " : "*فعبادة العقل إذاً هي الطابع الرئيسي لهذا القرن ومبادئ العقل هي وحـــدها التي يجب أن يقـــوم عليهـــا بنـــاء الجماعـــة الإنـــسانية ومبانيهـــا الروحية* " [1] كما تميـــز ذلك القـــــرن **بالـــروح الإنكارية** ، فيقول " **الدكتور عبد الرحمن بدوي** " ثم تستمر المدنية "*في سيرها حتـــى تصل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى حالة من الـــشك والإنحلال ، فيها يطرح الناس ما كان لهم بالأمس من مُثل عليـــا : دينية وسياسية وفنية وأخلاقية ، وتصبح كل القيم المقدَّسة حتى ذلك الحين أوهاماً وأباطيل ، ولا يجدون بعد معنى للحياة ، وغاية لهـــم من الوجود ، ويشعرون بأنهم قد خُدعوا في كل القيم التي أتخـــذوها حتى الآن ، وينقلب هذا الشعور إلى يأس في كل شئ ، وإنكار لكل شئ ، فالشك إذاً والإنكار المطلق هو الطابع السائد لهـــذه الحالـــة ، ولذلك سُميت " الروح الإنكارية " وهذه الروح الإنكارية هي التـــي وصفها نيتشه وصفاً دقيقاً •• وبعد أن تم له هذا حمل عليها حملـــة*

---

[1] د• عبد الرحمن بدوي – نيتشه ص ١٢٩

شعواء " [1]٠

س٣٢ : كيف كانت نهاية نيتشه ؟ وما هي ثمار فلسفته ؟

ج : أمضى " **نيتشه** " نحو الأثنى عشر سنة الأخيرة من حياته في خلل عقلي ، فبدأ هذه المرحلة في يناير ١٨٨٩م ، وكان قبيل هذه الفترة يشعر أنه هو الإله " ديونسيوس " القادر على التأثير على العالم كله ، وأنه هو الفيلسوف الأكبر الذي سيُقسِّم التاريخ إلى ما قبله وما بعده ، وإزداد إنتاجه الفكري بدرجة كبيرة جداً ، فالكتاب لا يستغرق منه سوى عشرة أو خمسة عشر يوماً ، وتميزت كتبه بالهجوم الشرس كما هو واضح في كتابه " مسألة فاجنر " و " عدو المسيح " وفي فترة جنونه كان يبدو عليه السرور والإبتهاج ، فبعد أن كان يعاني من الوحدة ، وفقدان الأصدقاء ، والأمراض ، بدأ يشعر بأن الدنيا والناس يبتسمون له ، وفي ٢٢ ديسمبر ١٨٨٨م كتب إلى صديقه " **جاست** " يقول " *غنني أغنية جديدة ، أن العالم يتجلى نوره والسموات في نعيم* " ، وظل نيتشه في حالة الجنون هذه حتى موته في ٢٥ أغسطس ١٩٠٠م٠

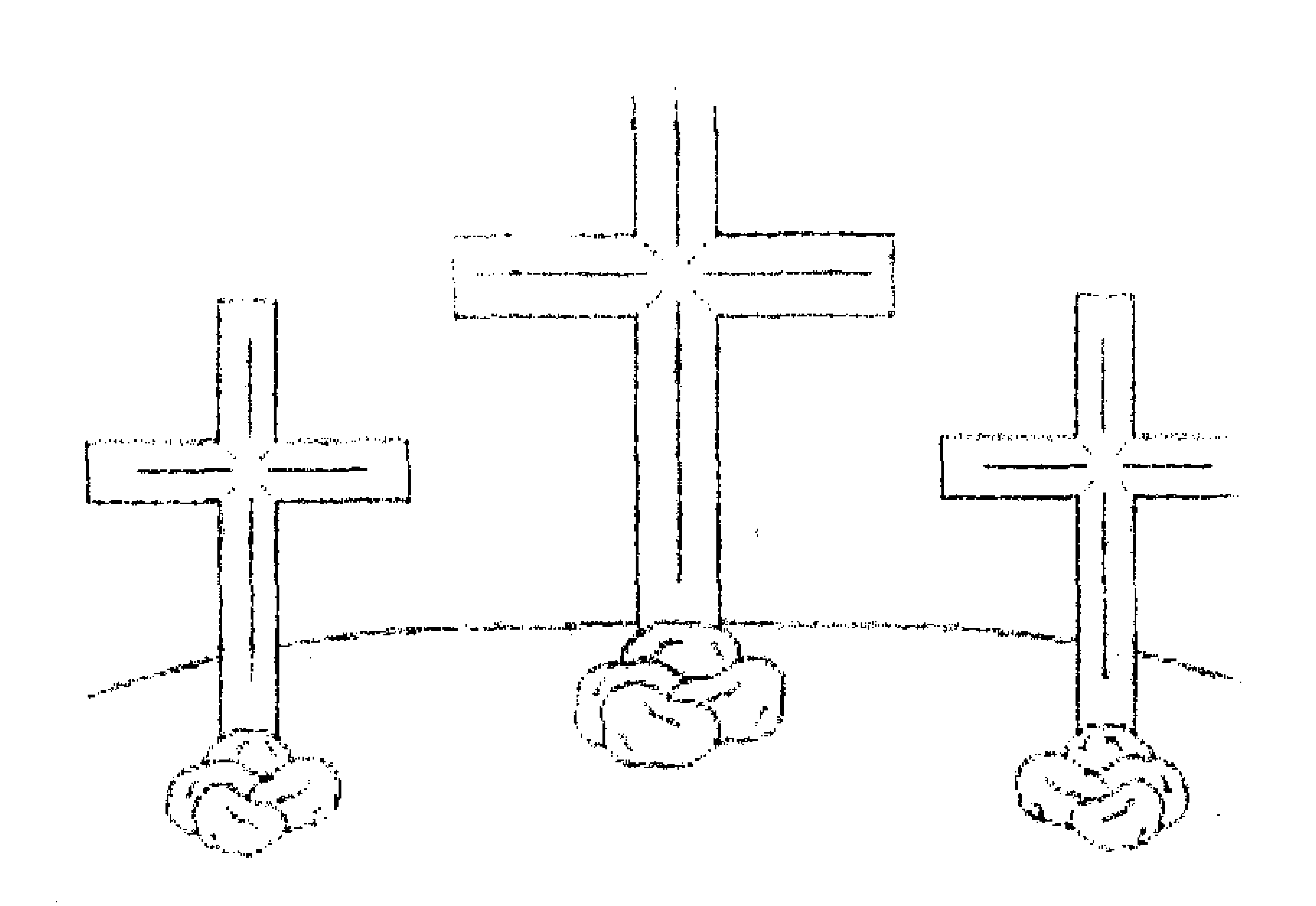
---

[1] د٠ عبد الرحمن بدوي – نيتشه ص ١٥٢

ومات " **نيتشه** " وأختلفت فيه الآراء ، فمنهم من رأى أنه رسول الحرب ، عدو السلام ، مُلهم الروح النازية ، معتمدين في هذا على كتاباته مثل " الإنسان الكامل " ، و " السوبرمان " ، ومنهم من دافع عنه قائلاً أن هذه النظرة التشائمية لنيتشه ترجع إلى أن الناس قرأوا عن نيتشه أكثر مما قرأوا لنيتشه ، فهم يعبرون عن أفكار الآخرين عنه ، وسخر منه " **برتراندراسل** " واصفاً إياه بأنه الإنسان الضعيف والسقيم الذي تراوده أحلام اليقظة ليتحوّل إلى مقاتل سوبرمان ، ومصدر دعوته للقوة والقسوة هو إحساسه بالضعف ، وترجع كراهيته للمرأة ودعوته لإستخدام السوط معها إلى إدراكه لضعفه ، وأنه يعرف أنه لن يستطيع السيطرة عليها ، **ويرى راسل أن فلسفة نيتشه التي تدعو للعنف والقسوة هي وراء الفاشية والنازية الألمانية** (راجع د٠ رمسيس عوض – ملحدون محدثون ومعاصرون ص ٢٢ ، ٢٣) ٠

ومن ثمار فلسفة نيتشه الإلحادية " **بونيتو موسوليني** " الإيطالي مؤسس الفاشية ، و " **هتلر** " مؤسس النازية ، فموسوليني كان يقول أن العلم قد أثبت أنه لا يوجد إله ، وأنه إن كان الله موجود فليميتني الآن ، والحقيقة أن الدين مجرد مرض نفسي ، والسيد المسيح كان جاهلاً ومجنوناً ، والمسيحية تشيع روح الجبن ،

والخنوع ، وأحياناً كان موسوليني يُظهر نفسه كأنه مازال مسيحياً متمسكاً بالمسيحية ، ففي عام ١٩٢٤م أرسل ثلاثة من أولاده ليحضروا القداس ويتناولون من الأسرار المقدَّسة ، وفي سنة ١٩٢٥م دخل الكنيسة مع زوجته التي تزوجها منذ عشر سنوات مدنياً ، وعقد قرانه دينياً على يد كاهن ، وفي سنة ١٩٢٩م أعترف البابا " **بيوس الحادي عشر** " بابا الفاتيكان بالحكم الفاشي لإيطاليا بزعامة " **بونيتو موسوليني** " • أما " **آدولف هتلر** " Adolf Hitler وما نتج عن سياسته النازية ، فلابد من فرد مساحة له في هذا البحث •



آدولف هتلر (١٨٨٩ – ١٩٤٥)



س٣٣ : كيف تأثر هتلر بمسقط رأسه ، وبنظرية التطوُّر ، وفكر نيتشه ؟ ولماذا أحرق اليهود ؟

ج : وُلِد " **أدولف ألويس هتلر** " في ٢٠ أبريل سنة ١٨٨٩ في بلدة " برادانو " أعلى النمسا وبالقرب من الحدود البافارية ، وهذه البلدة تفصل سياسياً بين شعبين من الألمان ، ولذلك لمع في ذهنه أنه من

الواجب عليه توحيد الشعوب الألمانية ، وهذا ما سعى إليه في حياته. وُلِد هتلر من أبوين كاثوليكيّين ، هما " **الويس هتلر** " و " **كلارا بولزل** " اللذان أنجبا ستة أبناء ، مات منهم أربعة وتبقى " **أدولف** "وأخته الصغرى " **باولا** " ، ولذلك كانت أمه تحبه حباً مفرطاً ، وقد أمضى " **هتلر** " طفولة مضطربة ، لأن أبيه كان عنيفاً في معاملته له ولأمه ، حتى أن " **هتلر** " قال فيما بعد " عقدت – حينئذ – *العزم على ألاّ أبكي مرة أخرى عندما ينهال عليَّ والدي بالسوط. وبعد ذلك بأيام ، سنحت لي الفرصة كي أضع إرادتي موضع الإختبار. أما والدتي ، فقد وقفت في رعب تحتمي وراء الباب. أما أنا فأخذت أحصي في صمت عدد الضربات التي كانت تنهال على مؤخرتي* ".

ودرس " **هتلر** " في مدرسة كاثوليكية ، وفي طفولته زار كنائس كاثوليكية ، وكانت أمنية الأب الذي يعمل موظفاً بسيطاً في مصلحة الجمارك أن يرى إبنه موظفاً في الحكومة ، ولكن ميول الأبن كانت تتجه بقوة نحو الفن (الرسم) ، وفي نحو الثالثة عشرة مات أبوه في يناير ١٩٠٣م ، وفي السادسة عشر ترك " **هتلر** " المدرسة الثانوية دون الحصول على شهادته. وفي نحو الثامنة عشر لحقته أمه التي أصيبت بالسرطان ، وكانت قد أُجريت لها

جراحة بإزالة أحد ثدييها ، ولم تعد تتحمل صعود السلم فأجر لها إبنها أدولف الذي كان يحبها جداً شقة بالطابق الأول ، وكان الطبيب المعالج لها يهودياً ، وربط " **جوشيم ريكر** " في كتابه " التاسع من نوفمبر – كيف قادت الحرب العالمية الأولى إلى المحرقة " بين هذا الطبيب اليهودي " **إدوارد بلوخ** " الذي حقن أم هتلر بمادة " ابودوفورم " وهي مادة خطرة ، وكانت تستعمل حينذاك لعلاج السرطان ، مما أدى إلى تسممها وموتها سنة ١٩٠٧م ولها من العمر ٤٧ عاماً ، وبين كراهية هتلر لليهود ، فقال " **هتلر** " أن اليهود جميعهم مرضى ، وعليه (على هتلر) أن يكون الطبيب المداوي.

وصار أدولف هتلر وحيداً بعد موت والديه ، ولم يكمل تعليمه الثانوي بعد ، فنزل إلى ساحة العمل ليكسب قوته ، وترك " برادناو " وإتجه إلى " فيينا " حتى يمكنه أن يعمل ويدرس في آن واحد ، فعكف على رسم المناظر الطبيعية والبيوت وبيعها إلى التجار والسائحين ، كما كانت الحكومة تصرف له راتباً ضئيلاً لأنه بلا عائل ، وقد رُفد مرتين من مدرسة فيينا للفنون الجميلة ، وتوقفت إعانته المالية من الحكومة ، فنزل ليعمل كعامل في البناء ، ومن ثمَّ عرف هتلر معنى الجوع والفقر والحرمان ، وفي عام

١٩٠٩م عاش " **هتلر** " في مأوى للمشردين ، وفي سنة ١٩١٠م أستقر في منزل يسكن فيه فقراء العمال ، والأوضاع المتردية للعمال جعلته يهتم بأخبار السياسة ، وتأثر بشخصية " **شنيرر** Schonerer صاحب فكرة الوحدة الجرمانية ، وأيضاً شخصية " **ليجر** " Luger عمدة فيينا ومؤسس الحزب المسيحي الإشتراكي ، وفي خلال عمله في أعمال البناء كان يدخل في مجادلات حول الماركسية ، وقد أقتنع تماماً أنها لا تُصلح الشعوب ولا تُسعِدها ، مما حدا بزملائه الماركسيين في العمل إلى محاولة التخلص منه بقذفه من أعلى المباني التي ينشئونها ، وفي عدة مرات أرغموه على ترك العمل ، ومن كثرة مساجلاته مع العمال فهم طريقة تفكيرهم ونفسيتهم ومزاجهم ، وتعلّم كيف يملك زمام الحديث معهم ، وكيف يقنعهم بأفكاره ، وأدرك أن العامل الألماني ليس منحط النفس ، بخس المعدن ، ماركسي النزعة ، ولكنه وقع فريسة للدعاية للماركسية .

وفي أبريل ١٩١٤م ترك " **آدولف هتلر** " فيينا وإتجه إلى ميونخ عاصمة بافاريا ، ومركز الفنون ، فذهب ليحقق رغبته في ممارسة الفن من جانب ، ومن جانب آخر يتفادى التجنيد الإجباري ، ومع هذا تم القبض عليه من قبل الجيش النمساوي ،

ولكنه أُعفي من الخدمة العسكرية لعدم لياقته الطبية ، وفي أغسطس من نفس العام أُعلنت الحرب العالمية الأولى فتطوَّع في الفرقة السادسة عشرة بالجيش الألماني ، وعمل كساعي بريد ، وهو عمل غير مُحبَّب بسبب التعرض الكثير لنيران العدو ، وفي أكتوبر سافر مع فرقته إلى ميدان القتال وهو يشعر أنه محظوظ أن يخدم في الجيش الألماني الذي يعتبر المثل الأعلى للوحدة الألمانية ، وكتب في كتابه " كفاحي " يقول أنني عندما سمعتُ خبر إعلان الحرب العالمية الأولى "*جثوت على ركبتي وشكرت السماء من كل قلبي ، والتي جعلتني أعيش في الزمان الذي جعل فيه ما يحصل الآن* " [١] . صار هتلر جندياً شجاعاً مُطيعاً ، وحصل على وسام " الصليب الحديدي " من الدرجة الثانية سنة ١٩١٤م ، ومن الدرجة الأولى سنة ١٩١٨م غير أنه لم يُرقَّ ، لأنه أُجري له تحليلاً نفسيًّا فاتضح أنه مضطرب عقلياً وغير مؤهل لقيادة مجموعة من الجنود ، ثم أُصيب بشظية قنبلة إصابة بالغة فلزم المستشفى عدة شهور ، وبعد شفائه تطوَّع للخدمة العسكرية مرة ثانية وبقي فيها حتى سنة ١٩١٨م ، ولكن أُصيب مرة ثانية بغاز الفوسجين ، وكاد يفقد بصره فعاد إلى المستشفى ، وفي ٩ نوفمبر ١٩١٨م وُقِعت

---

[١] ريتشارد دوكنز – وهم الإله ص ١٢٧

" معاهدة فرساي " التي حملت ألمانيا مسئولية الحرب ، وأرغمتها على دفع تعويضات للمتضررين ، وأعادت بولندا للوجود ، فكان هذا بمثابة هزيمة ساحقة للشعب الألماني زلزلت كيان آدولف هتلر الذي كان يعتقد أن الجيش الألماني لا يُهزم ، فقد كان " **هتلر** " متحمساً أشد الحماس للدفاع عن ألمانيا ، بالرغم من أنه لم يصبح مواطناً ألمانياً حتى سنة ١٩٣٢م وألقى باللوم على الساسة ، ومن هذا اليوم عزم على النزول لميدان الكفاح السياسي.

كما تأثر " هتلر " بنظرية داروين ، فشجع فكرة الصراع بين الأجناس مقتنعاً بأن البقاء للأصلح ، حتى أنه طالب بإبادة الضعفاء حتى يكون المجتمع أصح وأفضل وأقوى مما هو عليه ، وأيضاً طالب بإعدام السلالات الضعيفة من البشر وإستيلاد سلالات قوية ، ويقول المؤرخ " **هيكمان** " عن هتلر : "*لقد كان مؤمناً راسخاً بالتطوُّر ومبشراً به ، وأيًّا كانت عقده النفسية الأعمق والأغوص ، فأنه من المؤكد أن (فكرة الصراع كانت مهمة بالنسبة له) لأن في كتاب " كفاحي " Mein Kampt بيِّن بوضوح عدداً من الأفكار التطوُّريَّة ، وخاصة تلك التي تؤكد على الصراع ،*

والبقاء للأصلح ، وإبادة الضعفاء لإنتاج مجتمع أفضل " [1].

وقد تشبَّع " **هتلر** " **بفكر** " **نيتشه** " الذي ركز كل إهتمامه وكتاباته في مقولة " **لقد مات الله** " مع الإشادة بفكرة " **الإنسان السوبرمان** " ، وأقتنع هتلر بالإنسان السوبرمان ، فراح يشعل العالم كله من خلال الحرب العالمية الثانية ، وهو غارق في أحلام العظمة والسوبرمان ، وتأكد للجميع أن فلسفة نيتشه التي تدعو للقسوة والعنف هي وراء النازية.

وتأثر أيضاً " **هتلر** " بما كتبه " **مارتن لوثر** " من دراسة بعنوان " عن اليهود وأكاذيبهم " وكراهية لوثر لليهود ، ووصفه إياهم بذرية الأفاعي ، وكتب " **فيلهلم روبك** " عقب " الهولوكوست " يقول " *مما لا شك فيه أن مذهب مارتن لوثر كان له تأثير على التاريخ السياسي والروحي والإجتماعي في ألمانيا* " ، وفي سنة ١٩٢٣م قال " **هتلر** " في خطابه في ميونخ "*أول ما يجب أن نفعله هو أن ننقذ ألمانيا من اليهود الذين يخربون بلادنا .. علينا أن نحمي بلادنا من المعاناة التي عاناها الذي مات على الصليب* " [2] وكره " **هتلر** " اليهود ، فعندما كان في فيينا كان هناك جالية كبيرة

---

(١) أورده هارون يحيى – خديعة التطوُّر ص ١١
(٢) ريتشارد دوكنز – وهم الإله ص ١٢٧

من اليهود ، وأعتبرهم " **هتلر** " أنهم أعداء الجنس الاري ، وألقى اللوم عليهم في هزيمة الجيش الألماني في الحرب العالمية الأولى ، وأتهمهم بأنهم السبب في المشكلات الإقتصادية التي تعاني منها ألمانيا ، وأنهم حطموا آمال ألمانيا التوسعية ، **ولم يتورع عن حرق الملايين منهم ، ولم يرحم حتى النساء والأطفال منهم .**

ويقول " **جون تولاند** " في كتابه " **آدولف هتلر** : سيرة الحياة الأكيدة " : *"لازال (هتلر) عضواً مميزاً في كنيسة الروم الكاثوليك ، وعلى الرغم من كرهه للقائمين عليها ، فأنه لا يزال يحمل تعاليمها عن أن اليهود هم قتلة الإله ، ولذلك كان القضاء عليهم ممكناً بدون أي تفكير ضميري ، ومن مبدأ كونه اليد التي تنتقم لله ، وبذلك يتم الموضوع كما لو أنه ليس شخصياً وليس فيه أي ظلم* " [1]. وهكذا تعفي النازية الإنسان من المسئولية الأخلاقية ، وتجرده من الشعوب بالذنب . **كما قيل عن** " **هتلر** " **أنه كان ضد المسيحية** ، ففي سنة ١٩٤١م سجل سكرتيره الخاص أن " **هتلر** " أوضح *"أن الضربة الأقوى التي أصابت الإنسانية هي قيام المسيحية . المسيحية هي الطفل الغير الشرعي للبلشفية ، وكلاهما*

---

[1] ريتشارد دوكنز – وهم الإله ص ١٢٧

من إختراع اليهود. إن الكذبة المدبّرة فيما يختص بالدين هـي مـا قدمته المسيحية للعالم .. إن السبب الحقيقي في كون العالم القـديم نقيًّا وصادقاً ومضيئاً هي أنهم لم يعرفوا السـوطين الرئيـسيين .. الطاعون والمسيحية " (١).

س٣٤ : كيف جر أدولف هتلر العالم كله إلى ويلات الحـرب العالمية الثانية ؟

ج : بعد الهزيمة الساحقة للقوات الألمانية فـي الحـرب العالميـة الأولى ، كان لابد للألمان من البحث عن كبش فداء ، فكان كـبش الفداء هم اليهود والشيوعيين والساسة ، وصار " **هتلر** " يخطب في الجنود ويحرضهم على كراهية اليهود ، وقد تدرب " **هتلر** " علـى فن الخطابة ، حتى صار خطيباً مفوّهاً يأخـذ بألبـاب ومـشاعر سامعيه ، وكان يضرب بيده على المنصة ، وهو يحدث الناس بمـا يريدون أن يسمعوا منه مثل الخيانة التي أدت لإستسلام ألمانيا فـي الحرب العالمية الأولى ، والخطة اليهودية الماركسية لغزو العـالم. وفي سنة ١٩١٩م ألتحق " **هتلر** " بحزب العمال الألمان الـوطني ،

---

(١) ريتشارد دوكنز – وهم الإله ص ١٢٨

وفي مذكرة كتبها لرئيسه حينذاك قال فيها " يجب *أن نقضي على الحقوق المتاحة لليهود بصورة قانونية مما سيؤدي إلى إزالتهم من حولنا بلا رجعة* " وفي السنة التالية تم تسريح " **هتلر** " من الجيش وتفرغ للعمل في الحزب ، وتدرج فيه ، حتى صار رئيساً له ، وغير إسمه إلى " **حزب العمال الألمان الإشتراكي الوطني** " وتم إختصار الأسم في كلمة واحدة ، وهي كلمة " **نازي** " وأتخذ الحزب الصليب المعكوف شعاراً له ، وصارت التحية الرومانية بمد الذراع للأمام هي تحية رجال الحزب ، وقامت الأجهزة الإعلانية بالحزب بالترويج لهتلر مبعوث العناية الإلهيَّة الذي سينقذ ألمانيا من الكساد الإقتصادي ، ومن الحركات الشيوعية ، ومن الخطر اليهودي ، فاقتنع الألمان بهذا ، ولاسميا أن البوليس السري " جيستابو " مع معسكرات التهجير والإبادة قد أشاعوا الرعب في قلوب الجميع ، وسحر " **هتلر** " شعبه بفكرة الرسالة. وأذاب إرادة الفرد في إرادة الجماعة ، وأذاب إرادة الجماعة في إرادة التاريخ ، فأظهر لشعبه أنهم الضحية البريئة للدول الأخرى ، ولأن " **هتلر** " كان من أسرة متواضعة كان يخفي نشأته وأصوله قائلاً لا أحد يعرف من أين جئتُ ؟ ولكنني جئتُ لأنقذ الأمة الألمانية ، وأجاد " **هتلر** " فمن الخطابة أمام الحشود الكبيرة ، ففي فبراير سنة ١٩٢١م خطب في

ميونخ أمام حشد يضم ستة آلاف فـرد ، وجـاءت خُطبـه دائمـاً مناهضة للماركسيين ولليهود٠ هـذه الكراهيـة المتأصـلة لليهـود تطوَّرت فيما بعد سنة ١٩٤١م إلى عمليات إبادة جماعية عن طريق التسمم بالغاز ، ثم حرق الجثث في معسكرات الإعتقال ، حتى أباد " **هتلر** " ستة ملايين شخص يهودي٠

وفي ٢ أغسطس سنة ١٩٣٤م مات " **باول فون هيندنبرج** " رئيس الدولة الألمانية ، فخلَّفه " **هتلـر** " بالإضـافة إلـى عملـه الأساسي كمستشار لألمانيا ، وفي السنة التالية مباشرة بدأ " **هتلـر** " يتخذ الإجراءات التعسفية الشديدة مع اليهود ، فحـرمهم مـن حـق المواطنة الألمانية ، وفصلهم من الأعمال الحكومية ، وأمر بتمييزهم بأن يضع كل واحد منهم نجمة صفراء على ملابسه ، فأسرع بعض اليهود بمغادرة ألمانيا ، فوصل عدد من غادروها ١٨٠ ألف يهودي ألماني٠ أما بقية اليهود فكم ندموا لأنهم لم يتركوا ألمانيا مع أخوتهم الذين تركوها٠

وإستطاع " **هتلر** " بحكمة النازي القوي أن يخطو خطوات واسعة تجاه الإنتعاش الإقتصادي والنهضة بالصناعات الألمانيـة ، حتى أنه لم يكن هناك مواطن ألماني بلا عمـل ، وجـدَّد خطـوط

السكك الحديدية ، وأهتم بالطرق السريعة التي تسير عليها المركبات ، وأقام عشرات الجسور لسهولة الربط بين شبكة المواصلات ، كما أهتمت حكومة " **هتلر** " بفن العمارة على نطاق واسع ، وفي سنة ١٩٣٦م قامت " برلين " بإستضافة دورة الألعاب الأوليمبية الصيفية التي أفتتحها " **هتلر** " ، ووُضعت أناشيدها وألحانها التي تُظهر تفوق الجنس الآري على جميع الأجناس الأخرى ، مما رفع من شعبية " **هتلر** " إلى عنان السماء.

وفي أكتوبر سنة ١٩٣٦م تحالف هتلر مع " **بينيتو موسوليني** " حاكم إيطاليا الفاشستي ، ثم ضم معه اليابان ، وهنغاريا ، ورومانيا ، وبلغاريا ، وفي نوفمبر سنة ١٩٣٧م عقد " **هتلر** " إجتماعاً سريًّا مع مستشاريه ، وأفصح لهم عن رغبته في توسيع رقعة ألمانيا الجغرافية ، وطالب بوضع خطة سرية لهذا التوسع ، لا يُعلن عنها ، وضغط " **هتلر** " على النمسا لتتحد معه ، ورغم أن بريطانيا بذلت مساعي جادة لإخماد شعلة الحرب التي يسعى إليها " **هتلر** " بكل قوته ، فإن " **هتلر** " كان مصراً على موقفه في تكوين إمبراطورية ألمانية تمثل القوة الأولى في العالم ، ولهذا أعتبر بريطانيا العدو الأول له بدلاً من الإتحاد السوفيتي ، ووضع خطة لتطوير القوات البحرية والجوية بخطوات واسعة

بهدف سحق البحرية الملكية البريطانية ، وإبادة المدن وسفن الشحن البريطانية ، وأطلق " **هتلر** " حملة دعائية ضخمة ضد بريطانيا التي تقمع إنتفاضة العرب في فلسطين ، وسياستها في الهند متهماً إياها بالنفاق ، مقابل الحفاظ على إمبراطوريتها ، وفي يناير سنة ١٩٣٩م **أصدر " هتلر " أوامره بقتل جميع الأطفال المعاقين الذين يولدون في ألمانيا تحت مُسمى " برنامج القتل الرحيم "** ، وفي نفس الشهر ألقى خطابه الشهير المعروف بخطاب النبوؤة ، والذي قال فيه بأنه في الماضي عندما تنبأ بأنه سيصل إلى السلطة "*كان اليهود هم أول من قابل نبوءاتي بقدر من السخرية خاصة عندما صرحت بأنني سأتولى زعامة الدولة في يوم من الأيام ، وزعامة الأمة بأسرها ، وأنني سأتمكن حينها من تسوية مشكلة اليهود وأقوم بالكثير من الأمور الأخرى ، وكانت ضحكاتهم صاخبة* " ثم أطلق " **هتلر** " " **نبوؤة أخرى** " مهدداً اليهود بأنه لو نجحت القوى الألمانية اليهودية خارج أوربا لإقحام الأمم في حرب عالمية جديدة ، فإن هذا سيكون بمثابة إهلاك العرق اليهودي في أوربا ، فقد كان " **هتلر** " يبوح بآماله في القضاء على اليهود ، وهذا ما سعى إليه وبدأ في تنفيذه سنة ١٩٤١م .

وكان " **هتلر** " قد أعدَّ جيشه ، وبدأ في تنفيذ الخطة السرية بخطوات واسعة ، ففي مارس سنة ١٩٣٩م غزا تشيكوسلوفاكيا ووصل للعاصمة التشيكية " **براغ** " ، وبعد نحو خمسة أشهر أراد أن يُحيّد الإتحاد السوفيتي ويُخرجه من الساحة ، فعقد مع " **ستالين** " معاهدة " **عدم الإعتداء** " في أغسطس ١٩٣٩م ، فلا يعتدي أحدهما على الآخر ، وكان من البنود السرية لهذه المعاهدة الإتفاق على تقسيم بولندا بينهما ، ومع بداية سبتمبر قام " **هتلر** " بغزو بولندا بدون حرب ، لأنه عرف بالتجسس المكان البديل للحكومة والقيادات البولندية ساعة نشوب الحرب ، فسيطر على هذا المكان ، فسقطت بولندا في يده بدون حرب ، فلم يجد الإنجليز والفرنسيين بداً من إعلان الحرب على ألمانيا وتوسعاتها غير المشروعة ، أما " **هتلر** " فلم يتوقف عند حد ، ففي شهر أبريل سنة ١٩٤٠م غزا كل من الدنمارك والنرويج ، وفي شهر مايو هاجم هولندا وبلجيكا وحارب فرنسا، التي ما لبست أن إنهارت أمام القوات الألمانية خلال ستة أسابيع فقط ، وهاجمت القوات الألمانية الجوية القواعد الجوية ومحطات الرادار البريطانية ، ولكنها فشلت في هزيمتها ، فأخذت تقصف المدن البريطانية ليلاً. وفي أبريل سنة ١٩٤١م قام " **هتلر** " بغزو يوغوسلافيا واليونان ، وفي ذات

الوقت كانت القوات الألمانية في شمال أفريقيا بقيادة المارشال " **أروين روميل** " قد كبدت القوات البريطانية خسائر فادحة ، حتى أنها أسرت منهم في طبرق ثمانية وعشرين ألف جندي ، مما دعى القوات البريطانية لمواصلة إنسحاباتها حتى إلى العلمين ، وخندقت فيها ، وبدأت الإمدادات الأمريكية تتدفق عليها من البحر ، دبابات ومدافع وطائرات بلا حصر ، بل وإمدادات بشرية أيضاً من فرنسا وأمريكا وروسيا واليونان ونيوزيلندا وإستراليا وتركيا والهند وجنوب أفريقيا ، فكل هؤلاء يسعون إلى تفشيل خطة القوات الألمانية التي تسعى للوصول إلى قناة السويس والشرق الأوسط.

وفي غمرة هذه الإنتصارات المذهلة التي حققتها ألمانيا ، نقض " **هتلر** " معاهدة عدم الإعتداء " التي عقدها مع " **ستالين** " ، ففي يونيو سنة ١٩٤١م قام ثلاثة ملايين جندي ألماني بمهاجمة الأراضي الروسية في أوروبا ، تمهيداً لخطة أوسع لإخضاع العالم للإمبراطورية الألمانية ، ولم يُقابل الألمان مقاومة تذكر ، لأن " **ستالين** " كان قد أعدم عدد ضخم جداً من جنرالات الجيش ، وأستولت ألمانيا على دول البلطيق وروسيا البيضاء وأوكرانيا وخرجت المظاهرات في أنحاء روسيا تهتف للقوات الألمانية ، وتنظر إليها على أنها المخلص الذي سينقذها من قبضة " **ستالين** "

والشيوعية ، أما القوات الألمانية التي لا ترحم فقد دخلت القرى الروسية وأحرقتها بكل ما فيها ومن فيها ، حتى أن الإتحاد السوفيتي بلغت خسائره خلال الحرب العالمية الثانية من نحو ٢١ إلى ٢٨ مليون شخص ، وبينما كانت تمثل القوات الألمانية تهديداً قوياً لموسكو حلَّ فصل الشتاء القاسي فتوقف القتال الألماني ، على أمل إستمرار الزحف إلى موسكو ، وكان " **هتلر** " واثقاً من هذه الخطوة القادمة ، حتى أنه عندما سأله " **هيترش هيلمر** " : "*ماذا سنفعل مع يهود روسيا ؟* " أجابه " **هتلر** " : "*قم بإبادتهم على أنهم أعضاء القوات غير النظامية التي تزعج القوات الألمانية المحتلة بشن الغارات المتكرِّرة عليها* " وتم تسجيل هذا في دفتر المقابلات.

ونجح " **ستالين** " في شحذ همم الجيش الروسي والشعب الروسي للدفاع عن وطنه ، ومع بداية الصيف أشتعلت نيران الحرب الألمانية الروسية ، وبعد ستة أيام من إقتراب القوات النازية من موسكو ، ومرور أربعة أيام على ضرب القوات اليابانية للأسطول الأمريكي في ميناء " بيرل هاربور " في هاواي ، أعلن " **هتلر** " الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية في ١١ ديسمبر ١٩٤١م ، ولكن نتائج معركة ستالينجراد حيث حطمت القوات الروسية الجيش السادس الألماني ، قلب الموازين رأساً على عقب.

لقد نجحت القوات الروسية في إلحاق الهزيمة الأولى للقوات الألمانية ، ولم تكتفي القوات الروسية بتحرير أراضيها من الألمان ، إنما زحفت تجاه الأراضي الألمانية.

وأيضاً ما حطم آمال " **هتلر** " هو نتائج معركة العلمين ، فبعد أن كاد " **روميل** " يعبر إلى مصر عندما نجح في فتح ثغرة في قوات التحالف ، وتسرّع وأعلن إنتصاره على الحلفاء وأن قواته في طريقها إلى وادي النيل ، جاءت المعركة الفاصلة في ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢م إذ أغارت ألف طائرة من طائرات الحلفاء على الطائرات الألمانية ، ولم يكن هناك غير ٥٥٠ طائرة ألمانية تحط في المطارات ومعظمها معطل ولا وقود لها ، وفي ٢ نوفمبر ١٩٤٢م كانت معركة الدبابات الفاصلة أيضاً حيث تحطمت ٢٦٠ دبابة ألمانية وإيطالية ، ونجح " **روميل** " في الإنسحاب المنظم مستخدماً وسائل النقل المتاحة ، بينما سقطت القوات الإيطالية في الأسر ، وبهذا فشلت القوات الألمانية في الوصول إلى قناة السويس والشرق الأوسط.

وفي سنة ١٩٤٣م تم الإطاحة بـ " **موسوليني** " حليف " **هتلر** " ، وفي ٦ يونيو ١٩٤٤م وصلت القوات البريطانية إلى الشواطئ الشمالية الفرنسية ، وفي نفس اليوم تمت عملية إنزال

جيوش الحلفاء الغربيون في شمال فرنسا ، وكانت هذه العملية من أكبر العمليات البرمائية التي حدثت في تاريخ العسكرية ، وشعر القادة الألمان أن الهزيمة على الأبواب ، فقرروا الخلاص من " **هتلر** " ، فقام " **كلاوس فون** " بزرع قنبلة في مركز قيادة " **هتلر** " والذي عُرف بوكر الذئب ، ونجا " **هتلر** " من الموت بأعجوبة ، وكان رد فعله شديداً إذ **أصدر حكم بإعدام أكثر من ٤٩٠٠ شخص ، وذلك عن طريق التجويع في الحبس الإنفرادي ثم الإختناق البطئ ، فهذه هي ثمرة أفكار " نيتشه " الإلحادية** ، وإستمر " **هتلر** " في عناده وإستخفافه بالحقائق العسكرية ، وظل مستمراً في إحراق اليهود.

وفي ديسمبر ١٩٤٤م تمكنت قوات الحلفاء من الوصول إلى نهر الراين ، وفي أبريل ١٩٤٥م هاجمت القوات الروسية ضواحي برلين ، وكان معاوني " **هتلر** " قد هربوا إلى بافاريا والنمسا ، فأمر " **هتلر** " بتدمير كل شئ ، المصانع الحربية ، والمنشآت العسكرية ، وخطوط المواصلات والإتصالات .. إلخ وفي وصية عيَّن " **هيتريك هيلمر** " مستشاراً لألمانيا عوضاً عنه ، وفي أبريل سنة ١٩٤٥م كان " **هتلر** " في قبو من أقبية برلين فأنتحر وأنتحرت معه عشيقته " **إيفا براون** " التي تزوجها في اليوم

السابق ، وقام " **أوتوجونش** " وبعض الضباط المعـاونين بـسكب البنزين على الجثتين وإحراقهما .

وبسبب تجرأ اليابان علـى تحطـيم الأسـطول البحـري الأمريكي تجرأت أمريكا وأستخدمت لأول مرة الـسلاح النـووي ، فألقت بقنبلتين على اليابان ، الأولى في ٦ أغطـس ١٩٤٥م علـى هيروشيما ، والثانية في ٩ أغسطس من نفس العام على نجازاكي ، وعندما أنفجرت قنبلة هيروشيما على إرتفاع ٦٠٠ متر من الأرض ظهر مكان الإنفجار كرة نارية أخذت في الإتساع ، ووصلت درجة حرارتها إلى ملايين الدرجات المئوية ، وكأنها قطعة من الـشمس سقطت على الأرض ، وأحدث الإنفجار موجة شديدة من الـضغط الذي حطم مباني المدينة ، فصارت المدينة خراباً وضاعت معالمها في لحظات ، ووصل عـدد القتلـى لعـشرات الآلاف ، فالطاقـة التفجيرية للقنبلة الذرية تغطي مساحة تتراوح من ١٥ – ١٠٠ كـم٢ وفقاً لحجم القنبلة ، وذلك خلال ثلاث دقائق ، ووصل عـدد القتلـى في هيروشيما إلـى ٨٠ ألف والجرحى ١٠٠ ألف والمشردين ٢٠٠ ألف ، وفي نجازاكي بلغ عدد القتلى عشرة آلاف والجرحى ٢٠ ألفاً والمشردين ٩٠ ألفاً ، بالإضافة إلى ما أحدثته القنبلتان من تأثير سئ على البيئة (راجـع مجلة العلم عدد ٢٧٧ – أكتـوبر ١٩٩٩ ص

٣٢ ، ٣٣) وأنتهت الحرب العالمية الثانية التي تسبب فيها " **هتلر** " بفكره النازي ، وبفضل ما تشبع به من أفكار " **نيتشه** " ، وقد خلفت وراءها نحو ٦٠ مليون قتيل .

٨- ماوتسي تونج (١٨٩٣ – ١٨٧٦م)



س٣٥ : كيف كانت حياة " ماو " ؟ وكيف جرَّت " الماوية " الشيوعية الويلات على شعب الصين ؟

ج : وُلِد " **ماو** " في ٢٦ ديسمبر ١٨٩٣م بقرية " شوشان " من إقليم " هونان " بالصين ، من أب فلاح ميسور ، وأم بوذية ، ومنذ طفولته وهو يتميز بالعناد والتمرد والفوضوية ، وظل هكذا طوال حياته ، وكان " **ماو** " هو الأبن الثالث الذي عاش بعد أن مات كل من شقيقاه عقب ولادتهما ، وأُضيف إلى إسمه " **تسي تونج** " أي " الذي يتألق على الشروق " ، فصار إسمه " **ماوتسي تونج** " ، وعُرِف بإسم " **ماو** " ، وكانت أمه وديعة متسامحة ، فأحبها كثيراً وقال أنها لم ترفع صوتها في وجهه قط ، وظل طوال حياته يتحدث عنها بحنان ، وعاش طفولته يدرس ، ويعمل قليلاً في الزراعة ، وبسبب عناده طُرد ثلاث مرات من المدرسة ، فكان والده يضربه ، وفي إحدى المرات أنَّبه والده أمام ضيوفه ، ويقول " **ماو** " : *" فوصفني بأنني كسول وبلا فائدة . فتعصبتُ كثيراً ولعنته وتركتُ المنزل ، فلعنني هو أيضاً والحق بي ، فوقفت على حافة جسر وهدَّدتُ بالقفز إذا أقترب أكثر ، فتراجع. إن العجائز أمثاله لا يريدون أن يفقدوا أبناءهم ، تلك نقطة ضعفهم ، وقد أستغللتها "* وكان يكره والده ، حتى أنه كان يقول للجلادين الذين يتولون تعذيب خصومه السياسيين *" لقد كان أبي سيئاً ، ولو كان حيَّاً الآن لوجب قتله "* . وكان لدى " **ماو** " رغبة جامحة في القراءة ، حتى أنه

عندما حكم الصين كان نصف سريره المتسع يمتلئ دائماً بالكتب ، والنصف الآخر بالفتيات.

وكانت الصين خاضعة للدول الكبرى مثل بريطانيا وأمريكا ، وقد أغرقت بريطانيا الصين بالأفيون ، مما نشب عنه حرب الأفيون ، وبينما كان " **ماو** " في الثامنة عشر شبت الثورة ضد " **تشينغ** " ، وبعد عدة شهور أنتهت الملكية تماماً ، وأُعلنت " جمهورية الصين " التي عاشت في فوضى ولم تعرف الإستقرار حتى سنة ١٩٤٩م عندما إعتلى " **ماو** " السلطة.

وكان " **ماو** " قد أراد أن يصبح أستاذاً فدخل جامعة بكين سنة ١٩١٩م ، وهناك إعتنق الشيوعية ودرس الماركسية وأقتنع بها حتى صار ماركسياً متعصباً ، وفي سنة ١٩٢١م أسَّس مع أحد عشر شخصاً آخرين الحزب الشيوعي في شنغهاي ، وبينما أعتمد ماركس على العمال في دعوته ، تغير فكر " **ماو** " سنة ١٩٢٥م وصار يعتمد بالأكثر على الفلاحين ، وطوَّر الشيوعية إلى مفهوم جديد نسبه لنفسه ، فدُعي بـ " **الماوية** " وهي مزيج من شيوعية لينين وماركس ، وسعى للتحالف مع الإتحاد السوفيتي ، وأهتم بالفلاحين والتنمية الزراعية.

وفي سنة ١٩٢٧م تعرض " **ماو** " مع الشيوعيين للإضطهاد من الجيوش القومية بقيادة " **شيانج كاي** " الذي كان يقتل الشيوعيين ، فهرب " **ماو** " مع زملائه للجبال على حدود " هيزان " وشكّلوا أول حكومة صينية سوفيتية ترتكز على الفلاحين ، وفي سنة ١٩٣٤م عندما هاجم القوميون " سوفت هيوان – كيا نجسي " أضطر مائة ألف رجل وإمرأة وطفل للهرب إلى الحدود الغربية للبلاد ، فقطعوا رحلة ٦٠٠٠ ميل في عام ، وعبروا خلالها على ١٢ مقاطعة ، ٢٤ نهراً ، وسلاسل جبلية ، وغابات كثيفة ، وصحاري مهجورة ، فمات معظمهم ولم ينجو منهم إلاَّ ٢٠٠٠٠ نفس.

وبعد إغتيال القادة الشيوعيين لم يبقَ إلاَّ " **ماو** " الذي وضع خطة بطيئة للسيطرة على الحكم ، وأنتظر حتى سنة ١٩٤٧م حيث بدأ بالتحرك لقلب نظام الحكم ، وفي سنة ١٩٤٩م أنتصرت القوات الشيوعية ، وكانت البلاد قد أنهكتها الحروب ووصلت لحالة شديدة من الفقر والتخلف ، وكان " **ماو** " في السادسة والخمسين من عمره ، فتولى السلطة ، وأحكم قبضته على الصين ، وقتل عدداً كبيراً من أعداء الثورة.

وحاول " **ماو** " أن يلحق بركب الحضارة ، فاهتم بـالتعليم والصحة والتصنيع ، وحوّل النظام الرأسمالي إلى نظام إشـتراكي ، وأستخدم أجهزة الدعاية ، فبعد أن كان الصينيون يقدّسـون الآبـاء والأجداد منذ آلاف السنين ، أخذوا يقدّسون الوطن ، ووضع " **ماو** " مشروع " **القفزة الكبرى** " الذي يرتكز على الصناعات الصغيرة في الحقول والقرى ، وأجبر ملايين العمال والفلاحيين على العمل فـي هذا المشروع بمعدل سريع ، ولم يستطع الشعب أن يواكـب هـذا المشروع الذي تعرَّض للإنهيار ، وإضطر " **ماو** " لشراء القمح من الدول الرأسمالية ليطعم شعبه ، وعندما قـرَّرت روسـيا التعـايش السلمي مع الولايات المتحدة هاجم " **ماو** " القادة الروس لأنهـم لـم يخلصوا لفكر لينين الماركسي الذي يدعو لتدمير الرأسمالية .

وفي سنة ١٩٦٦م أشعل " **ماو** " ما أسماه **بالثورة الثقافيـة** بهدف سحق المعارضة ، فتجمع في بكين أكثر من مليون شاب من أعضاء الحرس الأحمر تحت شـعار " **العـصيان حـق** " وكانـت أعمارهم تتراوح بين ١٥ – ١٩ سنة ، وبتحـريض مـن " **مـاو** " أخذوا يفتشون لدى أي شخص مهما علت مرتبته عن أيـة أثـار أو دلائل يُستشف منها ميوله للغرب ، وضبط كل شخص يشتم منه أنه غير مخلص للثورة أو خائن لمنهجها ، فتعرض الكثيرون لإهانـات

بالغة ، وعدد كبير من الذين يشغلون مواقع قيادية عليا زُفوا في مواكب كبيرة ، وعلى رأس كل منهم " طرطور " وعلى صدره لوحة كبيرة عُلقت بحبل يتدلى من رقبته ومكتوب عليها شعارات ثورية غاضبة ، فتحوّلت الأمور إلى فوضى ، وعمت الفوضى البلاد بسبب الثورة الثقافية ، التي سادت لمدة ثلاث سنوات ، حتى صارت البلاد على حافة حرب أهلية ، فتدخل " **ماو** " وأنهى هذه الثورة الفوضوية سنة ١٩٦٩م ، ويعتبر " **ماو** " أقوى رجل حكم مليار شخص لمدة ٢٥ سنة في الصين حتى قيل عنه أنه الرجل الأقوى خلال تاريخ الصين ، وكم قتل من أبناء شعبه !!

وكتب " **ريتشار وورمبلاند** " يقول "*يرتعب العالم اليوم عما يجري في شوارع الصين. فعلى مرأى من جميع الناس ينفذ الحارس الأحمر عمله الإرهابي . والآن تصوَّر ماذا يحدث لبعض المؤمنين في سجون شيوعية بعيداً عن أعين الناس. إن آخر الأخبار التي وردتنا من هناك هي أن أحد الكتاب الإنجيليين الصينيين المشهورين ، مع بعض المؤمنين الآخرين والذين رفضوا نكران إيمانهم ، قُطعت آذانهم ، وألسنتهم وأرجلهم أيضاً .. وفي الصين اليوم ، هناك موجة جديدة من البربرية تفوق في وحشيتها*

عهد ستالين . فقد تلاشت الحياة الكنسية العلنية هنــاك تمامــاً .. وبين بليون شخص في بلدان محكومة بالشيوعية وبأعمال الإرهاب والخديعة ، ينشأ الجيل الجديد بكراهية عظمى لكل ما هو غربــي ، خاصة الديانة المسيحية " [١].

أما عن زوجات " **ماو** " فقد تزوج لأول مــرة وهــو فــي الرابعة عشر من عمره بفتاة تكبره أربعة أعوام ، ثم تــزوج عــدة مرات ، فزوجته الثانيــة تعرضــت للقتــل علــى يــد القوميــون المتشددون ، والثالثة أصيبت بجرح أثناء المسيرة الكبرى ، والرابعة هي الممثلة " **شيانج شينج** " وقد أنجب منها خمسة أولاد وبنــات ، بالإضافة لعدد من الأولاد والبنات من الزوجات السابقات ، وقُتل له ولد في حرب كوبا ، وكــان أحــد أبناءه مُختل عقلياً ، أما رد فعل " **ماو** " فانصب على الكتب ، والنساء ، فكان له سرير متسع جــداً يحمله أينما ذهب ، حتى دعوه بالبساط السحري ، ويــزدحم علــى السرير الكتب ، وأيضاً بعض الفتيات التي يصل عددهن إلى خمسة أو ست فتيات ، وقد تواكبت الأمراض على " **ماوسي تونج** " مــن ١٩٧٢م وحتى موته سنة ١٩٧٦م .

---

[١] العذاب الأحمر ص ٨٤ ، ٨٩

٩- برتراند راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠م)



س٣٦ : ما الذي دفع راسل لفقدان إيمانه ، وإنتقاده للسيد المسيح ، ودعوته للإلحاد ؟

ج : وُلِد " **برتراند راسل** " سنة ١٨٧٢م من عائلة أرستقراطية في إنجلترا ، ومنذ عام ١٨٩٦م كان يصدر كتاباً كل عام وأحياناً كتابين ، بالإضافة إلى مقالاته العديدة بالمجلات ، وظل نشيطاً مُنتجاً حتى وفاته سنة ١٩٧٠م ، ولقيت مؤلفاته إقبالاً منقطع النظير ، وقد تُرجمت بعض كتبه إلى الألمانية ، فحتى عام ١٩٥٣م كان قد تُرجم له سبعة عشر كتاباً للغة الألمانية ، ففي عام ١٩١٠م أصدر كتابه " مبادئ الرياضة " وهو يعمل أستاذاً بجامعة كامبريدج ثم أتبع بثلاثة أجزاء أخرى ، وقالوا عنه أنه كان فيلسوفاً وضع كُتب عديدة عن دور العقل في الفلسفة مثل " مُجمل الفلسفة " و " تحليل العقل " و " المدخل إلى الفلسفة الرياضية " و " المنطق والمعرفة " و " المعرفة الإنسانية " و " مشاكل الفلسفة " و " تاريخ الفلسفة الغربية " .

وكان " **برتراند راسل** " مُفكراً إجتماعياً ومُصلحاً سياسياً ، فكان " **راسل** " عضواً في مجلس اللوردات ، فهو سليل اللوردات النبلاء ، وفي الحرب العالمية الأولى دافع عن شاب مسيحي مُجند رفض أن يحمل السلاح لأن عقيدته المسيحية تدعو للسلام ، ونشر دفاعه هذا فقامت المحكمة بتغريمه مائة جنيهاً ، وبعد ستة أشهر عندما أستخدمت الدولة قوات الجيش بدلاً من قوات الشرطة لقمع

إضراب العمال أحتج على هذا فحوكم وحُكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر ، وفي الحرب العالمية الأولى أيضاً نادى بالسلم ، لأن الحرب لن تحل مشاكل ألمانيا مع الدول الأخرى ، فجُرد من لقبه كلـــورد ، وعُزل من وظيفته كأستاذ بجامعة كامبردج.

وفي الحرب العالمية الثانية قاد " **راسل** " المظاهرات وأخذ يندد باستخدام السلاح الذري ، وفي ٩ يوليو ١٩٥٥م عقد مــؤتمراً صحفياً ، وعرض فيه نداءاً وقَّعه معه أعظم علماء العـــالم ومـــنهم صديقه **البرت أينشتاين** الذي سلم للبشرية مفاتيح الطاقة النوويـــة ، وهذا نص البيان "*نظراً لأن الأسلحة النووية ستستخدم لا محالة في أية حرب قادمة. ونظراً لأن هذه الأســـلحة تهـــدد بقـــاء الجـــنس البشري ، فنحن نهيـــب بحكومات العالم أن تـــدرك ، وأن تـــصرح علناً ، أن مراميها لا يمكن أن تخدمها حرب عالمية ، ونحن نهيـــب بها ، بناء على ذلك ، أن تجد الوسائل السلمية لتسوية كل ما بينهـــا من أسباب الخلاف* " [1]. **ودافع " راسل " عن الـــسلام العـــالمي** ، رأى أنه يستحق أي ثمن يُدفع لأجلـــه ، وفـــي كتابـــه " المجتمـــع لإنساني بين الأخلاق والـــسياسة " ألقـــى بـــاللوم علـــى الزعمـــاء

---

[1] أورده القمص بولس عطية بسليوس – دراسات في علم اللاهوت ص ٢٤١

السياسيين الذي يقنعون شعوبهم بأن دوافعهم خيرية ، وهم يعزفون على وتر الإنفعال ، تحت تأثير الموسيقى النحاسية ، وخطابة الرعاع ، وشنق الخصوم بلا مُحاكمة ، وخداع الجماهير ، وإلغاء دور العقل في حل المشكلات .

وأدان " **راسل** " **الصراع البروتستانتي الكاثوليكي الذي** شوَّه واجهة أوربا ، فجعلها قارة الإضطهاد قائلاً : "*طالما كان البروتستانت والكاثوليك يأملون في إبادة بعضهم بعضاً ، وصحيفة الأوربيين في هذا الصدد أشد سواداً من صحيفة المسلمين والهنود والصينيين ..* " [1] وفي سنة ١٩٥٠م نال " **برتراند راسل** " جائزة نوبل كصاحب فضل على الإنسانية ، وهذا دور مشكور قام به راسل وتحمَّل من أجله السجن ، والنفي إلى نيويورك .

وعندما كان " **راسل**" في سنة الثامنة عشر كان مؤمناً بوجود الله ، ولكن عندما قرأ سيرة حياة " **جون ستيوارت مل** " الذي تساءل : إن كان لكل سبب مُسبّب ، ولكل فعل فاعل ، ولكل حركة مُحرّك ، فمن الذي أوجد المُسبّب الأول والفاعل الأول والمُحرّك الأول ، لم يجد " **راسل** " جواباً لتساؤل ستيوارت ، وقال

(١) أورده القمص بولس عطية بسليوس – دراسات في علم اللاهوت ص ٢٤٤، ٢٤٥

في كتابه " **لماذا لستُ مسيحيًا** " أنه عندما كنتُ طفلاً كانوا يقدمون لي " الله " باعتباره إجابة على كل الأسئلة التي تُثار عن الوجــود ، ولكن عندما لم أجد إجابة عمن خلق الله إنهار إيماني جملــة ، ولــم يقبل " **راسل** " أن الله هو الكائن الوحيد الأزلي غيــر المخلــوق ، مكوّن الأكوان ، وهو علة وسبب كل شئ ، فهو الكائن بذاته ، وعلة جميع الموجودات.

إن ما أضاع " برتراند راسل " هو إعلاؤه للعقــل لدرجــة العبادة والتأليه ، فجعل العقل هو مقياس كل شئ من أخلاق وقــيم ومعتقدات وتقاليد وغرائز وسلوك وعواطف ومــصالح .. إلــخ ، وهذا ما حدا براسل إلى **رفض الإيمان لأنه فوق مستوى العقــل**. وفي ٦ مارس ١٩٢٧م ألقى " **راســل** " محاضرة بعنــوان " **لمــاذا لستُ مسيحياً** " في قاعة بلدية باترسي بأنجلترا ، وركز حديثه على **عدم إيمانه بالله الخالق ، وأنه لا يعترف بأن السيد المسيح أفــضل الشخصيات وأكثرهم حكمة**. وكتب أيضاً " **مقالات شكّاك** " بقــصد التشكيك في الإيمان المسيحي أيضاً ، وكتب " **الزواج والأخــلاق** " الذي نسف فيه مقدّسات الحياة الزوجية.

وقال " **راسل** " أن هناك سببين للإيمان بالله ، أولهما : أن الأطفال يرضعون هذا الإيمان من أمهاتهم ، وثانيهما : خوف الإنسان من المجهول ، وسعيه لقوة أعظم تحميه من المخاطر التي قد يتعرض لها ، وأن الخوف يوُلد القسوة ، ولذلك فإن القسوة تسير جنباً إلى جنب مع الدين ، فيرى " **راسل** " أن الدين مرض وليد الخوف ، ويقول "*أن الإنسان أستمد فكرة الإيمان بالله من نظم الطغيان والجبروت السائدة في الشرق ، فعلاقة الإنسان بالله أشبه ما تكون بعلاقة العبد الذليل بالحاكم المستبد ، وهي ذلة تأباها كل نفس تشعر بالمعزة والكرامة* " [١].

وقال " **راسل** " أيضاً أن الدين مبني على ثلاث دوافع وهي الخوف والكراهية والغرور ، وأتهم " **راسل** " الدين بأنه وراء التحيز والتعصب ، ونشوب الحروب ، ومحاكم التفتيش ، وإحراق الساحرات ، وقتل اللذة الجنسية ، كما هاجم عدم الطلاق في الكنيسة الكاثوليكية ، وبينما هاجم " **راسل** " الدين بشدة فأنه أعترف أن الدين هو الذي يعصم البشر من الرذيلة والذلل.

---

(١) د. رمسيس عوض – ملحدون محدثون معاصرون ص ٥٦

وأسّس برتراندراسل " **جامعة الرسل** " التي دعت للإلحاد ، وضم معه أثنين آخرين ، وهما " **جورج مور** " و " **جون الفيس ماك** " ، وكان " **جورج مور** " (١٨٥٢ - ١٩٣٣م) لا أدريًا ، فهو لا يدري إن كان الله موجوداً أو غير موجود ، ويقول : "*أنني كافر يعتقد أن الله غير موجود .. ويقدر ما أعتقد أنه لا يوجد دليل على وجوده ، فإني أعتقد كذلك أنه لا يوجد دليل على عدم وجوده. ومن ثمّ فإني لستُ مُلحداً بمعنى ما . إنني لا أنكر أن الله موجود ، فالمحاجات التي أسوقها هي لمجرد حث الناس على أنه لا يوجد ثمة أسباب للإعتقاد بوجوده .. إني لا أؤمن أن الله موجود ولكن في الوقت نفسه لا أؤمن بعدم وجوده. ليس هناك ذرة واحدة من دليل ينم عن أدنى إحتمال لوجود الله أو لعدم وجوده* " (١).

وهاجم " **برتراند راسل** " السيد المسيح تبارك إسمه ، فقال كما أن له فضائل فهو له نقائص أيضاً ، وأن مقوله المسيح " ***من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر أيضاً*** " سبق وقالها بوذا من قبله ، وأنه لا يوجد أي دليل تاريخي على أن المسيح كان موجوداً بالفعل (وهذا يثبت مدى جهل راسل بالتاريخ ، ولو نظر

---

(١) د. رمسيس عوض ـ ملحدوث محدثون ومعاصرون ص ٦٠ ، ٦١

لتاريخ اليوم الذي يعيشه لأدرك أن هذا التاريخ الذي يستخدمه العالم كله ، إنما هو تأريخ لميلاد السيد المسيح) وأوقع " **راسل** " اللوم على السيد المسيح لأنه أنذر الخطاة بنار الجحيم ، وقال : أنه لو كان شفوقاً ما كان يذهب إلى هذه القسوة البالغة ، وقارن " **راسل** " بين أسلوب سقراط الدمث مع معارضيه وأسلوب المسيح الذي يدفع بالخطاة إلى النار ، وقال : أن تكرار تهديد المسيح للخطاة بسعير جهنم، ينم عن تلذذه بمنظرهم وهم يكتوون بلظاها (ولم يستطع " **راسل** " أن يرى في إنذارات السيد المسيح صوت المحبة الأبوية التي تحذر الأبناء عاقبة العصيان) كما أنتقد السيد المسيح لأنه لعن شجرة التين التي لم تثمر . في وقت لم يكن فيه إثمار (ولم يعرف راسل أن الله حرٌ في خلائقه ، ويستخدمها من أجل تعليم الإنسان كما في هذه الشجرة ، وأيضاً في قصة هلاك الخنازير) .

وفي سنة ١٩٢٥م وهو في سنة الثالثة والخمسين كان يعتقد أن الموت قريب منه (رغم أن الله منحه عمراً طويلاً إذ عاش ثمانية وتسعون سنة) فكتب تحت عنوان " ما أؤمن به " يقول *" أؤمن بأنني عندما سأموت فأنني سأتعفن ، ولن يبقى شئ مني . لست شاباً ، ولا أزال أحب الحياة ، ولكن عليَّ أن أزدري*

الإرتجاف برعب من فكرة الزوال. السعادة بذاتها هي سعادة حقيقية لأنها ستصل لنهايتها. لا يفقد الحب والفكرة قيمتهما بسبب أنهما غير دائمين، الكثيرون من الرجال مضوا محمولين على السقالة بفخر، وبالتأكيد فإن الفخر ذاته يجب أن يعلمنا أن نفكر بمكانة الإنسان في العالم "[1] .. **قارن ياصديقي بين مشاعر الإنسان اللاأدري هذا، وبين اليقين المسيحي تجاه الموت والملكوت الآتي** "***لي إشتهاء أنت أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً*** " (في ١ : ٢٣).

---

[1] ريتشارد دوكنز – وهم الإله ص ١٦٤

١٠- جان بول سارتر (١٩٠٥ - ١٩٨٠م)



س٣٧ : كيف أفرزت لنا الطفولة التعسة إنساناً مثل " سارتر " مؤسس الفلسفة الوجودية ؟

وُلِد " **جان بول شارل إيمارد سارتر** " في ٢١ يونيو ١٩٠٥م من أسرة بروتستانتية في باريس ، وكان والده ضابطاً

بالبحرية الفرنسية وأمه إبنة لمدرس لغات يُدعى " **شارل شويتزر** " ، وعندما كان " **جان بول** " في الثانية من عمره مات والده وهو في الصين ، وتزوجت أمه برجل آخر ، وتركته لدى أبيها ، فأفتقد حب الأب والأم معاً ، وشعر أنه غير مرغوب فيه ، ولاسيما أن جده شارل كان ينفر ويسخر منه ، وكان " **جان بول** " يتظاهر بالطاعة لجده بينما هو يبغضه ، ونتيجة هذه الطفولة التسعة قال " **سارتر** " : "*لم أكن أحب شيئًا ولا أحداً* " كما قال "*لقد فهم القارئ إنني أكره طفولتي وكل ما يتعلق بها* " والأمر العجيب أن " **سارتر** " هنأ نفسه بموت أبيه الذي جعله حراً فقال "*لو كان أبي حياً لكان تمدّد عليّ بملء قامته وسحقني ، ولحسن حظي مات أبي عندما كنت صغيراً • إن موت جان باتسيت* (والده) *كان الحدث الأهم في حياتي ، لقد أعاد إليّ حريتي* " [1].

وعندما أحرق " **سارتر** " جزء من سجادة صغيرة وأراد أن يخفيها شعر وكأن الله يراه ويلاحقه فقال : "*مرة واحدة شعرت بأن الله موجود حين كنت ألعب بعيدان الكبريت وأحرقت سجادة صغيرة ، وفيما كنت أخفي جرمي أبصرني الله فجأة • لقد شعرت*

[1] رأفت شوقي – الإلحاد •• نشأته وتطوُّره جـ ١ ص ١٦٩

بنظراته داخل رأسي .. أحسُ أنني مرني منه بشكل فظيع وشعرت بأنني هدف حي للرماية ، ولكن الإستنكار أنقذني. فقد أغتظت لفضوله المبتذل ، لهذا رفضته وجدفت عليه فلم ينظر إليّ أبداً فيما بعد " [1] وبدأ " **سارتر** " يقتل في نفسه الإحساس بوجود الله ، ولعل هذا الموقف يذكرنا بنيتشه عندما قال "*في سن الثانية* عشر *رأيت الله في تمام جلاله* " .. هل قصد الله أن يشعر هذا وذالك بوجوده ؟!.

وكان جد " **سارتر** " لديه مكتبة ضخمة عامرة بالكتب ، فوجد " **سارتر** " فيها تسليته وسلواه ، وكان إبن خالته " **لويس شوتيزر** " لاهوتياً بروتستانتياً ، فأخذ منه جان الروح البروتستانتية الموغلة في الفردية ، وفي سنة ١٩٢٩م أنهى دراسته بدار المعلمين وحصل على شهادة الفلسفة ، ثم درس الفلسفة في جامعة لوهافر ، فأصبح أستاذاً داخلياً في المعهد الفرنسي في برلين ، وقد تأثر " **سارتر** " بثلاثة من كبار الفلاسفة وهم " **جورج هيجل** " ، و " **كيركجارد** " ، و " **عمانويل كانط** " وأشتغل بالفلسفة ، وكان أسلوبه في الكتابة سهلاً وممتعاً مما أعطاه نجاحاً وشهرة ،

---

[1] القس أنجيلوس جرجس – وجود الله وصوُر الإلحاد ٨٥

وفي سنة ١٩٣٩م عندما غزا هتلر فرنسا ودخلت القوات الألمانية فرنسا ، تأذى جان بول من الإحتلال الألماني فالتحق بالفرقة (١٧٠) بالجيش الفرنسي ، رغم أنه كان يعاني من حول شديد ، وتعرَّض للسجن في تراف ، ولكنه إستطاع أن ينتحل صفة إنسان مدني ويخرج من السجن ٠

وفي سنة ١٩٤٣م أصدر " **سارتر** " كتابه الضخم " **الوجود والعدم** " يدعو فيه إلى الفلسفة الوجودية ، ويصف الوجود على " *أنه صراع عبثي بين الحريات ، فكل حرية تحاول أن تفني الأخرى ، حتى تحتفظ باستقلالها السيادي* " [1] وأعتبر الكثيرون أن هذا الكتاب مجرد طلاسم ، وفي سنة ١٩٤٥م عُيِّن " **جان بول سارتر** " أستاذاً في معهد باستور ، وأسس مجلة " **الأزمنة الحديثة** " ، ويُعتبر " **سارتر** " زعيم الفلسفة الوجودية في القرن العشرين ، وقد ألَّف عدة روايات ، ففي سنة ١٩٣٨م كتب رواية " الغثيان " ، وفي سنة ١٩٤٥م " عصر العقل " ، وفي سنة ١٩٤٨م " الأيدي القذرة " ، وفي سنة ١٩٥٦م " لعنة الطونا "٠

---

[1] د٠ رمسيس عوض – ملحدوث محدثون ومعاصرون ص ٧١

وفي كتابه " **الوجودية مذهب إنساني** " عارض " **سارتر** " الكثير من القيم الأساسية في فلسفة الغرب ، ورفض الفلسفة الماركسية ، كما رفض الفلسفات التاريخية بما فيها فلسفة هيجل المثالية ، ونادى " **سارتر** " بالحرية ، وأعتبر أن صديقه هو صديق الحرية ، وعدوه هو عدو الحرية ، وحارب النازية سراً وجهراً ، وفي مسرحيته " الأيدي القذرة " سنة ١٩٤٨م أنتقد الزعيم الشيوعي المزيف الذي يعمل لمصلحة نفسه ، كما أنتقد إستخدام السلاح النووي ، ووقف مع أهل المجر في ثورتهم ضد الشيوعية ، وأنتقد سياسية أمريكا ضد الزنوج ، وقام بحملة رائعة ونظم مسيرات طلابية لمساندة الجزائريين ضد الإحتلال الفرنسي .

س٣٨ : كيف كانت نظرة " سارتر " لله من خلال مسرحية " الذباب " ؟

ج : كتب " **جان بول سارتر** " مسرحية الذباب وعرضها على مسرح " لاسيتي " في باريس سنة ١٩٤٣م بينما كانت فرنسا محتلة من ألمانيا منذ عام ١٩٤٠م ، وتعتبر هذه المسرحية من أشهر أعمال سارتر ، وأحداث المسرحية من أساطير هوميروس اليونانية القديمة ، وكانت تهدف للثورة ضد الله ، حتى يستطيع الإنسان أن

يعيش حراً ، يفعل كل ما يريد بضمير مستريح ، وأيضاً الثورة ضد الإحتلال الألماني للبلاد الفرنسية.

وتدور أحداث المسرحية في مدينة " أرغوس " Argos التي تتعبّد للإله " جوبتر " ، وكان حاكم المدينة " أغامنون " Agamnon يعيش مع زوجته " كليمنستر " وإبنهما " أورست " وإبنتهما " إلكترا " ولكن الزوجة خانت زوجها وقامت بقتله مع عشيقها " أوجيست " وتولى " أوجيست " حُكم المدينة ، وأقنع شعبها بأنهم شركاؤه في الجريمة التي راح ضحيتها " أغامنون " ، فشعر الشعب بالندم الشديد ووخز الضمير ، وأرتدوا ملابس الحداد السوداء ، وأرسل الإله " جوبتر " سحابة كثيفة من الذباب الذي ظل يطن كتعبير عن ندم أهل أرغوس الذين سكتوا على إغتيال ملكهم " أغاممنون " ، ويصوّر " سارتر " هذا الندم قائلاً " *جدران ملطخة بالدم ، وملايين الذباب ، ورائحة مجزرة .. وشوارع مقفرة .. وديدان صعقها الرعب يلطم صدورها في أعماق بيوتها ، وهذه الصرخات التي لا تطاق* ".

ويوضح الإله جوبتر أمرين وهما :

أ – أنه يدعّم سلطة الملك ، لأنها صورة سلطة الإله ، فيقول " لاوجيست " : "*لقد صنعتك على صورتي، إن الملك إله على الأرض ، نبيل وكئيب كإله* " .

ب – أنه مسرور بخوف وخنوع أهل أرغوس ، فهو يسيطر عليهم عن طريق وخز الضمير ، فيقول "*أن للخوف ووخز الضمير رائحة شهية في خياشيم الآلهة* " وكل ما يشغل " جوبتر " أن يظل هذا الشعب خائفاً منه ، وإن كانوا لا يحبونه ، فقال لأوجيست عن هذا الشعب "*لاشك أنهم لا يحبونني كثيراً* ".

أوجيست : أنهم يخافونك .

جوبتر : هذا كل ما أريده. لست بحاجة إلى أن أُحب .

وأباح " **جوبتر** " لأوجيست أنه هو أيضاً لا يحب أحداً ، فكل هدفه من هذا الشعب أن ينشغلوا به فلا يجدون وقتاً يكتشفون ذواتهم ، فيسعون نحو التحرُّر ، ويقول " **سارتر** " إذا أنفجرت الحرية في قلب الإنسان لم يعد للآلهة أي سلطة عليه .

وبعد طول غياب يعود " أوريست " إبن الملك " أغامنون " الذي إغتالته يد الخيانة بواسطة زوجته وعشيقها أوجست ، يعود

" أوريست " إلى " آرغوس " وفي " إحتفالات التكفير " التـي كـان أهل آرغوس يقيمونها للتعبير عن ندمهـم ، وقفـت " إلكترا " إبنة الملك " أغامنون " وأخذت تخطب في الجموع تطالبهم بالثورة ضـد الطغيان ، وكان هذا الخطاب موجهاً في الحقيقة للـشعب الفرنـسي لكيما يثور ضد الطغيان الألماني. وما أن إنتهت " إلكتـرا " مـن خطبتها الحماسية التي شدت قلوب الجميـع إليهـا ، حتى شعر " أوجيست " بالخطر على حياته ، وطرد " إلكتـرا " مـن القـصر فلجأت إلى المعبد ، وهناك ألتقت بأورست المختبئ هناك ليعد عـدة الإنتقام من أوجيست ، فتعرّفت " إلكترا " عليه وتعانقا ، وأفصح كل منهما عن رغبته للآخر في الإنتقام من هذا الملك الشرير ، حتى لو كان هذا ضد إرادة " جوبتر " الذي يؤيـد سلطة الملـك بـصورة مطلقة ، ويراها أنها إمتداد لسلطته.

وخوفاً من " أورست " على أخته " إلكترا " طلب منهـا أن تغادر المدينة ، لكنها رفضت وقالت أنها كرّست حياتها للإنتقام من قاتل أبيها ، وأيضاً إذا أنقضت الحرية على " أورست " أكتـشف أن الحرية تتساوى مع وجوده ، فهو لا يوجد إلاّ بمقدار ما هو حـر. ولذلك قرّر " أوريست " تحدي سلطة الإله " جـوبتر " وقتـل أمـه الخائنة " كليمنستر " مع عشيقها ، وفعلاً نجح " أوريست " في قتـل

الأثنين. وهنا بدأت " إلكترا " تشعر بالجرم ووخز الضمير ، ولجأت إلى الإله " جوبتر " لينقذها من فظاعة هذه الجريمة التي أنتهت بقتل أمها وعشيقها ، وبذلت " إلكترا " كل جهدها لترضي الإله ، أما " أوريست " الذي كانت شخصيته غير شخصية أخته ، فقد قرَّر مواجهة الإله المزيف ، وتحرير نفسه وشعبه من سلطة هذا الإله ، عندئذ وبَّخ الإله " جوبتر " " أوريست " على جسارته وفعلته الشنعاء ، أما " أوريست " فقد صمَّ أذنيه حتى لا يصاب بوخز الضمير ويخضع ويستسلم للإله كما حدث مع أخته ، وفي تحدٍ قال " أوريست " للإله : أنك ياجوبتر ملك الآلهة ، ملك النجوم والحجر ملك أمواج البحر ولكنك لستَ ملك البشر.

جوبتر : ألست ملكك أيها الدودة الوقحة ؟ من خلقك إذاً ؟

أوريست : أنت. لكن ما كان عليك أن تخلقني حراً.

جوبتر : منحتك الحرية لتخدمني.

أوريست : لربما ، إلاَّ أنها أنقلبت عليك ، ولا نستطيع بعد شيئاً ، لا أنت ولا أنا. منذ أن خلقتني لم أعد ملكاً لك. أنك حتى هذه الساعة كنتُ حجاباً على عيني وسداداً من الشمع في أذني ، خلقتني لأنفذ خططك . وفجأة إنقضت عليَّ الحرية وأتعبتني ، وشعرت بنفسي وحيداً كل الوحدة. ولم يبقَ شئ في السماء من خير أو شر ، وما

من أحد يلقي إليّ أوامره.

ولنا هنا أن نتساءل : هل الإله الذي هاجمه " سارتر " هو إلهنا الصالح ؟! .. قطعاً لا ، لأن الإله في ذهن " سارتر " (جوبتر) هو إله متسلط يستعبد الإنسان ، لا يحب أحداً ، ولا يهتم بحب الإنسان له ، بل كل ما يشغله أن يظل مسيطراً على الإنسان ، وأن الإنسان يظل يخافه ويخشاه ، وهو يتحكم في الإنسان عن طريق وخز الضمير . أما إلهنا الصالح فهو الإله المُحب " الله محبة " الذي أوجدني من العدم لكيما أتمتع بالوجود معه ، وعندما سقطت تنازل آخذاً صورة عبد وجاز في الموت ، موت العار والسخرية ، موت الصليب ، لكيما يفديني ويرفع عني حكم الموت. أنه الإله الذي إنحنى تحت أقدامي ليغسلها ، وهو الذي يظل لابثاً يقرع على باب قلبي منتظراً أن أفتح له لكيما يهبني كل خيراته. أنه الإله الذي أعدَّ لي ملكوته وأنا أنتظره. أنه الإله الذي يدعونني دائماً ، دون أن يغتصب حريتي ، وبحريتي أستطيع أن أقبل أو أن أرفض ، وهو سيظل دائماً وأبداً يحترم ويقدس حرية الإنسان .. هذا قليل من كثير في الفرق بين نظرة الإلحاد لله ، والنظرة الحقيقية له.

س٣٩ : كيف فهم " سارتر " الحرية التـــي تبـيح الخيانـــة الزوجية ؟

ج : إن الحرية التي نادى بها " **سارتر** " ليست الحريـــة البـــسيطة المنضبطة ، بل هي دعوة للتخلص من الماضي ودفنه ، وأن يفعـــل الإنسان كل ما يشاء بدون خطوط حمراء ، ويتجرد الإنسان من كل شئ فيقف عارياً منفرداً أمام نفسه لا يدري من أين جاء ولا إلى أين يذهب ، ويقول " **الدكتور لويس عوض** " عن فلسفة " **سارتر** " فـــي الحرية : "*الوجود عند سارتر في ذاته وجود بلا غايـــة ، وجـــود سخيف في عالم لا معقول ، والإنسان موجود لا أكثر ولا أقـــل ، لا يعرف من أين أتى ولا إلى أين هو ذاهب ، فهو بمثابة لقـــيط فـــي مكان موحش ، هو الطبيعة ، لا يجد حوله أباً ولا أماً وليس له مـــا يعتمد عليه إلاَّ نفسه ، وكل ما يعرفه عن وجوده هو أنـــه محكـــوم ومُسيَّر .. فلا فرق إذاً بين الإنسان هذا الذي يحكمه الجبر وتسوقه الطبيعة ، وبين الحيوان الذي يحكمه الجبر وتـــسوقه الطبيعـــة ، لا فرق بين الإنسان والحيوان إلاَّ في شئ واحد . وهـــذا الـــشئ هـــو الإرادة العاقلة .. الإنسان عند سارتر مسئول ، مسئول عن نفسه ،*

مسئول عن غيره ٠٠ وأول مظهر عملي لهذه المسئولية عند سارتر هو الحرية ٠٠ الإنسان لا تكتمل إنسانيته إلاّ إذا أكتملت حريتـــه ، وبمقدار ما هو حر يمكن تسميته إنساناً ، فواجب الإنسان الأول هو البحث عن الحرية ٠٠ الحرية من كل نوع ، الحرية في الـــسياسة ، الحرية في المجتمع ، الحرية في الأخلاق " [1] فقد أكد سارتر على مسئولية الإنسان عن نفسه ، فالإنسان الفقير هو مسئول عن فقره ، والجبان عن جبنه ، لأن الإنسان لا يولد بطلاً ولا جباناً ولكنه هـــو الذي يصنع نفسه٠

وقـــد أعلـــــن " سارتـــر " **عن إلحاده** من خلال مسرحية " الغثيان " ، ومسرحية " الشيطان والإله الطيب " حيث قال "*لم يكن هناك غيري ، لقد قررت وحدي الشر ، ووحدي أخترعت الخيـــر ، أنا الذي عشت ، أنا الذي أفعل المعجزات ، أنا الذين أتهم نفـــسي ، وأنا وحدي من أستطيع الغفران لنفسي ، أنا الإنسان ، **إذا كـــان الله موجوداً فإن الإنسان هو العدم*** " [2] كما رأى سارتر العكس أي إذا كان الإنسان موجوداً فالله هو العدم٠

---

[1] القمص بولس عطية بسليوس – دراسات في علم اللاهوت ص ٢٦٥ ، ٢٦٦

[2] ترجمة غياث حجار – الشيطان والإله الطيب ص ١٣١

وقال أيضاً " *أن وجود الله يعطل وجودي أنا فالأفضل أن لا يكون الله موجوداً حتى أوجد أنا* " [١] وهكذا كان يجاهر " **سارتر** " بإنكاره الكامل لوجود الله والحياة الأخروية ، والثواب والعقاب ، فلا يوجد عالم غير عالم الإنسان ، والإنسان هو المحور الرئيسي لفلسفة سارتر وأدبه. كما قال سارتر في مذكراته أن الجو الديني الكاثوليكي قد نجح في تنفيره من الدين ، وقال عن " **السيد المسيح** " أنه سياسي يهودي حكم عليه الرومان بالإعدام لأسباب سياسية ، ووصف " **سارتر** " الذين يعتقدون بوجود الله بأنهم " *المؤمنون الجبناء القذرون* ".

ومفهوم الأخلاق عند " سارتر " ظهر في مسرحية " الشيطان والإله الطيب " فبين أن الإنسان يستطيع أن يصنع الشر ، ثم يصنع الخير بمحض إرادته فيقول " *أنك تخطئ. لقد علمتني أن الخير محال ، وأنا أراهنك أنني سأفعل الخير ، إنها أيضاً الطريقة الوحيدة لأكون وحيداً ، لقد كنتُ مُجرماً ، وهاأنذا أتغيَّر ، إنني أقلب سترتي ، وأراهن أنني سأكون قديساً* " [٢] فسارتر يؤكد على الإنسان أن يختار أخلاقه ، ولا تُفرَّض هذه الأخلاق عليه ، فجوهر

---

[١] القمص بولس عطية بسليوس – دراسات في علم اللاهوت ص ٣٤

[٢] ترجمة غياث حجار – الشيطان والإله الطيب ص ٧٧

الأخلاق عند " **سارتر** " هي أن تكون صادرة من الإنسان ذاته ، وتجسّد حريته ومسئوليته ، ولذلك فهو يرفض الأخلاق التي مصدرها الدين ، أو القيم.

ونظر " سارتر " للجسد على أن مزبلة وجيفة ، ونظر للزواج والعائلة نظرة غير مقدّسة ، **ولكيما تتصوّر ما أقصده ياصديقي** يكفي أن تقرأ كتاب " رأس إلى رأس " الذي تتحدث فيه مؤلفته " **هيزال راولي** " عن حياة سارتر وزوجته دوبوفوار ، فعند زواجهما أفهم سارتر زوجته أن الإخلاص لشخص واحد كثمن لإستمرار العلاقة الزوجية هو كذبة تاريخية ، وقبلت زوجته هذا على مضض ، فكان مسموحاً لكل منهما أن يقع في حب أي إنسان ، ورأيا أن هذه الفكرة " **وجودية** " ، وتحمل المساواة بين الرجل والمرأة ، وبذلك كان لسارتر عشيقاته ، يترك الواحدة ليرتمي في أحضان الأخرى ، والأمر العجيب أن زوجته " **دوبوفوار** " لم تتضايق من هذا ، إنما كانت تساعده على إقامة هذه العلاقات مع النساء ، وأيضاً " دوبوفوار " كانت تفعل هذا ولكن بصورة أقل من زوجها ، وكم تألمت على فراق عشيقها " **نيسلون** " الروائي الأمريكي ، الذي أحبها جداً وأراد أن ينتزعها من أحضان " **سارتر** " ، فلم ينجح وأصيب بالإخفاق ، فافترق عنها ،

وبالكتاب تجد صورة لدوبوفوار في غرفة نيسلون تقف أمام مـرآة الحمام تمشط شعرها وهي عارية تماماً لا ترتدي سوى حذا متوسط الكعب ، وهكذا كانت نظرة " **سارتر** " للحياة الزوجية من خلال قاعات الخلاعة ودور الفجور والحانات والسهرات الباريسية ، وظل " **سارتر** " متزوجاً بدوبوفوار إلى نهاية حياته ، وهو لا يكف عن مغامراته النسائية ، ولا يشعر بالشبع والإكتفاء قط ، لأن من يشرب من ماء هذا العالم يعطش أكثر .

ورغم علاقات " سارتر " العاطفية والإجتماعية المتشعبة ، **ولكن لأن الله لم يكن في حياته ، لذلك كان يشعر بالوحدة القاتلة** حتى قال : "***أصحبت راشداً وحيداً ، لا أب ولا أم ولا مقر لي ، وأكاد أكون بلا إسم*** " [١] كما قال أيضاً "*كل إنسان يولد بلا مبرر ، ويستمر في ضعف ، ويموت بلا هدف* " وهكذا صارت الحياة في نظر من يلحد وينكر الوجود الإلهي ، وعندما مُنح جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٦٤م لم يتقدم لإستلامها .

ولإلقاء المزيد من الضوء على فلسفة سارتر ، نستقطع بعض الفقرات أو العبارات للكاتب " **بولس سلامة** " حيث يقول :

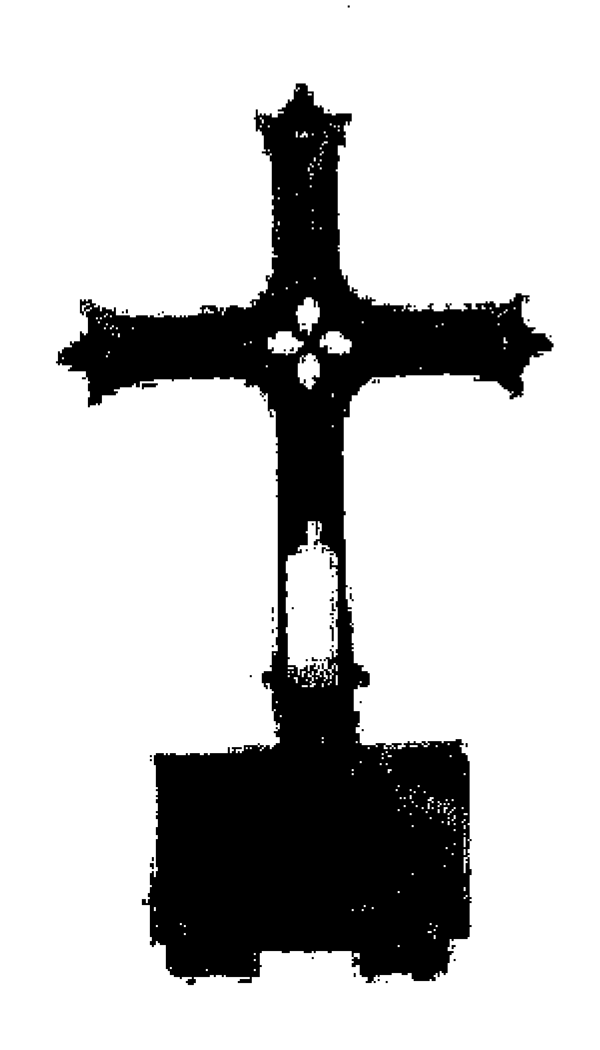
---

(١) القس أنجيلوس جرجس – وجود الله وصوَر الإلحاد ص ٨٥

" وللمذهب السارتري أركانه أيضاً ، ما هي ؟ أول شرط : **الغش .. وإستجابة داعي الحيوانية** ، وتلبية كل ما تمليه علينا شهواتنا ، ونبذ كل التقاليد والتعاليم المجتمعية ، وما تواطأ عليه الناس من الجهة الأخلاقية ، **وتحطيم القيود التي أبتدعتها الأديان والفلاسفة** وتبنتها المدنية ، فأركب رأسك أيها الإنسان إلى حيث تشاء ساعة تشاء ، وكما تشاء ، لأن الضمير والأخلاق والتقاليد ليست سوى ستار صفيق يحجب عنك حقيقة الوجود !!

أما الشرط الثاني فيوجب على الغشاش تطليق ماضيه وسلخ نفسه عنه ، متجهاً إلى الأمام ، إلى المستقبل ، قافزاً القفزات السارترية المعروفة ، باعتبار أن ماضيك أيها الإنسان قد تحجر ومات .. وإنما يريدك سارتر على دفن ماضيك لئلا يقيدك .. ولإيضاح هذا المعنى السارتري نضرب لك المثل الآتي : أن إحدى الراهبات ، رفضت حضور حفلة تطويب أختها في روما (لئلا تسقط في الكبرياء) لمحت شاباً جميلاً في حصن الدير فكَلفت به .. فبماذا ينصحها سارتر ؟ ينصحها بتطليق الماضي كله والفرار مع الشاب الوسيم. فإذا عنَّ لها أن تتركه بعد قليل لترتمي في أحضان آخر أجمل منه ، فلا بأس عليها فماضيها مات ..

ويزعم " سارتر " أن هذه التجربة الوجودية هي التي تعلن لك حقيقة الوجود. الأشياء تكون ما يريك هواك ، فلا حقائق ثابتة ولا قيم .. فلا قواعد ولا أنظمة ولا أخلاقيات .. بعد أن أنكر سارتر الله والروح ، والثواب والعقاب ، والقيم والحضارة والأخلاقيات ، حق له أن يجلبب الوجود بالرداء الأسود الذي خلعه عليه .. يقول لك صاحبنا : إذا كنت أيها القارئ مؤمناً صالحاً فهذا وجودك الزائف ، لأن في وسعك أن تصير سارترياً .. لقد أنكر وجود إله يخلق من العدم ، ثم أعطى هذه الصفة للحرية ، أليس الإنسان والحرية واحداً ؟ .. وبرغم دمامة تلك الشوهاء (الحرية السارترية) فسارتر يقول أنها مصدر كل قيمة أو هي القيمة بالذات " [١].



[١] الصراع في الوجود ص ٣٢٣ ـ ٣٢٩

نظرة تأمـــل :

رحيق الأزهار ونبات النديّة : لقد أودع الله الأزهار رحيقــاً يــشد الحشرات ، فتنقل حبوب اللقاح ، ويقول دكتور " سيــسل هامـــان " .. "سر في طريق مشمس وتأمل بدائع تركيب الأزهار واســـتمع إلى تغريد الطيور ، وانظر إلى عجائب الأعشاش ، وقل لي أولاً : هل كان محض مصادفة أن تنتج الأزهار ذلك الرحيق الحلو الـــذي يجتذب الحشرات ، فتُلَقِّح الأزهار وتؤدي إلى زيادة المحصول فـــي العام التالي ؟ وهل هو محض مصادفة أن تهــبط حبــوب اللقـــاح الرقيقة على مبسم الزهرة فتثبت وتسير في القلم حتى تصل المبيض فيتم التلقيح وتتكون البذور ؟ أفليس من المنطق أن نعتقد أن يـــد الله التي لا نراها هي التي أوجدت هـــذه الأشياء ورتبتها ونظمتها تبعاً لقوانين مازلنا في بدايـــة الطريـــق نحو معرفتها والكشـــف عنها " (الله يتجلى ص ١٤١ ، ١٤٢) [١].

وينمو في جنوب أفريقيا نبات " النديَّـــة " Sandew الـــذي يفرد أوراقه وعلى أطرافها مادة لذجة تجتذب الحشرات ، فتلتـــصق الحشرة بالمادة اللذجة ، ثم تنثني عليها ورقة النبات ، وتهضم هـــذه

---

(١) أورده برسوم ميخائيل – حقائق كتابية جـ ١ ص ٢١٥

الحشرة (راجع هارون يحيى – خديعة التطوّر ص ١٩٨) بل إن الأمر الأكثر عجباً أن بعض النباتات التي تمسك بالحشرات التي تأتي إليها وتمتصها من الأزهار المؤنثة ، أنه عندما تأتي الحشرات على الذكور من هذه الأزهار تتركها طليقة لكيما تنقل حبوب اللقاح للإناث ، ومتى جاءت هذه الحشرات للإناث وهي تحمل حبوب اللقاح تطبق عليها هذه الأزهار وتمتصها .

البعوضة : لكيما يتغذى البعوض على دم الفريسة ، فإنه "*يثقب الجلد بمخالبه التي تتكون من ست شفرات فيقطع الجلد كالمنشار ، وفي خلال عملية ثقب الجلد يفرز البعوض مادة تخدر أنسجة الجلد فلا يشعر الإنسان بأن البعوض يمص دمه ، وهذا السائل يمنع – في الوقت نفسه – تخثر الدم ، ويضمن إستمرار البعوض في عملية المص ، فلو نقص مجرد عنصر واحد فقط من هذه العناصر ، لما تمكن البعوض من التغذي على الدم ، ولما إستطاع الحفاظ على حياته وإستمرار نسله* " [١].

[١] هارون يحيى – خديعة التطوّر ص ١٨٨

النمل الأبيض : رغم إنه لا يبصر ، ولا يتعرض لضوء الــشمس ، فإنه يبني بيوته كتحفة معمارية رائعة يبلغ إرتفاعها ٥ أو ٦ أمتار ، وتجد في بيوته نظام للتهوية ، وغرف للجو الحار وأخــرى للجــو البارد ، وغرف لليرقات وممرات ..

النحل : يبني خلاياه بشكل سداسي منتظم جداً ، ويعمل فــي هــذا جميع أفراده ، فلو توقف أحد الأفراد يأتي الآخر يستكمل العمل من حيث إنتهى سابقه ، وقد وُجِد أن هذا النظام السداسي يحتاج كميــة أقل من الشمع في بناء الخلايا ، ويسمح بتخزين كمية أكبــر مــن العسل ، وقال " **داروين** " نفسه "*ويصل إلى مسامعنا مــن علمــاء الرياضيات أن النحل قد توصل بالفعل إلى حل لمشكلة عويــصة ، وأنه قد صنع خلاياه على الشكل الصحيح لتــستوعب أكبــر كميــة ممكنة من العسل ، مع أقل إستهلاك ممكن للشمع الثمين المــستخدم في التشييد ، وقد كان من اللافت للنظر أن أي عامل ماهر مــزود بأدوات التركيب والقياس ، سوف يجد أنه من الصعب جداً عليه أن يصنع خلايا من الشمع على الشكل الصحيح ، مع إن هذا يتم إنجازه*

بواسطة مجموعة من النحل تعمل في ملجأ مظلم ·· كيف يستطيع النحل أن يقوم بعمل جميع المستويات والزوايا اللازمة !! " [(١)].

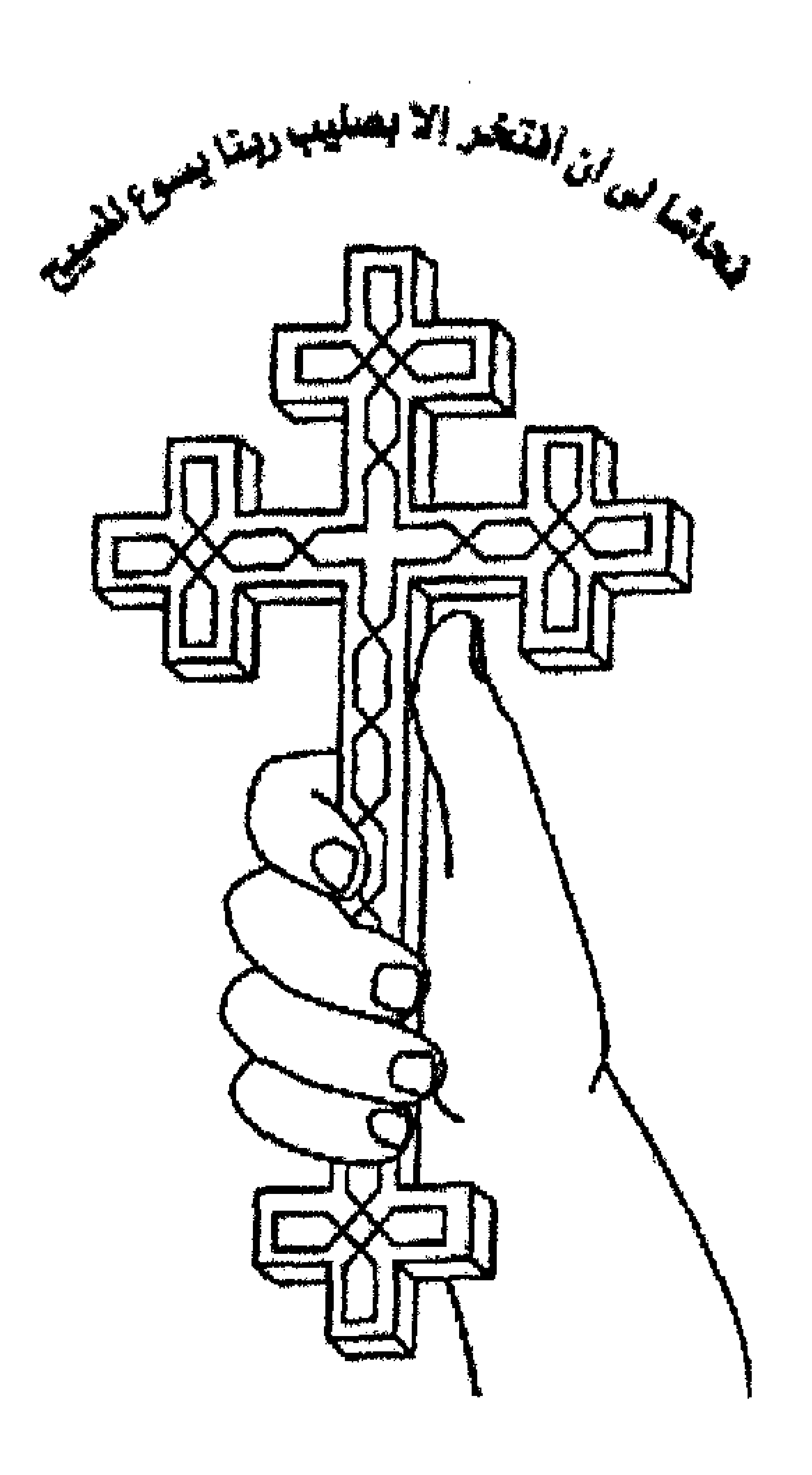
كما قال " **داروين** " أيضاً " إن ما يزيد من صعوبة فهم الكيفية التي يتم بها صنع الخلايا ، أن هناك أعداداً كبيرة من النحل تعمل كلها مع بعضها البعض ، وبعد أن تعمل نحله ما لمدة قصيرة من الزمن في خلية ما ، فإنها تذهب إلى خلية أخرى ، وبهذا الشكل ، وكما أعلن " **جوبر** " فإننا نجد عدداً لا حصر له من الأفراد منهمكين في العمل حتى عند إبتداء العمل في أول خلية ·· ويبدو أن العمل في التشييد نوع من التوازن المبرم بين العديد من النحل ، كل منها تقف بطريقة غريزية على نفس المسافة النسبية عن بعضها البعض ، وكلها تحاول أن تحفر كرات متساوية ، وبعد ذلك تبني ·· وقد كان من المدهش حقاً ملاحظة أنه عند قيام إحدى الصعوبات ، مثل عدم تطابق قطعتان من المشط (القرص) عند زاوية ، فما أكثر المرات التي قد يقوم فيها النحل بالهدم ثم يقوم بإعادة البناء لنفس الخلية بطرق مختلفة ، وفي بعض الأحيان قد يعود إلى شكل سبق له وأن تم لفظه من قبل " [(٢)] وقد أرجع داروين

---

(١) أصل الأنواع ص ٤١٩

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٦ ، ٤٢٧

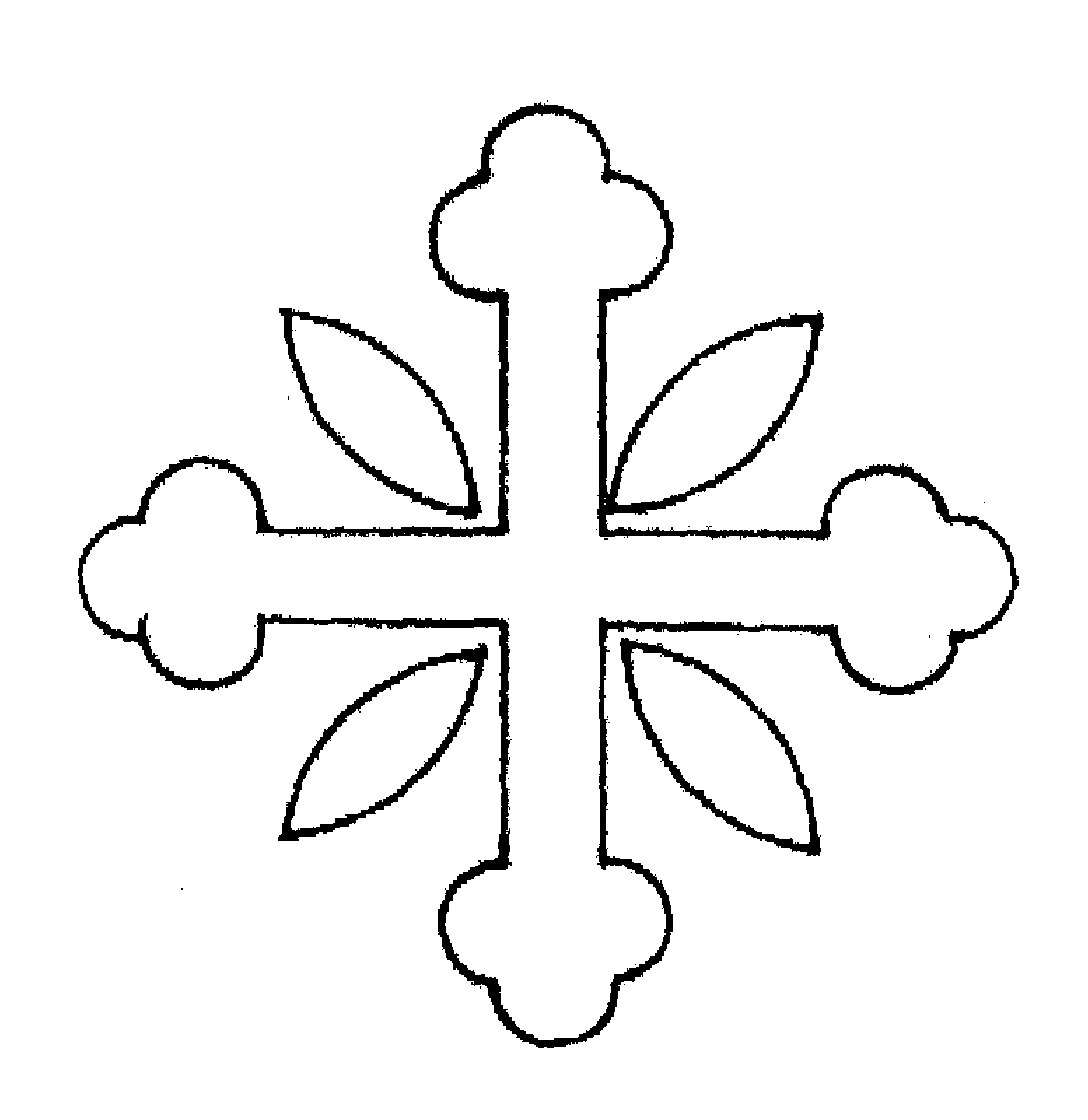
هذه المهارة العجيبة إلى الغريزة ، ولكنه لم يتساءل من وضع هــذه الغريزة في هذه الحشرة بالذات ؟!!



ملحوظة : المراجع بالجزء الثاني من البحث

الفهـــــرس

صفحة





قداسة البابا شنودة يحمل رأس شهيد من أ

هذه المجموعة تشمل :

الثمن ٣٥٠ قرش